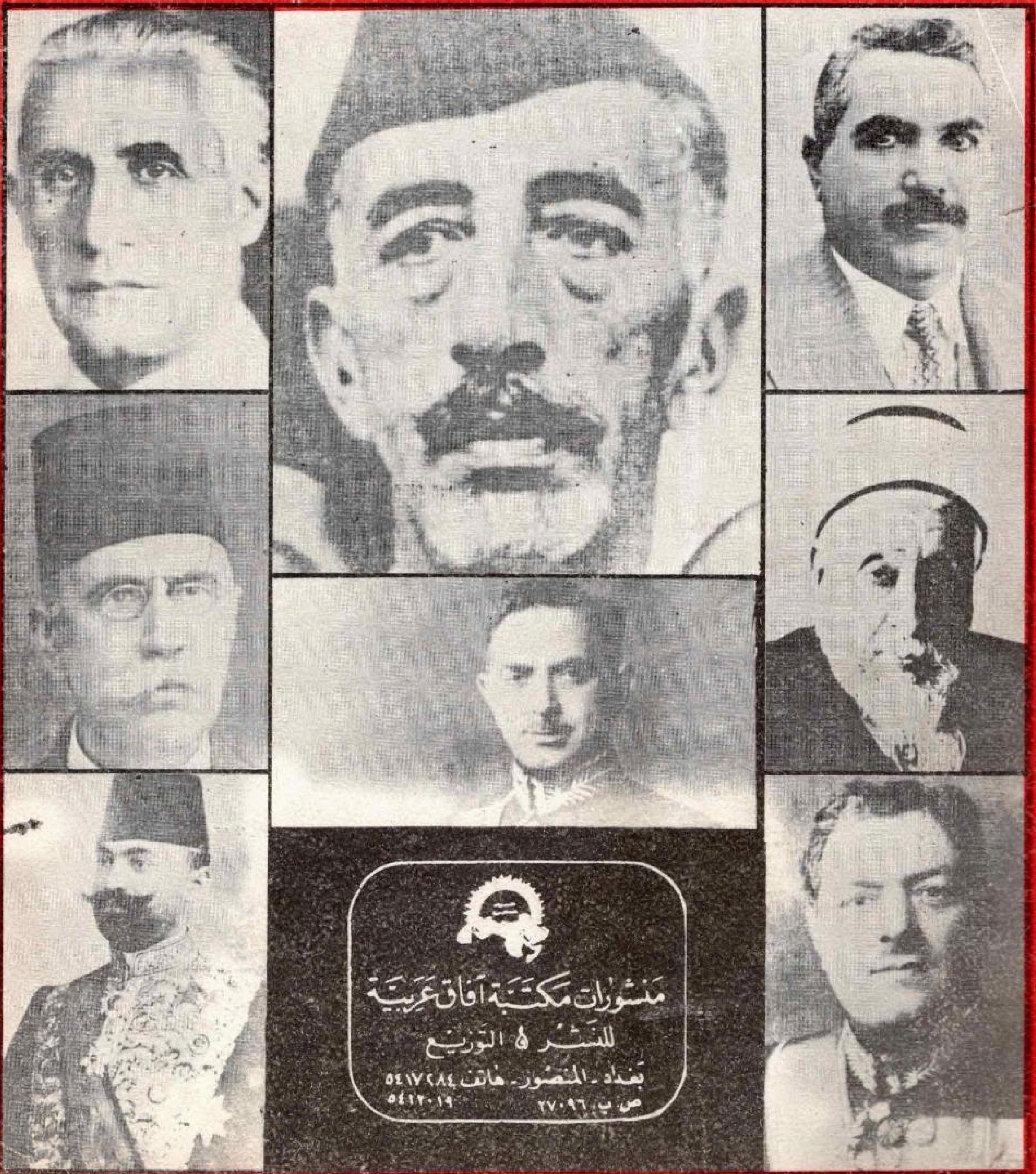
حكايات سياسية من
تاريخ العراق الحديث

خيري أمين العمري



حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث

تأليف خيري أمين العمري

راجع الكتاب الاستاذ عبدالحميد الرشودي

منشورات مكتبة آفاق عربية

تقديم

بقلم الدكتور علي الوردي

رئيس قسم الاجتماع بجامعة بغداد

يعجبني من الأخ خيري العمري – مؤلف هذا الكتاب – أنه عُني بنوع من الدراسة قلما نجد من يُعنى بها في العراق، وهي دراسة الشخصيات والأحداث التي كانت لها أهميتها في تاريخ العراق الحديث. ويعجبني منه أيضا أنه حين يدرس تلك الشخصيات والأحداث يحاول أن يكون فيها موضوعيا ومحايدا، جهد إمكانه، فيذكر مالها وما عليها دون أن يظهر عليه أي تحيز ملحوظ – وتلك صفة أعتقد أننا في أشد الحاجة اليها في هذه الأيام!

من المؤسف حقا أن نرى الكثيرين من كتابنا ومؤلفينا في العراق يبذلون جهودهم في مواضيع ليس لها علاقة بمشكلاتنا الراهنة، ويتخذون أسلوبا لاينسجم مع طبيعة الحياة الحديثة التي نعيش فيها. والملاحظ أن جمهورا كبيرا من متعلمينا لايزالون يشغلون أنفسهم بمثل ماكان بعض أسلافنا يشغلون أنفسهم به: فاذا اجتمعوا او تناقشوا كان جل اهتمامهم منصبا على قضايا أدبية أكل الدهر عليها وشرب، كنقائض جرير والفرزدق، أو عبقرية ابي نواس، أو أسرار « قفانبك »، أو ماهو أهجى ماقالته العرب ...

لو أحصينا عدد المشتغلين بالأدب بين متعلمينا لوجدناه يزيد نسبيا على ماهو موجود فى أى بلد من البلاد المتمدنة فى عصرنا هذا . ولعلنى لا أغالى اذا قلت ان قضايا الشعر واللغة والنقد الأدبى ، وما يسمى بالبديع والبيان ، تأخذ من وقت متعلمينا قسطا أكبر جدا مما ينبغى لها

كنت فى عهد قريب أطالع كتابا صدر حديثا وساعدت على نشره احدى مؤسساتنا الثقافية . فالكتاب ذو حجم كبير وقد حاول مؤلفه أن يجمع فيه كل من تعاطى الأدب من سكان بلدة عراقية معينة ، فجاء بعدد كبير منهم وكان أكثرهم تافها ليست له أية أهمية فكرية أو اجتماعية . ان جهد المؤلف هذا شاق ولكنه غير نافع ، وانى أعد نشر كتابه نوعا من الاسراف . والواقع أن عددا غير قليل من كتابنا يسلكون مسلك هذا المؤلف ، وبهذا ضاعت علينا جهود كان الأحرى بها أن تبذل فيما ينفع الناس ويفتح عيونهم الى حقائق الحياة المحيطة بهم

من المصادفات أن يصدر هذا الكتاب فى وقت كان العراق يزخر بمواسم ثقافية ، فى بغداد وبعض المدن الكبيرة الأخرى . وقد لاحظت أن أكثر المحاضرات التى ألقيت فيها كانت تدور حول مواضيع الأدب والشعر . وقد صادف فى ذلك الوقت أيضا أن تظهر فى « التلفاز » ، ذات ليلة ، ندوة ثقافية كان موضوعها : هل ادعى المتنبى النبوة حقا أم لا ؟ وقد أشار المشاركون فى الندوة الى كثرة ماكتب فى الماضى حول هذه

القضية « المعقـدة » ، وكأنهم أرادوا أن يزيدوا على الابالة ضغثا جديدا

اننا اليوم فى حاجة الى تبديل هذا الاتجاه الذى سرنا عليه أزمانا طويلة . فنحن الآن لايهمنا مثلا أن يكون المتنبى قد ادعى النبوة أو لم يدّع ، وربما كانت هـذه مشكلة تاريخية تليـق بالمختصين أن يدرسوها ويتناقشوا فيها . أما جمهور المتعلمين فالجدير بهم أن يتجهوا اتجاها آخر وأن يصرفوا جهودهم فيما ينسجم مع روح الحضارة التى نعيش فيها .

***

أكاد أعتقد أن الاتجاه الأدبى الذى اعتدنا السير فيه قد أضرّ بنا على وجه من الوجوه ، فهو قد عوّدنا من حيث لانشعر على الأسلوب الحماسى فى التفكير والكتابة ، وجعلنا نبتعد قليلا أو كثيرا عن الموضوعية فى أحكامنا . فاذا كتب أحدنا تغلبت عليه النزعة « الخطابية » وصار كمن يلقى قصيدة رنانة أو يتلو نشيدا حماسيا .

ان هذه صفة ورثناها من عهود بدوية قديمة حين كان النصر فى الحروب يعتمد على الشجاعة وضرب السيف ، وكان للشعر والخطابة أهمية كبيرة فى اثارة الحماس لدى المقاتلين . اما الآن فقـد أصبح النصر يعتمـد على العلم والتقنية والدراسـة الموضوعية ، ولكننا لانزال نتبع الأسـلوب القديم دون أن نشعر بتبدل الدنيا من حولنا . وربما كان ذلك سببا فى استفحال

الاندفاع « الغوغائي » لدى جماهيرنا أحيانا .

لاننكر أن المجتمع العراقي ابتلى بأحداث غوغائية عنيفة أساءت اليه كثيرا وعرقلت عليه السير في الطريق الصحيح . ولست أقصد بهذا الأحداث العنيفة التي قام بها العامة فقط ، بل أقصد أيضا تلك « الموضات » الفكرية التي سيطرت على الكثير من متعلمينا ، مرة بعد مرة ، فانساقوا بها متحمسين ولم يستطع أحد أن يجرؤ على معارضتهم فيها .

اننا في حاجة ماسة الى دراسة تلك الأحداث بأسلوب موضوعي لعل ذلك يجدى فينا ويجعلنا نتردد في أن نقوم بها مرة أخرى . ان كل دراسة من هذا الطراز من شأنها أن تفتح عيوننا الى قيمة ما أنجزنا من أعمال وما تورطنا فيه من أخطاء .

***

من الممكن القول اننا ابتلينا بأصحاب الحماس والاندفاع الغوغائي كمثل ما ابتلينا بذوى الولع المفرط بالأدب . وربما كانت هاتان النزعتان تنبعان من مصدر واحد أو هما وجهان لشيء واحد . فمن طبيعة النزعة الأدبية المفرطة أنها « متحمسة » تصعد بمن تحب الى عنان السماء وتهبط بمن تكره الى الحضيض . وهذا هو الذى جعلنا غير قادرين أن نفهم الأحداث والشخصيات كما يجب أن تفهم على حقيقتها ، بل نندفع معها أو ضدها ، تحدونا في ذلك الشعارات المرفوعة والهتافات المدوية — والويل لمن يخالفنا في الرأى أو لايطير مع « الجمل » حيثما طار !

ان ذلك هو الذى جعلنى أعجب بأبحاث خيرى العمرى ، ومنها هذا الكتاب الذى هو بين يدى القارىء . فقد أتاح لى المؤلف فرصة الاطلاع عليه قبل تقديمه للمطبعة ، فوجدته على نحو ماوصفته فى بداية هذه الكلمة ذا أسلوب موضوعى الى حد كبير . ولست أعنى بهذا أن المؤلف أصاب فى كل ماجاء به من آراء ، أو أنى أوافقه عليها جميعا . ولو كنت قد عنيت هذا لما اختلفت به عن أولئك « المتحمسين » الذين أشرنا اليهم آنفا .

فنحن اذ ندعو الى اتباع الأسلوب الموضـوعى فى الكتابة لانقصد أن يكون صاحبه معصوما من الخطأ . فالواقع أن الخطأ لابد من حدوثه فى كل عمل يقوم به بشر . وقد صدق من قال : « الكمال لله وحده »

على الوردى

تمهيد

يضم هذا الكتاب فى صفحاته محاولات تستهدف دراسة بعض الاحداث البارزة التى وقعت فى تاريخ العراق الحديث وشغلت الرأى العام وأثارت اهتمامه وذلك بقصد التوصل الى حقيقة العوامل المؤثرة بها والاسباب التى أدت اليها والنتائج التى أسفرت عنها

وبطبيعة الحال لا أدعى ان هذه الحوادث التى تعرضت لها هى كل الاحداث الهامة التى وقعت فى تاريخ العراق الحديث ولكنها بلا شك من الاحداث الهامة التى تكون أبرز الحلقات فى سلسلة تاريخ العراق . ولا شك ان دراستها والوقوف على بواعثها والظروف التى رافقتها تلقى أضواء على بعض حلقات تاريخ العراق

ولعل كل حادث من الحوادث التى تعرضت لها يعكس دلالة ويبرز مغزى ، والفصل الاول من هذا الكتاب يعكس حكاية الصراع الحزبى الذى قام بين حزبى الاتحاد والترقى والحرية والائتلاف أيام العهد العثمانى والذى اشتد عند حدوث الانتخابات بحيث اتسع فاستغل غرام ناظم باشا بسارة استغلالا حزبيا مكنه من الاساءة اليه وازاحته من ولاية بغداد

ويبرز الفصل الثانى التيارات السياسية التى ظهرت على المسرح السياسى عندما طرح عرش العراق فى اعقاب الثورة العراقية عام ١٩٢٠ على بساط البحث بشكل جدى ، والصراع الذى نشب بين تيارات مختلفة تنازعت الرأى العام العراقى والمستشارين الانجليز وانعكست لمحاتها واصداؤها فى الصحافة المحلية

ويصور الفصل الثالث حكاية الدعوة الى سفور المرأة فى العراق ، تلك الدعوة التى طرحت على المجتمع العراقى بعد أن انهارت الخلافة فى تركيا وأخذ مصطفى كمال ينهج نهجا اجتماعيا جديدا فى بناء تركيا محاولا قطع ارتباطها بالشرق والاتجاه نحو الغرب بانشاء دولة علمانية وبالغاء الحروف العربية واستعمال الحروف اللاتينية بدلها والغاء الطربوش العثمانى وارتداء القبعة الاوربية ومنع النساء من ارتداء الحجاب وصدى هذه الخطوات فى العراق مما حفز على طرح موضوع سفور المرأة وأدى الى نشوب معارك على صفحات الصحف والاندية والمنابر

ويكشف الفصل الرابع ما اثاره كتاب انيس زكريا النصولى من ضجة واسعة دفعت الطلبة لأول مرة الى طرح شعار حرية الفكر احتجاجا على فصل النصولى بسبب ما جاء فى كتابه « الدولة الأموية فى الشام » من أقوال وآراء ، وما استتبع ذلك من ردود فعل اسفر عن تعقد الجو فسارع الطلبة

الى انهاء اعتصامهم خوفا من نتائج ذلك

ويوضح الفصل الخامس تضامن الطلبة فى عام ١٩٢٨ واسراعهم الى التعبير عن مشاعرهم القومية وشجبهم الحركة الصهيونية وذلك فى تظاهرات عنيفة اندفعت فى شوارع بغداد احتجاجا على قدوم السير الفريد موند احد دعاة الحركة الصهيونية

والفصلان « الرابع والخامس » يكشفان عن نشاط الطلاب فى القضايا العامة وما كانوا يتمتعون به من وعى سياسى، ولعلهما يسجلان بداية أول عمل سياسى لأشخاص برزوا فيما بعد فى تاريخ العراق الحديث وقدّر لبعضهم أن يلعب دوره على المسرح السياسى ..

وقد حاولت فى دراسة تلك الاحداث ان أنهج نهجا بعيدا عما نهجه بعض الذين تصدوا لدراسة تاريخ العراق الحديث ووقفت دراستهم عند حد جمع « المناهج الوزارية » وتدوين « مراسيم تأليف الوزارات واستقالاتها » فجاءت دراستهم اقرب الى التقويم منها الى التأريخ

وذلك لاعتقادى ان مهمة المؤرخ لا تقف عند حد الجمع والتدوين بل تتجاوزه الى محاولة استنطاق تلك الوثائق بعد تحقيقها والتثبت من سلامة نصوصها ـ بحيث يلعب المؤرخ دور القاضى فيأتى بالشهود والرواة ويستجوبهم ويدقق فيما يرد فى اقوالهم وما يأتى فى افاداتهم وبعد ذلك يقابل تلك الروايات

بسواها وما يزال يقابل ويوازن ويرجح حتى يتوصل من خلال تلك المناقشة الى حكم مدعم بالاسانيد والتثبيت والتعليل

وقد قيل بحق ان التاريخ ليس علم تجربة واختبار فقط بل علم نقد وتحقيق وما اصدق هذا الكلام ! ! فالتاريخ بلا شك علم من حيث ما ينطوى عليه من تحقيق واستقصاء تحر — ونقد من حيث انه لا يجوز للمؤرخ ان يقبل كل كلام ويصدق بكل وثيقة من غير تمحيص واستقراء فيأخذ الصادق منها أو أقرب ما يكون اليه ويطرح بعيدا ما لايتوفر فيه الصدق ، واذا افتقر المؤرخ الى ملكة النقد زالت عنه صفة المؤرخ وأصبح مجرد شخص يردد كل ما يبلغه ويصل اليه وليس ذلك من التأريخ بشيء . ولعل التأريخ فلسفة أيضا بقدر ما فيه من تعليل للأسباب وربط بأسبابها ونتائجها وأدب أيضا وأدب وفن من حيث الاداء والعرض ..

***

لقد آن ان يكتب تاريخ العراق الحديث بهذه الروح والا يكتفى من يتصدى لدراسته بجمع المناهج والوثائق ، وبطبيعة الحال لست أقلل من أهمية جمع الأصول ولا أبخس خطورتها فى الدراسات التاريخية ، فمازال تأريخ العراق الحديث بأمس الحاجة الى جمع أصوله وتنسيق وثائقه وتصنيف أسانيده ووضعها فى « أرشيف خاص » ولكن لا أريد للدراسات التاريخية ان تقف عند ذلك الحد ، بل لابد لها من محاولة

استنطاق تلك الوثائق والنصــوص واستقرائها والغــوص الى اعماقها والوقوف على ما يختفى وراءها مع التحرى عن مصادر اخرى لــكتابة تاريخنا بروح جديدة ووعى عميق يعيننا على فهم أسراره ويساعدنا على كشف طلاسمه ويرفع النقاب عن غوامضه وما اكثرها فى تاريخنا الحديث

ان هذا الكتاب محاولة متواضعة لدراسة تاريخنا بهذه الروح أرجو أن أكون قد حققت فيها ما أنشده وما أتطلع اليه وأن تكون حافزا لغيرى على أن يعالج تاريخنا بهذه الروح

خيرى العمرى

⊛ وهي سارة خاتون اسكندريان (١٨٨٩-١٩٦٠م)، يوجد في حي الصناعة ببغداد منطقة كمب سارة سُمّيت بأسمها.

الفصل الأول

ناظم باشا وسارة ⊛
وحزب الاتحاد والترقي

هذه حكاية وقعت أحداثها فى بغداد منذ نصف قرن ، وكانت بطلتها الى أيام قريبة على قيد الحياة سيدة عجوز يشهدها الناس فى غدوها ورواحها صباح كل يوم تدب على الأرض سعيا وراء مصالحها

وقد ابتدأت كأى حكاية عاطفية أخرى بنظرة وابتسامه ، ثم لم تلبث الحزبية ان استغلتها واحاطتها بالاشاعات والاقاويل ، فاذا بها تصبح مع مرور الأيام اسطورة بين وال عثمانى مستبد طاغية استحكم به النزق والطيش وبين فتاة بغدادية جميلة تقف أمامه بكل ما تملك من جرأة اعتدادا بكرامتها واعتزازا بنفسها ، مما كان يومها حديث الناس فى بغداد

وقد أغرت هذه الحكاية وما فيها من طرافة ومتعة البعض على تناولها ، فأشار المهندس المشهور « وليم ويلكوكس » الذى عاش فى بغداد تلك الفترة فى كتابه « ستون عاما فى الشرق » الذى لم يترجم كله الى الآن ــ اشارة عابرة اليها ، كما هزت ملابساتها شخصيتين أدبيتين فألهمت شاعر بغداد « جميل الزهاوى » قصيدة رائعة وأوحت الى « مسز دراور » بقصة

خيالية استمدت أصولها من هذه الحكاية بعد أن غيرت وقائعها وأدخلت عليها من التحوير ما أبعدها عن جوهر أحداثها الواقعية

ولعلها تغرى هواة السينما من المخرجين بتقديمها الى الستار الفضى ففيها من المواقف الرائعة والصور الممتعة ما يشجع على ذلك

وقد خطر لى أن أقصد يوما بطلة هـذه الحكاية لأسمع من فمها وقائعها فسعيت اليها فى دارها الواقعة فى بغداد الجديدة وذلك فى يوم ٢٣ آذار « مارس » عام ١٩٥٨ ، وجلست اليها جلسة طويلة روت لى خلالها حكاياتها وهى تسترجع الى ذهنها ذكريات عزيزة عليها تذوقت حلاوتها وتجرعت مرارتها ، وانا حين أسرد هذه القصة لا أعتمد على أقوال « البطلة » فهى امرأة قد تستولى عليها فى بعض المواقف مشـاعر الخيلاء والغرور ، وانما سأحاول الرجوع الى مصادر أخرى تعرض لهذه القصة وأربط بينها وأستخرج ما يمكن استخراجه منها ، ولست أزعم ان حكايتى ستكون سليمة فى كل حوادثها وملابساتها فما زلت أشعر أنها تحتاج الى قليل من الايضاح فى بعض المواضع ، ولعل غيرى ممن عاصر هذه القصة أو أتيح له أن يقف على جـوانب منها يستطيع ان يلقى بعض الاضواء عليها

***

القصة وقعت بين وال عثمانى وفتاة بغدادية .. أما الوالى فهو « ناظم باشا » الذى حكم ولاية بغداد عام ١٩١٠ ميلادية ..



ناظم باشا الذى تولى ولاية بغـــداد عـام ١٩١٠
وكانت له مع ســــارة قصـة مشـــهورة

فاستطاع بما يملك من صلاحيات واسعة تختلف عن أسـلافه من الولاة ، وبما يتمتع به من نفوذ شخصي أن يسـيطر على بغداد ويعيد الأمن الى ربوعها بعد ان حرمت منه زمنا طويلا ، بحيث غدت فى عهده آمنة لا تخشى ما كانت تخشاه من سلب ونهب تتعرض له بين وقت وآخر ويثير فيها الرعب والفزع

وأما الفتاة البغـدادية فهى « سـارة » بنت « اتوهانيس اسكندريان » أحد وجوه الارمن فى بغداد التى كانت بجمالها الساحر وثرائها العريض موضع تزاحم الشباب من أبناء طائفتها يتهافتون عليها لخطب ودها ويتسابقون للظفر باعجابها مما كان يزيدها اعتزازا بنفسها وثقة بأنوثتها

وفى حفلة « بالو » خيرية اعد ريعها لانشاء مستشفى الغرباء واقيمت على ظهر باخرة نهرية حضرها القناصل وزوجاتهم وبعض العائلات المسيحية التقى « ناظم باشا » لأول مرة مع «سارة» ووقع نظره عليها وهى فى ميعة الصبا فراعه جمالها واخذه منظرها فتساءل من تكون هـذه الفتـاة ؟ حتى اذا علم انها بنت أخي « سيروب اسكندريان » الذى عينه مديرا للادارة النهرية أسرع يتعرف بها ويعبر لها عن اعجابه بما يقتضيه المقام من « لباقة » و « ظرف » مما لفت أنظار الحاضرين الى هذه العناية التى أسبغها الوالى على الفتاة

وكانت هذه الحفلة جديدة على أهل بغداد من حيث تنظيمها على ظهر باخرتين مزينتين بالاضواء والاعلام ومن حيث جوها

الاجتماعي الجديد الذي يضم لأول مرة النساء والرجال معا .

وقد تناقل البغداديون في مجالسهم أخبار هذه الحفلة بدهشة وفضول وأسهبت صحافة بغداد بالحديث عنها فرحبت جريدة « صدى بابل » بها وتحدثت غير مرة عن تلك الحفلة باعجاب شديد في حين لم تخف جريدة « الرقيب » تبرمها بما وقع خلال تلك الحفلة من « رقص » و « غناء » (١)

ويبدو ان تلك المقابلة قد تركت في نفس سارة أثرا شجعها على طلب مواجهة الباشا لتعرض عليه مشكلتها التي كانت تتلخص في رغبتها بعزل عمها من الوصاية اعتقادا منها انه وأولاده يعبثون بأموالها ونصب المطران بدلا منه .. وقد عجزت من مراجعة الدوائر من غير ان تتوصل الى شيء يطمئنها

وقالت سارة تصف هذا اللقاء : « استقبلنا الباشا في داره الواقعة على نهر دجلة بكل ما يملك من بشاشة ولطف وجلس يستمع الى المشكلة التي قصدناه من أجلها وكنت يومها في السابعة عشرة من عمري أرتدي الازلق والبوشي شأن أترابي من فتيات ذلك الجيل وقد أخذتني هيبة الباشا وشخصيته فخجلت من الكلام بحضوره ، ولزمت الصمت خجلا ، وأخذت عمتي صوفيا تبسط له الموضوع وتعرب له عما يساورنا من شكوك

---

(١) راجع جريدة صدى بابل في أغسطس سنة ١٣٢٧ تجد عدة مقالات في وصف الحفلة ، وراجع جريدة الرقيب في نفس الشهر تجد في العددين ١٤٠ ، ١٤٢ مقالتين ، الاولى بعنوان « اجمل للسفاهة حدا » والثانية بعنوان « الانس على البواخر »

بشأن الوصى الذى يتولى ادارة أموالنا وعن رغبتنا فى عزله .. وكان الباشــا خلال الحــديث يصغى باهتمام ، ويوجه بين حين وآخر نظراته الى وهو ينفث الدخان من غليونه ..

وانصرفنا بعد ان وعدنا بالمساعدة وبقيت وعمتى ننتظر ما سيقوم به الباشا ، وبعد أيام تناهت الينا أخبار تشير الى انه أستدعى عمى وأبناءه وطلب اليهم أن يقــدموا اليه كشــفا بمصروفاتى وأموالى خلال « ٢٤ ساعة » وبعثت هذه الاخبار فينا التفاؤل . ولكن فجأة بدت فى الموقف بوادر غير مفهومة واذا بدانيل ابن عمى يدخل على ذات مساء وهو مضــطرب ويبادرنى قائلا وهو يتلفت يمينا ويسارا :

ــ ان الباشا يريدك زوجا لسكرتيره الخاص سورين ! !

وبهت لهذه المفاجأة وحملتها بادىء ذى بدء على محمل المزاح ، ولكن راعنى أن دانيل أخذ يلح على ومضى يزين لى قبول هذا الزواج قائلا :

ــ غدا ستكونين المرأة المقربة للباشا وسيكون كل شىء رهن اشارتك وطوع بنانك ! ! فأدركت ان الأمر جد لا هزل فيه ، وان وراء هذا العرض والاغراء خطــة مدبرة بين أبنــاء عمى والباشا تستهدفنى بالذات وتجعلنى موضع مساومة ، وأسرعت أوبخه بشدة ، فانصرف دانيــل وبقيت نهبا لأحاسيس مختلفة تتجاذبنى ذات اليمين وذات اليسار

ولم يكف دانيل عنى فعاد بعد يومين يقول لى بصراحة :



سارة فى عام ١٩١٣ عندما كانت فى باريس
حيث تزوجت بعد هروبها من ناظم باشا

ـ ان الباشا نفسه يريدك زوجة له ! ! وكأنه حسب انني رفضت سورين سكرتيره استصغارا لشأنه واحتقارا لمكانته ، وان طموحي البعيد لا يشبعه الا رجل كبير القدر كالوالي ! ! ومضى يغريني ويصوّر لي الفرص الذهبية التي تنتظرني ، تارة بالتوسل ، وطورا بالتهديد ..

***

وكان من الطبيعي بعد أن رفضت « سارة » هذا العرض ان يتعقد الموقف ، فشعرت بأنها تحت رقابة صارمة تستهدف حركاتها وتنقلاتها ، فرضها عليها الباشا بقصد تثبيط عزيمتها وتفتيت معنويتها وتعرضت بسببها الى مضايقات شتى ، منها : انها استيقظت ذات صباح على طرقات شديدة تقرع بابها فلما أسرعت تطل من الشباك لتستطلع جلية الأمر وقع بصرها على عدد من العسكر يسألون عنها ويطلبون احضارها فاسرعت سارة وقد تملكها الرعب تتسلق الحائط الى الدار المجاورة التي يسكنها الدكتور « هسا » القنصل الالماني حيث بسطت اليه الأمر طالبة حمايته فوضعها الرجل في عربته وذهب بها الى دار السيد داود النقيب في باب الشيخ حيث أمضت بضعة أيام

وتكررت هذه المضايقات فزجت « لولو » و « فريدة » خادمتاها في السجن بتهم ملفقة وتعرض الجندرمة لها مرة أخرى عندما كانت خارجة بعربة من دار النقيب وكادوا أن يقبضوا عليها لولا ان بعض « فتيان الطرف » بدافع من شهامتهم وبباعث

من فروسيتهم تصدوا للجندرمة وتماسكوا وتجاذبوا معهم بحيث مكنوها من الهرب .. ومضت السلطة تمعن فى الملاحقة بوسائل شتى فمنع البلامة ــ أصحاب الزوارق ــ والمكارية ــ أصحاب الدواب ــ من نقلها وكادت ان تبقى وحيدة فريدة فى دارها البعيدة عن المدينة ، لولا « سبع » ذلك الفتى البغدادى الاسمر الذى كان يدلف اليها بزورقه فى غفلة عن أعين الرقباء ويحملها الى دور بعض أقاربها .. وتعرض خطيبها الى حملة استهدفت اجباره على التخلى عنها فأبعد الى كركوك بحجة أداء الخدمة العسكرية رغم انه سدد البدل الذى يمنحه الحق فى أداء التدريب فى محل اقامته اسوة بغيره من المكلفين !.. واتفق ان كانت سارة جالسة ذات مساء فى حديقة دارها المطلة على نهر دجلة فى كرادة مريم ، واذا « بدانيل » ابن عمها يدخل اليها فجأة ويطلب اليها ان ترافقه الى زورق ينتظرها فى ساحل النهر ليأخذها الى الباشا فلما رفضت حاول ان يحملها بالقوة الى الزورق فصرخت مستغيثة وأسرع الفلاحون فى حديقتها بمساحيهم وعصيهم يخفون الى نجدة « الخاتون » فهرب « دانيل » خوفا !

***

شعرت سارة بعد هذه التطورات ان بقاءها فى دارها وهو بعيد عن قلب المدينة لا يخلو من الخطر ، فانتقلت الى « رأس القرية » تسكن مع عمتها صوفيا الا ان ذلك لم يقطع الحملة

عليهــا التى أخذت تستهدف عمتها فتعرضت بسبب ذلك الى تهديدات شتى فكان البعض يزورها ويهمس فى اذنها قائلا :

ـ ان الباشا حانق غاضب لأنك آويت سارة وسيفعل بك ما يفعل ! ولكن « صوفيا » صمدت فى هذه المحنة ووقفت تشد من أزر بنت أخيها فى الوقت الذى أشــاح عنها الأقارب وتنكر لها الأهلون ، وانفجرت مرة فى وجه منافق كان يكثر من تهديدها وتحذيرها قائلة :

ـ ان سارة أمانة فى عنقى وستبقى فى دارى وليفعل الباشا ما يشاء ! !

واتفق فى هــذه الآونة ان أرادت « ســارة » اســترجاع مخشلاتها وكانت مودعة لدى دانيل ابن عمها باعتباره أحــد الاوصياء عليهــا ، فبعثت من يخبره بذلك ، فلما أعاد اليهــا المخشلات اكتشفت أن خاتمها مفقود ، فلما سألتــه أجابها دانيل بصراحة :

ـ ان الباشا محتفظ بالخاتم ، وانه لا سبيل الى استرجاعه الا بمقابلته ومكاشفته برفضها قبوله زوجا ..

وفهمت سارة ان هذه وسيلة مدبرة تستهدف اجتماعها به وحاولت ان تتحاشى ذلك ولكنها بعد ان يئست لم تر بدا من النزول عند نصــيحة بعض أقاربهــا واصدقائهــا فى مقــابلته ومكاشفته بالحقيقة ..

وقالت « سارة » تصف هذا الاجتماع : « سعيت الى الباشا

وقد رافقنى بعض أقاربى وكان لقاؤنا معه يسوده جو من الرهبة والخوف وأخرج الباشـا الخاتم من جيبه وقال وهو يحدجنى بنظرات غريبة امتزجت فيها معانى التهديد بالغضب : « هل أعيد الخاتم اليك يا سارة أم أحتفظ به عندى ؟ ! »

لقد شعرت كأن الارض تدور بى وان مزيجا من المشـاعر القلقة استولت على وهممت ان اقول شيئا ما ، ولكن لسانى ارتج على وتسمرت قدماى ، ورحت اقلب ناظـرى فى وجوه الاقارب الذين كانوا معى ، لعلى استرجع هـدوء اعصـابى واستمد منهم ما يزيدنى شجاعة فى هذا الموقف ، ثم التفت اليه وقلت ولا اعرف كيف واتتنى شجاعتى :

ـ اذا كنت يا باشا تريد الخاتم مقابل ما اسديته من جميل فهو لك ، اما اذا أردته لشىء آخر فيؤسفنى ان أرفض !

واثارت هذه الاشارة الباشا فأنقلبت سحنته بغتـة واحمرت عيناه غضبا واستولى على الحاضرين من الاقارب خوف شديد وشعرت كأننا مقبلون على زوبعة شديدة ، وفجأة قال الباشـا بانفعال :

ـ انصرفوا ، غدا سأبعث الخاتم اليكم ..

وانصرفنا ونحن اشد ما نكون خوفا ووجلا وما كدنا نبتعد قليلا حتى انهال علىّ الاقارب لوما وتقريعا وتوقعوا ما توقعوا من محن ومآسى !

وسرعان ما تسربت أنبـاء هـذه الحكاية الى المدينة فراح البغداديون يتهامسون فى مجالسهم بادىء ذى بدء بأمر الوالى العاشق ويتناقلون عنه روايات لعل بعضها لا يخلو من المبالغة ويروون عنه قصصا لعل بعضها لا يسلم من التهويل ، وكلهـا تصور كيف استبد الوله به استبدادا أنساه اتزانه ومركزه وقاده الى تجاهل ما تقتضيه التقاليـد الاجتماعية من التحلي بالرزانة والتعقل ، فاذا به ينقلب الى رجل يركض وراء شهواته ونزواته علنا ، لايردعه عن ذلك قانون ولا يحول دونه مانع من ذوق او كياسة

ولم يلبث ان تحول الهمس الى احاديث صريحة تستنكر هذا الضرب من السلوك ، بل وصل الامر الى اغانٍ و « بستات » تتضمن اشارات غمز ولمز ، واسرع خصوم « ناظم باشا » وهم كثيرون خلقهم بسياسته الجريئة وخطته الصارمة التى انتهجها فأثارت من جهة أصحاب الاملاك عليه عندما تعرض الى املاكهم بالهدم تمهيدا لشق الشوارع الجديدة ، واغضبت القنصليـة البريطانية عليه من جهة أخرى عندما هدم جوانب من ابنيتهـا واصطدم مع السير وليم ويلكوكس وجمد بعض مشـاريعه واعترض على نفقاتها الباهظة ، وازعجت اعضاء «حزب الاتحاد والترقى » الذى كان يقف منه موقف المعارضة بحكم الخصومة السياسية القائمة بين حزب « الاتحاد والترقى » وبين « حزب الحرية والائتلاف » فى بغداد

وقد لعب الاتحاديون فى بغداد دورا بارزا فى استغلال التذمر الذى خلقته سياسة «ناظم باشا» فى مختلف الاوساط والاندية ، لتنظيم حملة دعاية واسعة استهدفت الاساءة الى سمعته كشخصية لامعة فى حزب « الحرية والائتلاف » تنافس شخصية « محمود شوكت » التى يلتف حولها الاتحاديون وتقف حجر عثرة تحول دون نشاط الاتحاديين فى بغداد ولاسيما فى أوقات انتخابات مجالس الولاية والانتخابات النيابية

واختلق الاتحاديون فى سبيل ذلك الروايات وروجوا الاشاعات ومارسوا حرب أعصاب شديدة واغلب الظن انهم استغلوا حادثة « سارة » على نحو يتلاءم واغراضهم ، فراحوا يثيرون فى أهل بغداد الشهامة والحمية ونظموا المضابط الاجتماعية التى سرعان ما نقلت الى الاستانة

واتفق فى هذه الآونة ان مر ببغداد « اسماعيل حقى بابان » فى جولة انتخابية وصحفية حيث كان يراسل جريدة « طنين » المشهورة ، وهو من أبرز نواب بغداد وألمع خطباء حزب الاتحاد والترقى فى مجلس المبعوثان ، وأشدهم حماسة فى المناقشات البرلمانية ، وكان أستاذا للقانون الدستورى قدر له أن يموت فيما بعد ميتة روماتيكية وذلك فى قاعة الدرس عندما كان يحاضر فى الدستور وهو شاب لايزال فى ربيع الحياة

فانتهز الاتحاديون فى بغداد فرصة مروره وهيئوا لسارة فرصة الاجتماع به ، لتبسط اليه موضوعها وتهيب به للدفاع

عن قضيتها العادلة وتعريف الرأى العام فى الاستانة بها

وفى ليلة مظلمة تسترت « سارة » بظلامها الحالك وتسللت الى أزقة « الصابونجية » لتلتقى هناك فى دار « سليم بابان » مع فتى اسمر انيق كان فى انتظارها هو « اسماعيل حقى بابان » الذى سرعان ما وجدت فيه بعد ان بثته ظلامتها من الحماسة والاندفاع لتأييدها ما زادها شجاعة وصلابة

***

ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت آثار الحملة التى نظمها الاتحاديون فى بغداد ، فسرعان ما قامت فى الاستانة ضجة بدأت فى الصحف المؤيدة لحزب الاتحاد والترقى ثم تسربت الى مجلس المبعوثان بحيث تشجع عدد من نواب بغداد الذين طالما اشبعهم نقدا الشاعر البغدادى عبد الرحمن البناء بتحريض من ناظم باشا على الاسهام بهذه الحملة فقدموا فى ١٢ كانون ثان — يناير عام ١٩١١ تقريرا حملوا فيه عليه حملة شعواء وغمزوه بهذه الحادثة حين اشاروا فى تقريرهم الى « الاحوال المؤسفة التى يخجل عن بيانها القلم واللسان وبسبب المنشورات المخجلة الملصقة فى بعض الأزقة » وقد أثار ذلك الغيظ عنده مادفعه الى تحرى الدور واستخدام الأساليب الاستبدادية (١)

(١) محضر مجلس المبعوثان العثمانى الدورة الاولى للسنة الثالثة عام ١٣٢٦ رومية صفحة «٩٢٦» ، وقد قدم التقرير المذكورة كل من محمد على فاضل وداود اليوسفانى نائبا الموصل وساسون حسقيل نائب بغداد وشوكة رفعت نائب الديوانية وعبد المهدى الحافظ نائب كربلاء ومحمدعلى قيردار نائب كركوك

وعندما وضع هذا التقرير موضع بحث فى مجلس المبعوثان قامت مناقشة حامية تبادل فيها الاتحاديون والائتلافيون الاتهامات القاسية ، ووقف فى تلك الجلسة المنعقدة فى ٦ شباط ــ فبراير عام ١٩١١ « طلعت باشا » وزير الداخلية يغمز قناة ناظم باشا بحادثة « سارة » ويلوح بالتحقيق والعزل وطبيعى ان حزب « الحرية والائتلاف » لم يعدم فى بغداد أنصارا يسندون سياسته ولاسيما وانه كان فى تلك الفترة يتبنى الدعوة الى اعطاء الولايات العثمانية شيئا من الحكم الذاتى عن طريق توسيع صلاحيات مجالس الولاية واقرار نظام اللامركزية

تلك الدعوة التى كانت تتفق مع مراحل سير الحركة العربية ذلك الوقت فى المطالبة باللامركزية اسوة بغيرهم من القوميات الاخرى فى الامبراطورية العثمانية والتى وقف حزب « الاتحاد والترقى » يعارضها بعنف بلغ حد الدعوة الى تتريك القوميات الأخرى . ومن هنا كان حزب « الحرية والائتلاف » الذى يعارضه ويدعو الى اللامركزية ، يحظى بعطف فى الأقطار العربية

وقد سارع الائتلافيون الى خوض هذه المعركة الى جانب ناظم باشا يدفعون عنه الاتهامات ويبعدون عنه الشبهات ، فانهالت البرقيات وتوالت المضابط وبرزت بعض الصحف البغدادية وفى مقدمتها جريدة « صدى بابل » تدافع عنه ، كما اندفع صحفى آخر هو « سليمان الدخيل » صاحب جريدة « الرياض » الى تأليف رواية تفند ما اتهم به ناظم بملاحقة

سارة ، نشر فصلا واحدا منها فى مجلة « الحياة » العدد الاول فى كانون الثانى ١٣٢٧ هـ

وتطورت الأمور بسرعة بحيث تلبد الجو بغيوم كثيفة ، وشعرت « سارة » بالخطر يحدق بها وبالنار تدنو منها ، لاسيما بعد ان بلغتها انباء تشير الى ان الباشا يسعى بكل ما يملك من نفوذ الى الحصول على تقرير طبى يؤيد انها تعانى من مرض عقلى يستلزم وضعها تحت الحراسة ، وادركت « سارة » ما ينطوى عليه هذا الإجراء وما يهدف اليه الباشا من ورائه ، فاستقر رأيها على الفرار بأى شكل من الاشكال تخلصا من قبضة الباشا ، وسارعت الى دير الراهبات الفرنسيات عندما نقل اليها ان احدى الماسيرات تستعد للسفر الى لندن لتطلب اليها ان تسافر معها

وفى ساعة مبكرة من صبيحة تلك الايام ، وقبل ان يبزغ الفجر ويتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود تسلل من دير الراهبات الفرنسيات ثلاثة اشخاص : امرأة بدينة عجوز هى الماسيرة هنريت ورجل طويل القامة هو الراهب الاسبانى «بيير» وتتوسطهما فتاة جميلة ارتدت ثياب راهبة فرنسية هى «سارة» ، وراح الثلاثة يسيرون بخوف وحذر بين منعرجات « عكد النصارى » ويتلفتون كأنهم يريدون اتقاء النظرات حتى اذا وصلوا الى المصبغة أسرعوا يدخلون الى باخرة من بواخر بيت اللنج يرفرف عليها العلم البريطانى كانت فى انتظارهم

ويبدو ان الرقابة المفروضة من قبل الباشا على «سارة» كانت من الدقة ، بحيث اكتشفت هذه اللعبة فى آخر مرحلة ، فسارع « سورين » سكرتير ناظم باشا و « دانيل » بعد ان بلغهم الامر الى الباخرة وحاولوا الدخول اليها لمنع «سارة» من السفر الا ان « القبطان » باستعانة حرس الباخرة حال دون ذلك ، محتجا بما كانت تتمتع به البواخر التابعة للقنصليات الاجنبية فى ذلك الزمن من حصانات دبلوماسية لا تسمح لأحد بتفتيشها الا بعد حصول اذن من القنصل ، وعندما يئس سورين من الدخول الى الباخرة عاد لاستكمال الاجراءات اللازمة ، فأخذت الباخرة تسير صوب البصرة بأقصى سرعتها

وجن جنون الباشا عندما ادرك ان العصفور قد أفلت من يديه ، فأبرق الى والى البصرة يطلب اليه القاء القبض عليها واعادتها الى بغداد مخفورة رغم ان هذه الولاية لم تكن تابعة له بهذه الامور .. ولم يدهش الوالى لذلك فقد كانت اخبار هذه القضية قد بلغت مسامعه الا انه طلب ببساطة ارسال الاوراق التى تستوجب اتخاذ هذا الاجراء !

فأسقط فى يد الباشا وراح يفكر بحجة يتذرع بها لاعادة العصفور الهارب اليه فهداه تفكيره الى اتهام دير الراهبات الفرنسيات بأنه قام بتهريبها بقصد حملها على اعتناق المذهب الكاثوليكى وحرض بعض اقاربها من الطائفة الارمنية من أتباع المذهب الارثوذكسى على رفع عريضة بهذا المعنى ليجعل منها

حجة يعتمد عليها فى اتخاذ الاجراءات

ولم تكن القنصلية البريطانية او الباليوز ـ كما كان يسميها اهل بغداد فى ذلك الوقت ـ لتجهل الاثر الشديد الذى خلفه هروب سارة لدى الباشا الذى دفعه الى الايعاز الى كل المدن والموانىء التى ترسو بها الباخرة بايقافها والقاء القبض على سارة ، فأوعزت الى الباخرة المذكورة ان تتجه رأسا دون توقف الى البصرة حيث يكون القنصل الروسى فى انتظارها لاتخاذ ما يجب من الترتيبات لانقاذ « سارة »

وكتب السير وليم ويلكوكس فى كتابه « ستون عاما فى الشرق » يصف بايجاز هروب سارة من البصرة ومغامرة القنصل الروسى فى تسهيل ذلك فقال : « حالما وصلت الباخرة الى البصرة احاطتها زوارق الجنود ، لكن الفتاة ركضت من ظهر الباخرة وقفزت الى زورق القنصل الروسى ثم اخذها القنصل الى احدى بواخر الهند البريطانية ولم تنزل الا فى البوشهر حيث مكثت مدة وجيزة .. » (١)

وقد روت سارة تفصل هذا الكلام الموجز فقالت :

ـ لقد كانت المشكلة التى تواجهنا هى هذه الاجراءات المتخذة لتأمين القاء القبض على واعادتى الى بغداد تنفيذا لأوامر الباشا ، وقد حشدوا لهذه المهمة عددا غفيرا من الجنود لمحتهم

(١) انظر جريدة البلاد فى ١٦ و ١٧ كانون الاول عام ١٩٣٥ ترجمة فصلين من كتاب « ستون عاما فى الشرق » للسير وليم ويلكوكس من قبل بشير اللوسى .

من بعيد ونحن نقترب من البصرة فمضينا نفكر فى التسلل من هذا النطاق فخطر لى مرة أن أرتدى ملابس رجل امعانا فى التخفى ، وعنّ لى طورا أن أخفى نفسى بين الأمتعة والصناديق ، وفيما انا اتقلب بين هذه الافكار والى جانبى الماسير هنريت تصلى وتبتهل لسلامتى والأب « بيير » جالس حائر ، اذا بزورق يحمل العلم الروسى يقبل نحونا بسرعة خاطفة ويقفز منه الى زورقنا رجل اشقر رشيق يدخل ويعرفنا بنفسه القنصل الروسى - وقد شعرت ببصيص من الأمل فى وسط هذا الجو المشبع بالخوف وانتحى بى القنصل جانبا بعيدا عن الماسيرة هنريت والاب بيير واعرب عن شكوكه فى صحة ما يقوله الباشا من اننى أريد اعتناق المذهب الكاثوليكى !

فلما طمأنته بعدم صحة ذلك واقنعته بأنى هاربة من ملاحقة الباشا ومطاردته لى اطمأن الى ذلك وقفز بى الى زورقه الذى انطلق بسرعة خاطفة كالسهم يخترق زوارق الجنود العثمانية التى حاولت عبثا وقد أخذتها المباغتة أن تلحق بنا ، وواصل الزورق سيره بهذه السرعة حتى انتقلت بعد ان قطعنا مسافة بعيدة الى احدى بواخر الهند البريطانية التى نقلتنى الى البوشهر

***

وأمضت « سارة » فى البوشهر فترة قصيرة كانت خلالها موضع عناية السير برسى كوكس مندوب الحاكم الملكى فى الهند ، الذى سهل لها ارسال البرقيات الى كل من طلعت باشا

وزير الداخلية ومحمود شوكت باشا فى الاستانة تطالب فيها بالمحافظة على املاكها فى بغداد والاحتجاج على ملاحقة ناظم باشا لها ، كما قام السيد برسى كوكس بالتعاون مع القنصليات الفرنسية والايرانية والروسية فى البوشهر بتأليف لجنة طبية تضم طبيبا عن كل قنصلية من القنصليات المذكورة اعدت تقريرا طبيا يؤكد سلامة سارة من كل مرض عقلى ، وذلك ردا على طلب القنصلية العثمانية باعادة سارة الى بغداد استنادا الى التقرير الطبى الذى حصل عليه ناظم باشا ! وابحرت بعد ذلك « سارة » الى « بومبى » لتواصل سفرتها بعد مدة الى «لندن»

وفى استانبول تعقدت القضية ولعبت الاغراض الحزبية دورها وارتفعت الضجة فى الصحافة والبرلمان فقررت حكومة الاتحاديين ارسال هيئة للتحقيق فيما نسب الى ناظم باشا من اتهامات • وقبل ان تصل الهيئة الى بغداد فى تموز عام ١٩١١ ، اصدرت الحكومة امرا بعزل ناظم باشا من ولاية بغداد فوقع الخبر موقع الصاعقة وبادر انصار الباشا ومؤيدو « حزب الحرية والائتلاف » الى القيام بمظاهرات صاخبة احتجاجا على ذلك العزل وسارت فى الشوارع وهى تقرع الطبول واتجهت الى دار ناظم باشا واخرجته واركبته فى العربة

وراحت تطوف به فى ازقة بغداد وهى تهتف : « الله ينصر دولتنا ناظم باشا والينا » حتى اذا وصلوا به الى السراى

واجلسوه فى مكتبه الرسمى اتجهوا الى دائرة البرق وتجمهروا فيها وظلوا يبرقون برقيات متوالية تطالب باسم الالاف من الناس ابقاء ناظم باشا فى بغداد واليا (١)

وقد أبرق أيضا عدد من الضباط الذين يعملون بامرته فى الفيلق السادس الى استانبول يهددون بالاستقالة الاجماعية احتجاجا على عزل الباشا ! مما اثار مخاوف الحكومة وخشيت ان تكون هذه المظاهر بوادر تمرد فى بغداد

وقد أعرب وزير الداخلية طلعت فى « مجلس المبعوثان » عن ذلك الشعور قائلا :

ـ لقد دققنا فى مجلس الوزراء يوم الخميس الماضى موضوع الشكاوى الواردة حول ناظم باشا واثناء ذلك وصلت عدة شفرات من بغداد تشير الى ان ناظم ارسل منسوبيه بين العرب يقصد عقد اجتماع هام ومن المحتمل أن يسبب وقوعات هامة ! وبعد يومين ذهب « ٢٠٫٠٠٠ » شخص الى محل البرق وابرقوا مطالبين ابقاء ناظم فى بغداد وكنا نحن على اتصال مستمر مع ناظم وهو يعرف ان قرارا صدر من مجلس الوزراء بعزله وقد أعطيت جوابا لهم بألا تمنعوا الاهالى من ممارسة اعمالها وانتظروا الاجراءات التى تقرها الحكومة ومع ذلك كان الاهالى مصرين بحيث ذهبوا الى داره واخذوه فى العربة . وعلى كل حال ليس صحيحا صدور هذا الاجراء على ابقائه .. وقد أبرق بعض

---

(١) مختصر تاريخ بغداد ـ على ظريف الاعظمى ص ٢٥١ ـ ٢٥٢

الضباط الى رئاسة مجلس المبعوثان انه لايجوز تبديل ناظم باشا واذا بدل فسوف نستقيل بالاجماع .. وبعد ورود هذه البرقية على الحالة الغريبة من الضباط اقتنع مجلس الوزراء انه لايجوز مطلقا ابقاء ناظم فعزله من منصبه (١) ..

على ان الانصاف يقضى علينا ان نقول ان الضجة التى ارتفعت فى بغداد اثر عزل ناظم يرجع كثير من اسبابها الى الاصلاحات التى حققها الرجل فى المدة القصيرة التى تولى فيها ولاية بغداد، فهو الذى شيد السدة المعروفة باسمه لحماية بغداد من الفيضان وردم المستنقعات ، وفتح بعض الشوارع العريضة المسفلتة بالقير، وبنى مستشفى الغرباء والحديقة المعروفة باسم « ملت بقجه‌سى» ومنح امتيازا للترام الى « محمود الشابندر » ونظم انشاء صيدلية من قبل بلدية تفتح ابوابها ليلا ونهارا واعتنى بالسجن بحيث أدخل بعض الاسس الجديدة المتبعة فى ادارة السجون الحديثة فى اوربا من تشغيل المحكومين والاستفادة منهم فى بعض الاعمال ، وجلب ماكينة لرش الطرق بالماء أيام الصيف ، وحصل على فتاوى من علماء الدين تقضى بتحريم الغزو الذى تمارسه العشائر ، وعمل على اصلاح شط دجلة والفرات بحيث جعل النهرين صالحين للملاحة ، وأدخل تجديدات فى نظام الجندرمة ، ورفع لائحة قانونية تتضمن برنامجا اصلاحيا لولاية العراق ، ولذلك ليس من العجيب أن يحتل ناظم باشا لدى البغداديين

---

(١) عن محاضرة مجلس المبعوثان العثمانى الجلسة المنعقدة فى ٢٤ كانون ثانى ١٣٢٦ رومى

مكانة طيبة حتى ان « حمدى بابان » أسماه ب « مدحت باشا الثانى »

ولاشك أن أغلب الاصلاحات التى قام بها الرجل كانت بدافع من النزعة الاصلاحية التى تشبع بها منذ ان كان فى فرنسا أيام دراسته فتأثر بالحضارة الاوربية ومبادىء الثورة الفرنسية التى تأثر بها اغلب ابناء ذلك الجيل من الشباب

ولم ير ناظم بدا بعد ان تطورت الامور الى هذا الحد وأصرت حكومة الاستانة على ابعاده من ان يترك بغداد فى مارس عام ١٣٢٧ هـ وقد خلف وراءه ذكرياته واحلامه

وقد اختار ناظم طريق الهند لعودته ليعرج على « بومبى » آملا فى ان تسنح له فرصــة اللقاء مع ســارة التى سبقته الى هناك ، فى طريقها الى « لندن »

وقد شيعه « جميل الزهاوى » بعد ان غادر العراق بقصيدة شديدة افرغ فيها كل ما كان يضمره له من حقد بسبب عزله من منصبه كمدرس فى « مدرسة الحقوق » بعد ان نشر مقاله المشهور فى جريدة « المؤيد المصرية » حول حقوق المرأة وما اثاره من ضجة عنيفة .. فقال :

رام هتكا لما تصون فتاة كسبت فى امر العفاف اشتهارا
رام شيئا لبنت بغداد يزرى فعلى الشعب : شعبها ان يغارا
بنت قوم لم يدنس العرض منهم بقبيح هم من سراة النصارى

ومنها :

آيها المصلح الكبير أهذا . ما يسميه بعضهم اعمارا
إلبدار البدار يا أهل بغداد الى السؤدد البدار البدارا

ومنها :

ألبسوه ثوب الولاية ، لكن كان ما ألبسوه ثوبا معارا
فنهوه عن الحكومة لما عاث فيها واستأثر استئثارا
قد مشاها خطى تعثر فيها لا إقال الرحمن منه العثارا
يامهين العراق هل كنت تدرى ان أهل العراق ليسوا غيارى
سر بعيدا الى سلانيك عنا ان فيها كواعبا ابكارا (١)

وما كاد ناظم يهبط فى بومبى ويضع حقائبه فى فندق « تاج محل » حتى اسرع يفتش عن « سارة » ويسأل عنها مستعينا بمعارفه مسترشدا بأصدقائه ، وكانت الدوائر البريطانية قد علمت بقدومه وما رافقه من اشاعات تفيد انه ربما سيحاول خطف سارة بواسطة بعض رجاله فأسرعت تخبر «سارة» لتغير عنوانها فاختفت عن الانظار احتياطا ، حتى اذا مرت عدة أيام ويئس الباشا من العثور عليها رغم ما بذله فى سبيل ذلك من جهد ، خرجت من مخبئها

ولما عادت الى « البانسيون » الذى تسكنه سلمتها صاحبته ظرفا وقالت لها :

— ان رجلا كبيرا تبدو عليه علامات الهيبة والوقار جاء يسأل عنك غير مرة ، وألح فى السؤال وأسرف فى الاستفسار

---

(١) ديوان الزهاوي — المطبعة العربية مصر ١٩٢٤.

ولما يئس توسل الى أن أسلمك هذا الظرف ! .. ولما فتحته وجدت فيه رسالة عاشق متيم أودع فيها كل ما فى صدره من جوى ، وأفرغ فيها كل ما فى جوانحه من هوى ، مع صورة مهداة لها كتبت عليها عبارة عاطفية .. قرأتها فى اضطراب وقلق وطوتها بين اوراقها فى حياء وخجل -

وقد كانت هذه الرسالة آخر ما بينها وبينه من صلة ، فقد سار كل منهما بعد ذلك فى دربه . اما هو فقد ذهب الى استانبول حيث قتل بعد ذلك فى كانون الثانى عام ١٩١٣ ، وأما هى فقد سافرت الى باريس حيث تزوجت هناك وعادت بعد الاحتلال الى بغداد وانجبت ولديها « برسى » و « صوفيا » وقد أسمتهما بالاسمين المذكورين اعترافا بالجميل الذى أسداه لها السير برسى كوكس وعمتها صوفيا فى أيام المحنة التى مرت بها ، وعاشت ما كتب لها فى لوح القدر أن تعيش حتى وافاها الأجل قبل سنوات قريبة ..(١)

(١) كانت وفاة سارة خاتون اسكندريان سنة ١٩٦٠م

الفصل الثانى

الصراع السياسى
حول العرش العراقى

فى ١١ تشرين الأول / ١٩٢٠ وصل السير (برسى كوكس) الى بغداد يحمل فى حقيبته مشروعا جديدا لنظام الحكم فى العراق وضعت أسسه ورسمت خطوطه فى (لندن) على ضوء الأحداث التى نشبت فى العراق ودللت على فشل سياسة السير آرنولد ولسن وكيل الحاكم العام السابق فى تجاهل أمانى الشعب العراقى فى تأسيس حكم وطنى .

ومع أن الثورة فى العراق كانت عند وصول السير (برسى كوكس) قد دخلت فى دور النهاية ، بحيث أوشكت نارها أن تخمد فى أغلب المناطق ، الا أنها تركت لدى الرأى العام البريطانى آثارا شديدة لما سببته من خسائر فادحة للحملة البريطانية وتكاليف باهظة تحمل عبأها دافع الضريبة البريطانى ، فارتفعت فى انجلترا أصوات التذمر تطالب بانتهاج سياسة تخفف من ثقل الأعباء المالية من جهة ، وتجارى الروح الحديثة التى سادت الشعوب بعد انتشار مبادىء ولسن فى حق تقرير مصيرها من جهة أخرى .



عبد الرحمن النقيب



طالب النقيب

وقد أختير (السير برسى كوكس) خلفا للسير (آرنولد ولسن) ليجرب سياسة أكثر لينا وتساهلا تستهدف انشاء حكومة عصرية وفقا لنصوص الانتداب ، بناؤها الداخلى انجليزى ووجهها الظاهر عربى .

لذلك لم يكد يفرغ السير (برسى كوكس) من المداولات التى عقدها مع المستشارين الانجليز أمثال المس بيل ، ويونام كارتر ، وجون فيلبى ، والميجر بولارد ، حتى أعلن للناس فى ٢٦ تشرين الأول / ١٩٢٠ أن حكومته اتتدبته « لتشكيل حكومة وطنية فى العراق بنظارة حكومة بريطانية » .

وكان من الطبيعى وقد فشلت الثورة من الناحية العسكرية

ان يتجه ببصره الى العناصر السياسية التى وقفت منها موقف المعارض ليستعين بها فى تأليف الوزارة . وقد برز فى هذه الفترة مرشحان لرئاسة الوزارة هما : (السيد عبد الرحمن النقيب) (والسيد طالب النقيب) . وقد رشحت (المس بيل) الأول بينما رشح المستر جون فيلبى الثانى وبقى السير (برسى كوكس) مترددا فى الاختيار بينهما الا أن الاستشارات التى أجريت لهذا الغرض قد كشفت عن قلق بعض الأوساط فى بغداد من طموح السيد طالب النقيب البعيد وأساليبه العنيفة فى مواجهة خصومه قد رجحت كفة (السيد عبدالرحمن النقيب) وقد دفعت (المس بيل) السير (برسى كوكس) الى هذا الاتجاه بدافع حقدها الشديد على السيد طالب الذى قبل أن يعمل كوزير للداخلية تحت الحاح المستر (جون فيلبى) اعتقادا منه أن الفرصة ستسنح له ليلعب دوره فى الميدان السياسى .

وهكذا تألفت الوزارة العراقية الأولى (برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب) وعضوية :

السيد طالب النقيب	وزير الداخلية
السيد مصطفى الألوسى	وزير العدلية
السيد ساسون حسقيل	وزير المالية
السيد جعفر العسكرى	وزير الدفاع
السيد مهدى آل بحر العلوم	وزير المعارف والصحة
السيد محمد على فاضل	وزير الأوقاف

السيد عزت الكركوكى وزير النافعة

السيد عبد اللطيف المنديل وزير التجارة

وقد حرص عبد الرحمن النقيب أن يحشد أكبر عدد ممكن من الأسر القديمة والعائلات المعروفة فى وزارته بحيث اضطره هذا الحرص الى اضافة قائمة أخرى باسم وزير بلا وزارة كاد أن يبلغ عددهم ضعف عدد الوزراء الأصليين ، وهم كل من عبد المجيد الشاوى وعبد الغنى كبه وعبد الرحمن الحيدرى وفخرى الجميل وعبد الجبار الخياط ومحمد الصيهود وعجيل السمرمد وسالم الخيون وداود اليوسفانى وأحمد الصانع وضارى السعدون ونجم البدراوى واعتذر حمدى باپان وهادى القزوينى وحسن الباجه جى من المشاركة فى الوزارة .

ومن طريف ماينقل أن عبد الرحمن النقيب اقترح خلال المداولة اسم شخص أراد ضمه الى قائمة الوزراء بلا وزارة ، فلما تردد (برسى كوكس) فى قبوله تأثر النقيب وقال له :

ــ مولاى انه ابن فلان وجده فلان فبأى وجه أقابل أجداده فى العالم الآخر اذا لم أدخله الوزارة (١)

***

وكان مجلس الوزراء صورة من صور مجالس الادارة التى عرفها العراق فى العهد العثمانى ينعقد كل يوم سبت واثنين فى

---

(١) ملحق جريدة الاخبار (البغدادى) العدد الصادر فى ٣٨/٤/٦ والشخص المقصود هو فخرى جميل ويومها كان شابا فى حدود الثلاثين من العمر

دار رئيس الوزراء عبدالرحمن النقيب باعتباره مقعدا لايستطيع التنقل بسبب الروماتيزم ، فيتوجه الوزراء بعد صلاة الظهر الى داره ، فيصل بعضهم راكبا بالسيارة ويقدم بعضهم فى عربة ويأتى آخرون على ظهور الخيل ، حتى اذا انتظم عقدهم فى مجلس النقيب وشربوا القهوة أشار السيد عبد الرحمن النقيب الى (حسين أفنان) قائلا : « اقرأ ياولدى » فيباشر سكرتير مجلس الوزراء بتلاوة الكتب الواردة من المندوب السامى أو من الوزارات الأخرى وكتابة المقررات التى تتخذ بشأنها .

واذا استبعدنا من أعضاء مجلس الوزراء السيد (طالب النقيب) الذى مارس السياسة فى العهد العثمانى نائبا ورئيسا لحزب سياسى لعب دوره والسيد (جعفر العسكرى) الذى تلقى تعليمه فى الاستانة وتأثر بالبيئات الفكرية هناك والسيد (ساسون حسقيل) الذى درس فى النمسا وانتخب فى مجلس المبعوثان العثمانى نائبا لدورات عديدة ، فان أغلب أعضاء الوزارة قليل التجربة بالسياسة ضعيف الاتصال بتياراتها بل ان بعضهم تغلب عليه البساطة ، وقد رويت بعض الروايات التى تدل على سذاجة بعضهم فقد قيل ان وزير الصحة السيد (مهدى بحر العلوم) قد نصح بعض أقاربه حينما قصدوه طالبين أن يتوسط لدى أحد أطباء وزارة الصحة الانجليز ليعالج مريضهم بأن يراجعوا (الملاجواد) الذى يتعاطى معالجة

المرضى بالادعية . وقد روى ان ايمان هذا الوزير بذلك النوع من العلاج قد دفعه أن ينصح زميلا له خلفه فى مقعد الوزارة بتعاطى نوع من أنواع العقار فما كاد ذلك الرجل يستعمله حتى فقد بصره »

وروى (معروف الرصافى) عن وزير العدل السيد (مصطفى الآلوسى) أنه ذهب فى رأس الشهر الى المصرف العثمانى ليقبض راتبه كوزير فأخذ المحاسب يفتح أمامه رزمة من الأوراق المالية فسأل الالوسى المحاسب أهذه الرزمة كلها لى ؟ فلما أجابه « نعم » رفع يده الى السماء دون شعور قائلا اللهم انصر الدين والدولة (١)

وقص على مرة (فخرى الجميل) وهو وزير دولة فى وزارة النقيب فقال دخل مراسل لاحدى الصحف الأجنبية على (عبد الرحمن النقيب) وهو جالس بين بعض الوزراء ليأخذ منه حديثا صحفيا وشرع يطرح عليه أسئلة شتى ضاق بها ذرعا فالتفت الى ساسون حسقيل وقال مداعبا يخاطبه : أجبه يا أبا خضورى نيابة عنى فأنتم كفار يعرف كل منكم كيف يرد على الآخر !! »

ولم تخل جلسات مجلس الوزراء من طرف فقد حدث مرة أن اقترح (طالب النقيب) زيادة مخصصاته كوزير للداخلية بحيث تكون أكثر مما يتقاضاه الوزراء الآخرون وقد اتفق الوزراء

---

(١) من أحاديث منقولة عن معروف الرصافى سجلها المرحوم حافظ خالد عضو محكمة التميز

خارج المجلس على معارضة الاقتراح وأخذ بعضهم يشجع البعض الآخر على الثبات أمام السيد طالب الذى كان يثير فيهم مشاعر الرعب لاقتران اسمه بالبطش ، وعندما انعقد المجلس بادر السيد طالب بطرح اقتراحه على الوزراء ووجه نظراته الى (ساسون حسقيل) فاذا به يتراجع أمام نظرات السيد طالب التى تتقطر غضبا ويسارع الى القول (موافق) ويتعاقب الوزراء الواحد بعد الآخر قائلين « موافق موافق » حتى اذا وصل الدور الى (عبد المجيد الشاوى) حبكته النكتة فأسرع يقول « منافق »

وكان السيد (عبد الرحمن النقيب) يحرص اذا ما فرغ مجلس الوزراء من أعماله أن يدعوهم لتناول الغذاء على مائدته ، ولايقبل معذرة أحد منهم اذا ماحاول الاعتذار ، حتى اذا فرغ الوزراء من تناول الطعام وشرب القهوة وأرادوا الانصراف أسرع نجله (محمود النقيب) يشيعهم الى الباب ويرد على عبارات المجاملة التى يوجهها بعض الوزراء عندما يقولون « سفرة دائمة وبيت عامر » بما يقتضيه المقام من عبارات مناسبة .

ومضى مجلس الوزراء يباشر أعماله وفق لائحة التعليمات التى وضعها المستر (جون فيلبى) وحددت صلاحيات مجلس الوزراء وعلاقة الوزير بالمستشار وجعلت كل وزير رئيسا لدائرة من دوائر الدولة خاضعا لمشورة المستشار البريطانى واشراف مجلس الوزراء وسلطة المندوب السامى ، بحيث تعرض

مقترحات الوزير على مجلس الوزراء بوساطة المستشار ، وتكون قرارات مجلس الوزراء نافذة بعد مصادقة المندوب السامي فاتخذ مجلس الوزراء الاجراءات اللازمة لاعادة المنفيين والمبعدين الى (هنجام) بسبب اشتراكهم فى الثورة العراقية ، واستدعت الضباط العراقيين الذين عملوا فى الحجاز وحكومة سوريا ووضعت الأسس الأولى لانشاء دوائر مدنية وشرعت فى اعداد قانون الانتخاب تمهيدا لانتخاب مجلس تأسيسى .

وبقى مجلس الوزراء يواصل أعماله حتى اذا ظهرت فى الجو قضية العرش العراقى وطرح على بساط البحث مرة ثانية موضوع الحكم فى العراق ومن يتولاه — وكانت المرة الأولى التى بحث فيها هذا الموضوع أيام ولسن ١٩١٨ — برز فى الميدان صراع سياسى يستقطب بعض الاتجاهات المناوئة للاتجاه الهاشمى الذى تبلور بترشيح الأمير عبد الله أول الأمر ثم بالأمير فيصل فى تجمع ضم عددا من الساسة فى مقدمتهم (عبد الرحمن النقيب) و (طالب النقيب) و (توفيق الخالدى) و (حكمة سليمان) وغيرهم .

وقد حاولت هذه الكتلة الاستعانة بـ (معروف الرصافى) لاصدار جريدة تروج لفكرة العراق للعراقيين .. كفكرة معارضة للاتجاه الشريفى الهاشمى ، فاستدعته من القدس ببرقية للقيام بهذه المهمة . ويشير الرصافى الى أن بعض

اجتماعات عقدت لهذا الغرض كان السـيد (طالب النقيب) خلالهـا أكثرهم اندفاعا حتى انه ابدى اسـتعداده فى أحـد الاجتماعات التى عقدت لبحث اصدار جريدة أن يدفع ضعف المبلغ الذى يدفعه عبد الرحمن النقيب عندما أشار الرصافى ان المشروع المذكور يكلف (١٠٠٫٠٠٠) ليرة عثمانية فاستعظم السيد عبد الرحمن النقيب المبلغ المذكور (١)

ولكن سرعان ماتطورت الأحداث وتعرض هذا التكتل الى ضربة فرقت رجاله وذلك باعتقال أكبر رؤوسه وهو السـيد (طالب النقيب) فى ١٦ نيسان / ١٩٢١ ، عنـدما حاول أن يتحدى الاتجاه الذى استقر عليه الانجليز فى مؤتمـر القـاهرة الذى انعقد فى ١٢ اذار / ١٩٢١ باختيار الأمير فيصل مرشحا لعرش العراق ، وسرعان ما أبعد النقيب عن المسرح السياسى منفيا الى (سيلان)

ولم يحرك اعتقال السـيد (طالب النقيب) احتجاج رئيس الوزراء أو زملائه رغم أنه أثار احتجاج المستشار (جون فيلبى) الا أنه عندما حاول بعض الوزراء مفاتحة السيد (عبد الرحمن النقيب) بأمره أسرع يقول لهم لقد أوصـيت أن يعـاملوه باحترام وأدب (٢)

ولعل سر هذا الموقف يكمن فى أن السـيد (عبد الرحمن النقيب) لم يكن هو الآخر مرتاحا الى قدوم فيصل اعتقادا منه

(١) من أحاديث عن معروف الرصافى دونها الاستاذ كامل الجادرجى صورة منها مودعة فى مكتبة المجمع العلمى

(٢) من روايات للمرحوم فخرى الجميل

أن ذلك يضع حدا لطموحه السياسى وكان يشارك السيد (طالب النقيب) فى ضرورة الوقوف أمام ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق وكان يقول - « مس بيل » انه يفضل عودة الأتراك الي بغداد على أن يرى الشريف وأبناءه فى هذا البلد

بل ان عبد الرحمن النقيب كان لايكتم مشاعره العثمانية عن أصدقائه الذين يأتمنهم فيعبر عنها بحسجة (شـعر شـعبى) يرددها قائلا :

كل يوم اكول اليوم باجـــريبنون
لنطى للمبشريـــن بوسهمنالعيون (١)

ولكن السيد عبد الرحمن النقيب آثر أن يختار لنفسه موقف المتفرج ، وهو الرجل الحذر البعيد عن التورط فى المغامرات بعد أن وجد الانجليز ماضين فى الميل الى مساندة الأمير فيصل فترك للسيد طالب النقيب فرصة الظهور الى الميدان معارضا ومعربدا ومهددا .

واندفع السيد (طالب النقيب) فى ممارسة نشاط واسع يستهدف معارضة ترشيح الأمير (فيصل) ويبشر بتاج عراقى لايصلح الا لرأس عبد الرحمن النقيب آملا أن ينتقل بعد ذلك الى رأسه .

ومضى رجال السيد طالب وأعوانه يطوفون على الناس فى

---

(١) من رواية للاستاذ محمود صبحى الدمتـرى ومعنى الحسجة أن يتوقع عودة الاتراك اليوم أو غدا وسوف يمنح من يبشره بعودتهم قبلة من عينيه

البصرة وبغداد بمضابط تدعو الى المطالبة بتعيين السيد (طالب) حاكما عاما على العراق ، ويروى السيد (عبد العزيز القصاب) فى مذكراته ص (٢٠٧) قائلا (... كنت ذات يوم فى دار المرحوم عبد العزيز الزئبق ... فدخل علينا السيد ابراهيم الشواف وأخوه قاضى البصرة المرحوم على الشواف وبيدهما مضبطة يجمعان عليها تواقيع وجوه الكرخ . فتناولت الورقة منهما وقرأتها فاذا هى من قبل السيد عبد الملك الشواف واخوانه المذكورين وتتضمن الطلب من الحاكم الملكى العام السير برسى كوكس تعيين السيد طالب النقيب حاكما عاما للعراق ..)

يذكر السيد سليمان فيضى فى ص (٢٦٢) من مذكراته عن نشاط السيد طالب فى بغداد فى هذه الفترة فيقول (... زارنى السيد طالب فى المحكمة ذات يوم ورغب فى مكالمتى على انفراد .. وقال انى عزمت على ترشيح نفسى لعرش العراق ونظرا لما أعهده فيك من محبة لى أرجو أن تبث لى الدعاية فى الأوساط القضائية وتحمل الحكام والمحامين وطلاب الحقوق وموظفى العدلية على التصويت بجانبى .

قلت له : انك تعلم أن منافسك هو الأمير فيصل الذى أجمع الثوار والشعب والحكومة المحتلة نفسها على تأييده فمسعاك هذا سيبوء بالفشل الذريع ...

قال : انك واهم فالمستر فيلبى فى جانبى وقد تعهد لى ببذل أعظم الجهود . انه وعدنى باقناع السير برسى كوكس الذى

لايزال مترددا فى الملك الجديد ، وبحمل مس بيل على التخفيف من تحمسها للأمير فيصل ثم انه كتب الى الحكام السياسيين فى الألوية يوصيهم ببذل المساعدة لى لذلك عزمت على الطواف فى تلك الألوية والقيام بدعاية انتخابية واسعة هناك فأرجو منك أن تقوم أنت بالدعاية فى الميدان الذى أخالك متنفذا ومحبوبا فيه .

قلت : أود أن اصارحك بحقيقة لا اخالك تجهلها . ان الناس فى بغداد لايعطفون عليك بل ويكرهونك أيضا وانى لن ازج بسمعتى وكرامتى فى تحريض الناس على اتيان ما يكرهون

قال : يظهر انك تغيرت على .. ثم نهض غاضبا وخرج .. (١)

وقام السيد طالب النقيب بجولة واسعة فى مارس عام ١٩٢١ طاف خلالها فى الكوت والعمارة والناصرية والديوانية والنجف والبصرة للنهوض بدعاية سياسية تجمع له الانصار منتهزا فرصة غياب السير برسى كوكس ومس بيل وسفرهم الى مؤتمر القاهرة

وقد احيطت هذه الجولة بمظاهر التبجيل فقد رافقه عدد من اعوانه منهم سالم الخيون وعبد الرزاق الامير وعبود الحاج ومحمود الملاك وأحمد الراوى معاون مدير شرطةالعاصمة وشاكر النعمة واحمد السالم ، وأقام له أنصاره فى الالوية المذكورة استقبالات كبيرة ألقيت خلالها خطب متعددة

---

(١) فى غمرة النضال للسيد سليمان فيضى

وفى الكوت قال السيد طالب : « ان جل مقاصد حكومتنا اسعاد العباد ورقى البلاد وانها ساهرة على مستقبل الأمة آخذة العدة للذود عن حياضها تؤازرها فى الشؤون حكومة بريطانيا العظمى وعما قريب تنشر قوانين الانتخابات وسيلتئم المؤتمر العراقى العام وكل فرد منكم حر فى رأيه .. » (١)

وفى البصرة حيث عقد اجتماع عام ترحيبا به خطب مزاحم الامين الباجهجي يشيد بدوره البطولى ويقول :

« علينا ان نشكر الظروف شكرا جزيلا لأنها جعلت عضو هذه الحكومة الفعال عميدنا المحبوب صاحب المفخامة السيد طالب باشا ولا يخفى على أحد منكم ما لهذه الشخصية من الخدمات الجليلة .. انك أيها العميد لأكبر رجل عراقى ولدته الأيام الشاذة لخدمة وطنه فى الأيام العصيبة » (٢)

وفى طريق عودته الى بغداد عرج السيد طالب على الناصرية والديوانية والحلة حيث زار سجن المعتقلين السياسيين وطمأنهم بقرب الافراج عنهم وفى النجف الاشرف اجتمع بعدد من العلماء ورجال الدين وخطب فيهم قائلا :

« انى سعيت بادىء الامر بتأدية أول واجب على قبل الامور التمهيدية وهو اعادة المنفيين جميعا والعفو عن المجرمين واعادة اخوانى العراقيين المهاجرين فى سوريا والبلاد الاخرى وقد نلت

---

(١) جريدة العراق العدد ٢٢٤ فى ١٩٢١/٣/١٦

(٢) جريدة العراق فى ١٩٢١/٣/٢٢ نقلت الخطاب عن الاوقات البصرية الصادرة فى ١٩٢١\٣\١٥



الملك فيصل الاول والشيخ خزعل بعد
تنازل الاخير عن ترشيحه للعرش

مقصدى بمساعدة سيدى رئيس الوزراء العالى ورفاقى الوزراء الكرام ساعيا بالحصول على العفو عن جميع المعتقلين فى العراق وهنجام .. ان أملى الوطيد يجعلنى حسن الاعتقاد بحضرات مؤيدى الشريعة الغراء .. » (١)

وعندما وصل الى بغداد عائدا استقبله أنصاره بحفاوة بالغة فحشدوا له الوزراء والموظفين وفرق الشرطة والدرك والكشافة ونزل السيد طالب من القطار وسط مظاهر التبجيل واستعرض فرق الدرك والكشافة وصافح المستقبلين من الوزراء والموظفين

(١) العراق العدد ٢٤٩ الصادر فى ٢٤/٣/٩٢١

ووقف أحد الضباط وهو الملازم حسن شوقى يرحب بقدومه بخطبة حماسية قال فيها :

« اننا حاربنا مع الحلفاء جنبا الى جنب وفادينا بالأنفس والدماء للوصول الى الغاية المشتركة وهى تحرير البلد واستقلالها .. أيها الوزير ان الابصار شاخصة والاعناق مشرئبة والافئدة متلهفة والقلوب متعطشة لما سيقوم به زعيم العراق من جلائل الأعمال .. » (١)

وازداد السير « برسى كوكس » قلقا عندما عاد الى بغداد من المؤتمر فى القاهرة ليجد السيد طالب النقيب قد قطع شوطا بعيدا فى الدعاية لنفسه والتأثير على الرأى العام مستفيدا من مركزه كوزير للداخلية ومن صديقه « جون فليبى » مستشاره بحيث خشى أن يقضى ذلك النفوذ على فرص النجاح للأمير فيصل وان يفسد الخطة التى تم الاتفاق عليها فى مؤتمر القاهرة

وقد فكر السير « برسى كوكس » فى خطة تستهدف تجميد الوزراء العرب تجميدا مؤقتا ، بحيث يحل محلهم فى العمل المستشارون الانجليز ، وبذلك تتاح له الفرصة لابعاد السيد « طالب » من منصبه الذى استطاع بوساطته من الضغط على الناس رسميا من أجل نفسه، وتسهيل مهمة ترشيح الأمير فيصل (٢) ولكن قبل ان تظهر هذه الفكرة الى حيز العمل قدم السيد

---

(١) العراق العدد ٢٤٨ الصادر فى ٩٢١/٣/٢٣ ومن الجدير ان صلاح الصباغ يشير فى مذكراته ص ٣٢ و ١١٣ الى ان حسن شوقى الصباغ هو اخوه وان نورى السعيد سجنه بعد هذا الحادث باعتباره من انصار السيد طالب النقيب

(٢) العراق دراسة فى تطوره السياسى - آيرلند ترجمة جعفر الخياط ص ٢٥١

« طالب » نفسه الفرصة المناسبة الى السيد برسى كوكس لابعاده وذلك عندما وقف فى مأدبة اقامها للمستر برسيفال لاندن احد محررى جريدة الديلى التلغراف فى ١٦ نيسان ١٩٢١ حيث وقف فى المأدبة يقول مهددا بأنه اذا لم تكف السلطات البريطانية عن التدخل والسماح لنا باختيار من نريد فان لدى كل من امير ربيعة وسالم الخيون اكثر من «٢٠٠٠٠» من حملة البنادق كما ان السيد عبد الرحمن النقيب سوف لايتردد من ان يبعث شاكيا الى الهند واستانبول وباريس !

وأسرع المستر « تود » الذى كان حاضرا المأدبة ينقل الخبر الى « مس بيل » التى بادرت بأخبار السير « برسى » واتفقت معه على خطة اعتقل بمقتضاها السيد « طالب النقيب » بعد دعوة شاى وجهها اليه السير برسى كوكس

وقد اصدر المندوب السامى السير برسى كوكس بيانا فى ١٩ نيسان عن ذلك جاء فيه :

« ان فخامة المندوب السامى لا يخامره ادنى شك فى الموقف الحبى للزعيمين المشار اليهما أو فى استقامة مقاصد عظمة النقيب استقامة تامة ولكن فخامته يرى انه والحالة هذه اذا بدا اقل تسامح فى أمر التفوه بكلام ينم عن تهديد شائن باشهار السلاح فى وجه حكومة جلالة الملك ويصدر عن رجل كالسيد طالب باشا الذى يشغل منصبا خطيرا فيكون مقصرا فى القيام بواجبه نحو سكان هذه البلاد والحكومة البريطانية

فبناء على ما تقدم وحبا بمصلحة القانون والنظام والحكومة الصالحة رأى فخامته من واجبه ان يطلب من القائد العام ان يتخذ التدابير اللازمة لابعاد السيد طالب حالا وقد غادر السيد طالب بغداد فى مساء اليوم السادس عشر من الشهر الحالى (١)

وعندما خلا الميدان بعد ازاحة السيد طالب النقيب حسب الشيخ « خزعل » ان الفرصة قد سنحت ليلعب دوره ويجرب حظه ، فكلف « مزاحم الامين الباجه جى » ليقوم بمهمة اقناع بعض الساسة فى بغداد لمساعدته فى هـذا الغرض متجاهلا ان ابعاد السيد طالب لم يكن الا تمهيدا لتسهيل ترشيح الامير فيصل وفقا لمقررات مؤتمر القاهرة

ويبدو أن « مزاحم الأمين الباجه جى » لم يستطع التملص من هذه المهمة التى فرضها عليه الشيخ خزعل مع ايمانه بفشلها فجاء الى بغداد يحمل بعض الرسائل وفاتح عددا من الساسة بما يساور الشيخ خزعل من طموح ، وكتب اليه من البصرة يوافيه بما أسفرت عنه مهمته فى بغداد برسالة هذا نصها :

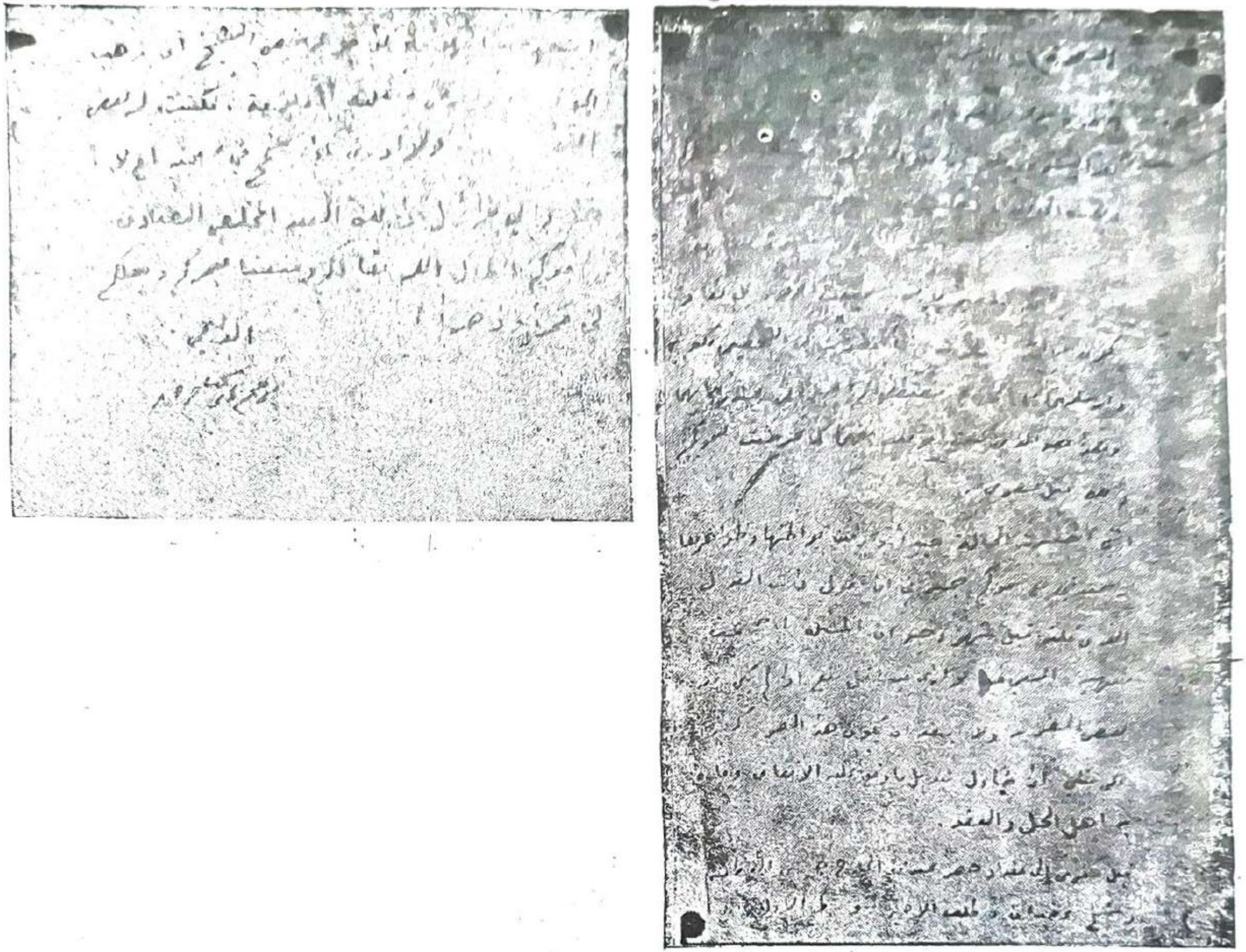
« البصرة ٩ مارس ١٩٢١ »

حضرة مولاى السردار :

بعد التشرف بلثم اناملكم الشريفة اعرض اننى وفقا لامركم ذهبت الى بغداد وحكيت مع المعلومين فوجدتهم كما سبق منى التنبؤ بحقهم ورأيت الاحوال متغيرة للغاية واقناع أحد بالمطلوب

---

(١) جريدة العراق العدد (٢٧١) فى ١٩ نيسان ١٩٢١



رسالة مزاحم الامين الباجه جي الى السردار

من أصعب الامور بل يكاد يكون من المستحيلات . أحضرت من الشخصين مكتوبين أرسلتهما مع الحاج مصطفى (١) وأخبراني بمندرجاتهما وهذا هو الذى كنت أتوقعه منهما كما عرضت لسموكم ذلك قبل سفرى

انني اختبرت الحالة جيدا وعرفت بواطنها وظواهرها وصدقى مع سموكم يجبرنى ان اقول ذات القول الذى قلت قبل شهر وهو ان المسألة اصبحت منتهية ، والسعى فيها لا أرى فيه اقل نفع اذا لم يكن فيه بعض الضرر ولا يبعد ان يكون هـذا الضرر على مثلى اذا حاول تبديل ما وقع عليه الاتفاق وفاه به أهل الحل والعقد

قبل سفرى الى بغداد حضر عندى الحاج حسين العطية (٢) والشيخ غضبان وطلب الاخير بتوسط الاول أن أسعى عنـد الحكومة لأجل ترخيص الشيخ ان يذهب الى بغداد ويعرض مسألته المعلومة فكتبت له بعض التوصيات ولا أدرى اذا كان ينجح فى مهمته أم لا

هذا وانى لا أزال ذلك العبد المخلص الصادق لسموكم اطال الله بقاءكم ومتعنا بعمركم وجعلكم لى فخرا وذخرا

الداعى

مزاحم الامين الباجه جى

ولابد من القول ان الشخصين اللذين يشير اليهما « مزاحم

(١) الحاج مصطفى هو وكيـل الشيخ خزعل فى البصرة
(٢) الحاج حسين العطيه من وجـوه البصرة والشيخ غضبان شيخ بنى لام

الامين الباجه جى » فى رسالته الى الشيخ «خزعل» هما «نورى السعيد» و « جعفر العسكرى » والظاهر من محتويات الرسالة أنه قد فاتحهما بصدد اسناد الشيخ خزعل فى قضية العرش رغم انهما معروفان بالولاء للأمير «فيصل» بل ان «جعفرالعسكرى» كان يردد أنه لم يدخل الى مجلس الوزراء الا ليقف بوجه مطامع السيد طالب النقيب

ومن الطريف ان كليهما كتب الى الشيخ « خزعل » يعتذر بحجة واحدة فكانت رسالة نورى السعيد تنص :

« بغداد ٢٧ نيسان ١٩٢١ »

مولاى صاحب السمو :

بعد تقديم واجبات الاحترام والاجلال الى مقام سموكم العالى ..

اعرض اننى قد اجتمعت بصديقى مزاحم بك الباجه جى وبلغنى ما تفضلتم باظهاره نحو العاجز من الاحساسات الشريفة واللطف الزائد الذى لا استطيع الا ان اقابله بخالص ومزيد الامتنان ..

وقد فاتحنى حضرة الأخ المومأ اليه بالمسألة المعهودة فأسفت جد الاسف لعدم تمكنى من القيام بها لأننا قد تعهدنا ـ عند انتظامنا فى سلك الجيش ـ بعدم الاشتغال فى الأمور السياسية ، واننى اغتنم هذه الفرصة وأقدم لسمو الأمير فائق الاحترام وأخلص الأمانى ..

الداعى

نورى السعيد »

وتضمنت رسالة جعفر العسكرى المؤرخة بنفس تاريخ رسالة نورى السعيد ، نفس الحجة التى تذرع بها « نورى السعيد » عن « المسألة المعهودة » وهى الاعتذار بأنه عسكرى لا يتمكن من الاشتغال بالسياسة رغم أنه كان فى ذلك الوقت وزيرا للدفاع . وقد نصت رسالته على ما يلى :

« المعروض بعد الدعاء المفروض

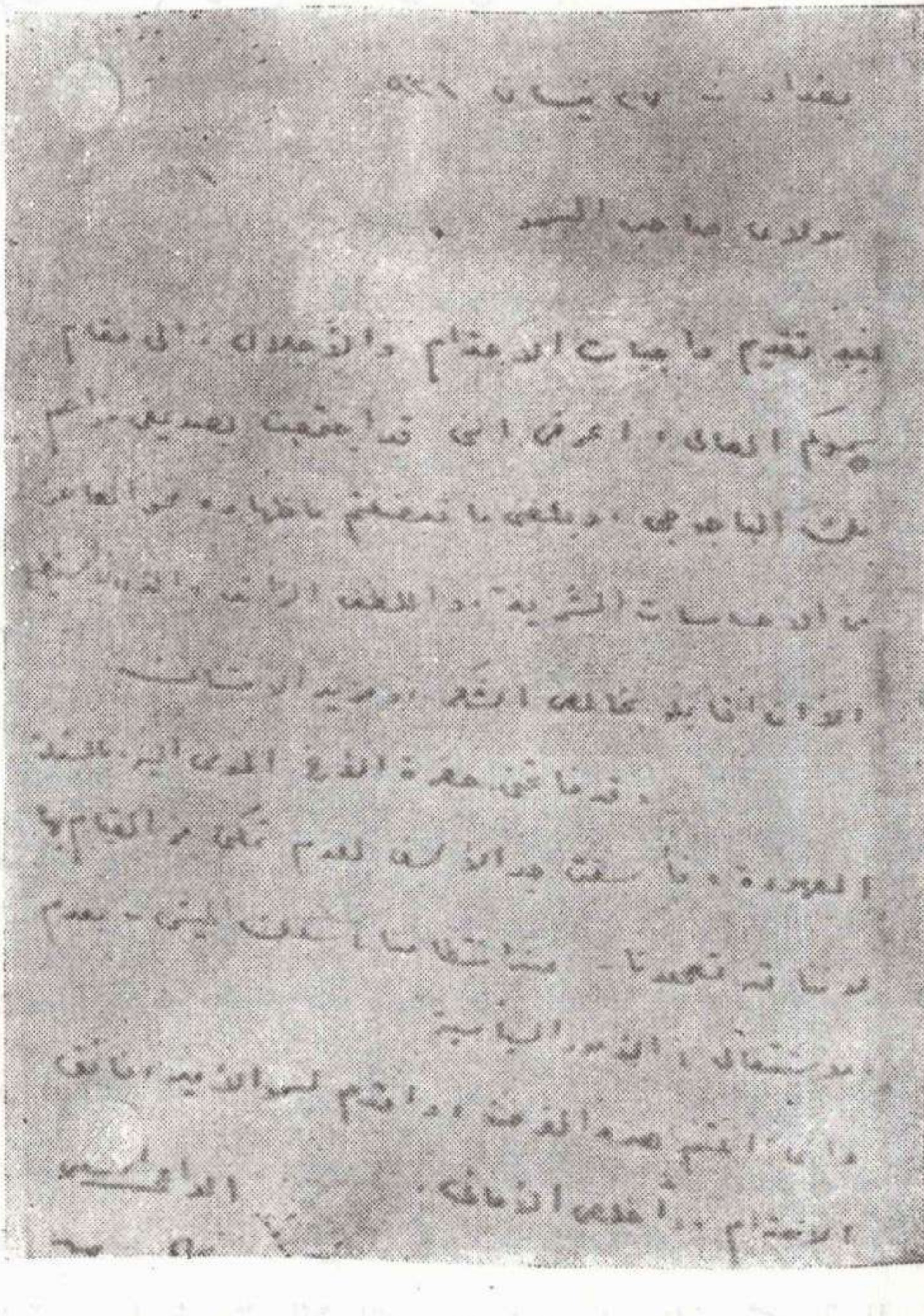
هو انى بعد ان ارفع احتراماتى الفائقة وتعظيماتى اللائقة الى سموكم اعرض ان صديق الطرفين مزاحم بك الباجه جى بلغنى بألطافكم واحساساتكم الشريفة فأشكر سموكم من صميم القلب على ذلك ، واما المسألة المعهودة اعتذر عنها حيث سبقت منى العهود بعدم الاشتغال بالسياسة لاتنسابى للجيش

هذا وتفضلوا يا سمو الأمير بقبول فائق الاخلاص والاحترام منى فى ٢٧ نيسان عام ١٩٢١ : الداعى

جعفر العسكرى »

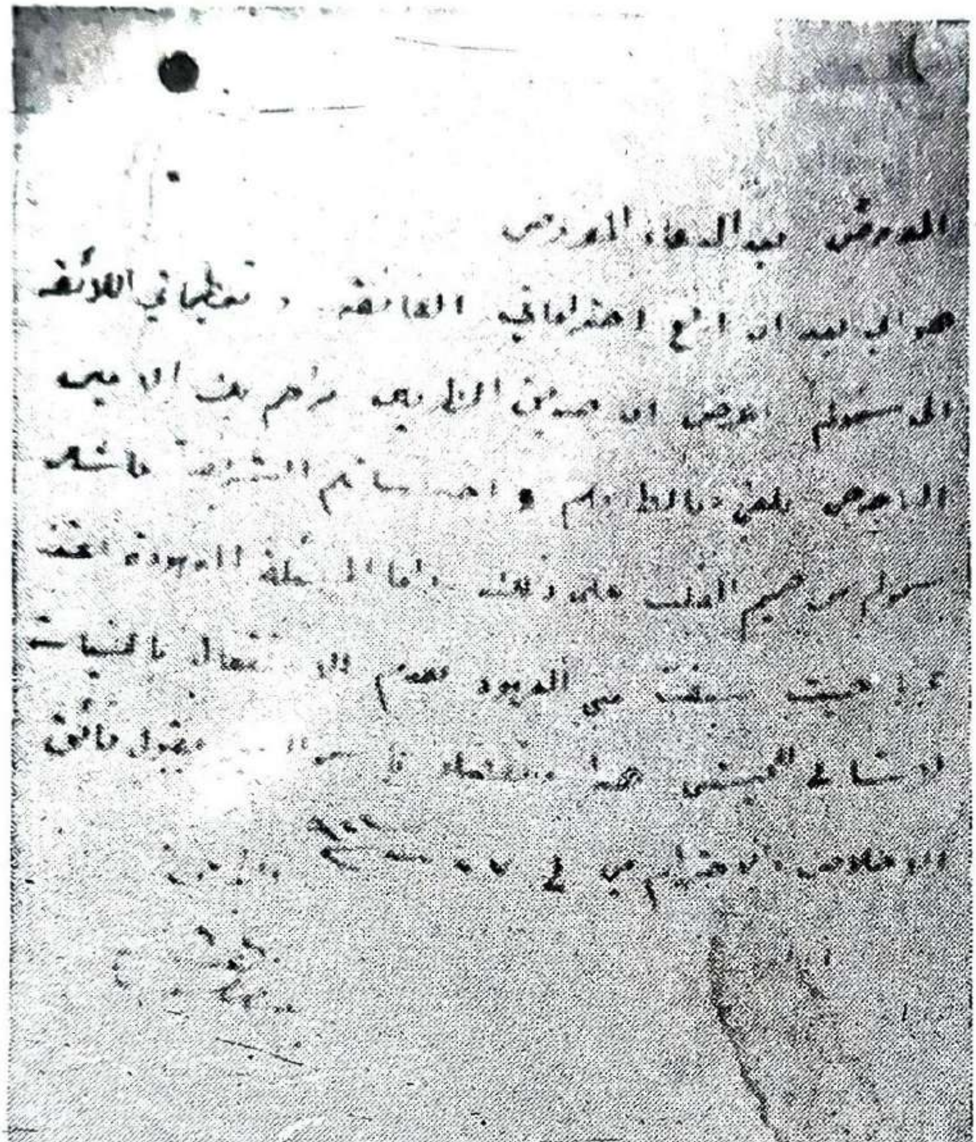
***

وفى هذه الفترة التى كان فيها العراق مسرحا لصراع سياسى عنيفا يدور حول رئاسة الدولة الجديدة بين مرشحين مختلفين من جهة ، منهم مرشح عثمانى تدعو اليه بعض الاوساط المشبعة بالميول العثمانية من بقايا موظفى العهد العثمانى وانصار الخلافة العثمانية ومنهم مرشحون عراقيون يعمل لهم انصار السيد طالب



رسالة نوري السعيد الى الشـــيخ خزعل

النقيب واعوان السيد عبد الرحمن النقيب واصحاب هادى باشا العمرى ومنهم مرشح هاشمى من انجال الشريف حسين هو الامير عبد الله يسعى له المتأثرون بالثورة العربية والثورة العراقية ، واتجاهات سياسية مختلفة من جهة اخرى لم تخل من تيار جمهورى يسنده المستر جون فيلبى المستشار فى وزارة الداخلية والمستر رايلى المستشار فى وزارة المعارف ويجد له انصارا فى الاوساط التى تدعو الى مرشح عراقى ربما لأسباب منها : ان هذا النظام يعطى فرصة لارضاء اكثر من مرشح ويوفر له مجالا لتبوء رئاسة الدولة ، ومنها ان هذه الفكرة تصلح اساسا لمعارضة التيار الذى اشتد ساعده بعد عودة الضباط العراقيين الذين اشتركوا فى الثورة العربية من الحجاز وسوريا فى الدعوة الى احد انجال الشريف حسين باعتبار ان اصحاب هذه الدعوة تبنوا الملكية نظاما للحكم واعربوا عن ذلك فى المؤتمر الذى عقده العراقيون فى دمشق فى ٧ آذار عام ١٩٢٠ ورشحوا الامير عبد الله ملكا على العراق . وفى هذه المدة اخذ الرأى العام فى بريطانيا يميل بشكل واضح بعد انهيار الحكم الفيصلى فى سوريا الى انتقال فيصل الى عرش العراق وقد نشرت « التايمس » فى لندن بعد مرور عشرة أيام على واقعة ميسلون مقالا اقترحت فيه على الحكومة البريطانية ترشح فيصل لعرش العراق وأشارت جريدة « اللطان الفرنسية » الى هذا المقال خلال الاسبوع الأول من شهر آب



رسالة جعفر العسكرى الى الشيخ خزعل

عام ١٩٢٠ (١)

ولا ريب ان البواعث التى حفزت الانجليز على اتخاذ هـذا الموقف تكمن فى التماس مخرج لهم من الموقف الحرج الذى وضعهم فيه الفرنسيون فى سـوريا بعد انذار الجنرال غورو وقيامه بطرد الملك فيصل ، فان موقفهم بلا شك تجاه احـداث سوريا كان منافيا للعهود المقطوعة خلال الحرب والتصريحات الصادرة من رجالهم فكان لابد لهم من مخرج يرفع عنهم هذا الحرج ، فضلا عن ان عددا من رجال الجيش البريطانى الذين عملوا مع العرب فى الحجاز مثل « لورنس وغيره » ساهموا باقناع الدوائر المسئولة بالخدمات التى أدتها الثورة العربيـة الى قضية الحلفاء ودور الامير فيصل بصورة خاصة بالاضافة الى ان الصحافة البريطانية لعبت دورا فى الترويج لفكرة اسناد العرش العراقى اليه وأشارت الى ما تنطوى عليه هذه الفكرة من مزايا عديدة منها استرضاء العرب وتخليص بريطانيـا من اعباء ادارة العراق وتكاليفه المالية

وعرض عرش العراق لأول مرة على فيصل من قبل كورنواليس باسم الحكومة البريطانية فى لقاء تم بينهما فى اوتيـل « هايد بارك » فى لندن وقد تردد فيصل أول الأمر لأن المؤتمر العراقى فى دمشق كان قد اتخذ قرارا باختيار أخيه الامير عبد الله لعرش العراق الا ان الانجليز تعهدوا له بترضية الامير عبد الله والتفاهم معه فوافق ..

---

(١) يوم ميسلون ـ ساطع الحصرى

ويذكر الملك عبد الله فى مذكراته ان اجتماعا عقد بينه وبين ونستون تشرشل فى القدس حضره المندوب السامى السيرهربرت صمويل والكولونيل لورنس فوتح خلاله برغبة الانجليز فى ترشيح فيصل لعرش العراق على ان يبقى هو فى شرق الاردن ويسلك سياسة بعيدة عن تحدى الفرنسيين فى سوريا بأمل ان تعيد فرنسا النظر فى سياستها وتعود الشام الى يده بعد ستة اشهر من ذلك . وطلب اليه ان يسعى لاقناع والده بقبول هذا العرض وان يدعو العراقيين لقبول ترشيح فيصل ..

وكان جواب عبد الله : « انكنتم ترغبون ترشيح الأمير فيصل لعرش العراق لأنكم تعتمدونه فأنا يسرنى تكييف ملك العراق وان اخى كفء لذلك وسأحض والدى على ان يسير على هذا المنهج . واما أهل العراق فلا استطيع ان اكتب اليهم ما يؤيد مرغوبهم لأننى لم اكاتب احدا منهم الى الآن .. »

وقد انعكس الموقف الذى اتخذه عبد الله من ترشيح فيصل فى الاوساط التى كانت تدعو له — اى للأمير عبد الله — وفق مقررات المؤتمر العراقى فى سوريا بحيث ترك عندها هذا التحول نوعا من التبلبل فتمسك بعضهم بالامير عبد الله بحجة ان « البيعة ملزمة » حتى ان جريدة « الاستقلال » وهى اكثر الصحف الوطنية ميلا الى الاتجاه الهاشمى اعربت فى معرض تكذيبها لجريدة « المقطم » التى نشرت اخبارا تفيد ان وفدا عراقيا سافر الى سوريا لترشيح الامير سعيد الجزائرى عن

تمسك العراقيين بالامير عبد الله فقالت :

« .. لايوجد عربى ينكر بأن المؤتمر العراقى الذى انعقد فى سورية وفق رغبة الأمة العراقية نادى بجلالة الملك عبد الله ملكا على العراق وصودق على هذا من قبل جميع المنتديات العراقية وخطب باسمه على منابر العاصمة وفى عشرات الالوف من السامعين بين هتاف وصل الى عنان السماء واخذ يترنم باسمه الكبير والصغير .. » (١)

على أن ذلك لم يمنع الانجليز من ترشيح فيصل لعرش العراق وان اعطى هذا التبدل لدعاة فكرة العراق للعراقيين فرصة جديدة لاستغلال هذا الخلاف بحيث اخذت جريدة «دجلة» المعروفة بميولها المعادية للتيار الهاشمى تسعى الى استغلال هذا الخلاف ، وتردد ان العراقيين سبق لهم ان اتخذوا خطة فليس من المعقول ان يسارعوا الى تغييرها وهى تشير بذلك الى قرارات المؤتمر العراقى فى سوريا

وقد تصدت جريدة « لسان العرب » للرد على هذه المحاولة فقالت :

« يتشدق بعض الناس بلزوم انتخاب الامير عبد الله دون الامير فيصل ملكا على العراق بدون ان يوردوا سببا او تعليلا وجيها سوى ان الامة العراقية ومؤتمرها الذى انعقد فى سوريا قد اتفقا على انتخابه ولا ادرى الحامل لهذا الفريق على هذا

(١) جريدة الاستقلال العدد ٢٣ فى ١٧ كانون اول سنة ١٩٢٠

التفريق بين الاميرين مع انهما ينتميان الى أسرة واحدة ! .. انا من المعتقدين ان الذين يحدثون انفسهم بمقارنة انتخاب سمو الامير فيصل تحت ستار لزوم انتخاب أخيه لايريدون الخدمة الوطنية . انما يقصدون التمويه على النـاس .. وربما كانوا يقاومون ترشيح الامير عبد الله .. » (١)

ولعل الذى زاد الانجليز ميلا الى ترجيح فيصل ان المنافسين له فى الميدان لا يتمتعون بمثل ما يتمتع به من شهرة واسعة فى الاوساط العربية كقائد ثورة عربية وفى المحافل الدولية كمدافع عن حقوق العرب فى مؤتمر الصلح ، فضلا عن ان تقدم « عبد الرحمن النقيب» فى السن واعتلال صحته وعدم وجود سلالة لائقة له وعدم تمتعه بثقة الأوسـاط الوطنيـة لا تشجع على التوجه اليه ، كما ان طموح السيـد «طالب النقيب» البعيد يثير قلق الاوساط البريطانية من ان ذلك قد يقوده الى الانقلاب عليها لاسيما وان بعض الفئات تعتبره المرشح الوحيـد الذى له من الجرأة ما يمكنه من معارضـة



هادى العمـرى .. احد المرشحين لعرش العـراق

(١) لسان العرب العدد ٦ الصـادر فى ٢٩/٦/٢١

الانجليز فضلا عما تركه ترشيحه من مشاعر الرعب لما يعرف عنه من البطش بخصومه

أما « هادى العمرى » فان ترشيحه فى الاستفتاء الذى قام به آرنولد ولسن عام ١٩١٩ ، وان لقى بعض التأييد بحيث اعتبره أليق المرشحين ، الا ان هذا الترشيح لم يحرك طموح صاحبه مرة ثانية ويحفزه الى النزول للميدان ، فبقى بعيدا عن الصراع السياسى الذى قام بين المرشحين وفضل لنفسه العمل فى تركيا حيث دخل الوزارات العثمانية عدة مرات ، لذلك لم يتكرر اسمه مرة اخرى فى هذه الفترة

وبالنسبة الى « الامير برهان الدين » احد ابناء سلاطين آل عثمان فقد كانت الاوساط التى تدين بالولاء للعهد العثمانى وتؤمن بأن العثمانيين عائدون الى العراق تردد اسمه كمرشح

ويتمتع اصحاب هذه الدعوة بنفوذ كبير فى كركوك بصورة خاصة فى المناطق التى تسكنها اكثرية تركمانية ولهم انصارهم فى بغداد من بقايا موظفى العهد العثمانى ، وكان يطلق عليهم كلمة « كليورلر » وهى كلمة تركية معناها « عائدون » لكثرة ما كانوا يروجونه بين الناس فى المقاهى والاندية بعودة العثمانيين الى العراق

وقد عارضت السلطات البريطانية هذا الترشيح بشدة رغبة منها فى قطع كل صلة للعراق بالدولة العثمانية . وقد ادرك بعض أنصار هذا الاتجاه ذلك فوحد جهوده مع كتلة الداعين الى مرشح عراقى

وعلى ضوء هذه الحقيقة انضم الى كتلة السيد «عبد الرحمن النقيب» والسيد «طالب النقيب» و«توفيق الخالدى» و«حكمت سليمان» و «معروف الرصافى» واغلبهم ممن عرف فى العهد العثمانى بنزعته الاتحادية وسخطه على الثورة العربية ووصمها بالخيانة لخروجها عن طاعة الخليفة العثمانى وقد قيل ان «عزت الكركوكى» وهو من اصحاب هذا الاتجاه عبر ذات مرة فى مجلس الوزراء عندما كان وزيرا للنافعة فى وزارة «عبد الرحمن النقيب» عن ذلك الشعور حينما بحث أمر اعادة الضباط العراقيين فى الحجاز وسوريا واعتبار عملهم فى الجيش الحجازى والسورى خدمة فتساءل قائلا: ألا يكفى أنهم تخلصوا من حبال المشانق حتى نمنحهم هذا الوسام لقاء خيانتهم! (١)

ولم يكن الشيخ خزعل امير المحمرة يحظى بتأييد جدى من السلطات البريطانية فى طموحه الى العرش العراقى وكان نفوذه منحصرا فى مناطق محدودة فى جنوب العراق. وقد شاع بأن الشيخ عبد الكريم الجزائرى كان ابرز انصاره فى النجف وقد مده بالاموال لبث الدعوة كمرشح الى عرش العراق (٢)

وقد سارع الشيخ خزعل بعد ان انجلى الموقف وتأكد من حقيقة موقف الانجليز فى اسناد الامير فيصل الى النزول عن ترشيحه

---

(١) من رواية نقلها ساطع الحصرى الى المؤلف
(٢) هكذا عرفتهم ــ جعفر الخليلى صفحة ٣٧٤

وروى لى مزاحم الباجه جى انه سافر مع نورى السعيد الى المحمرة قاصدين الشيخ خزعل واقناعه بأنه لا جدوى من معارضة الاتجاه الذى تبلور نحو فيصل

فأعلن الشيخ خزعل نزوله قائلا :

« .. رأيت الذين رشحوا انفسهم لذلك العرش هم اناس دونى فى المنزلة والكفاءة والمقدرة فى جميع المزايا والصفات التى يجب ان يتصف بها ملك أو أمير ، كنت رشحت نفسى لذلك العرش لاننى رأيت اننى احق واجدر من جميع الذين رشحوا أنفسهم له ..

اما الآن وقد بلغنى ترشيح سمو الامير فيصل لهذا العرش فاننى إتنازل عن ترشيح نفسى لاننى ارى فى شخص سمو الامير فيصل جميع الصفات والمواهب التى تؤهله لأن يتولى ذلك العرش » (١)

لذلك بقى فيصـــل ارجح المرشـــحين فى نظر الانجليز فهو بالاضافة الى سمعته فى الاوساط الوطنية المتأثرة بالثورة العربية والثورة العراقية يتميز عن بقية المرشحين برضا عدد غير ضئيل من الطائفتين السنة والشيعة عنه . وقد عكست الصحافة العراقية الصادرة ذلك الوقت الى حد ما الاتجاهات المختلفة التى كانت تسود الرأى العام وتتقاذفه نحو هذا المرشح او ذاك او نحو الشكل الذى يجب ان يأخذه نظام الحكم فى العراق

(١) جريدة العراق فى ١٤ حزيران سنة ١٩٢١

وليس من الصعب ان يستشف المؤرخ اذا ما امعن النظر بين سطور مقالات تلك الصحف واخبارها واتجاهاتها الافكار السياسية التى كانت تعبر عنها ، فبعضها كان يبدى ميلا الى التيار الذى يدعو الى أن العراق للعراقيين ويحاول فى بعض المناسبات والمواقف الترويج لها ، وربما كانت جريدة «دجلة» خير من عبر أو لمح عن هذا المنهج ، وبعضها كـ « العراق » و « لسان العرب » و « الاستقلال » و « الفلاح » تبنت الدعوة الى امير عربى من انجال الشريف حسين

واتجهت الى الامير عبد الله اول الامر ثم الى الامير فيصل فيما بعد ..

وكانت الصحف التى تميل الى الاتجاه الاول تومىء الى نظام جمهورى عن طريق الكشف عن الجوانب السلبية للنظام الملكى وما ينطوى عليه من تحكم واستبداد

وقد سبقت جريدة « العراق » الصحف الاخرى الى طرح هذه الافكار ، ففى عددها الصادر فى ٥ مايس عام ١٩٢١ حول « عرش العراق » نشرت كلمة لعراقى مفكر ذهب فيها الى القول « ان العراق للعراقيين يلزم أن يرأس هذا القطر المحبوب احد ابنائه وهو مسقط رأسهم ووطنهم الاعز .. اما ما تفضل به احد اخواننا العراقيين ، من ان النهضة العربية الاخيرة قد بزغت شمسها فى القطر الحجازى وخصوصا فى بيت الشرفاء ملك الحجاز ولذلك يلزم ان يجلس على اريكة الملك احدهم فانه لم يصب بذلك كبد الحقيقة لأن فى النهضة المذكورة اشترك كثير

من ابناء العراق وسورية وفادوا بالنفيس وجاهدوا حق الجهاد في سبيل الحرية والاستقلال ، لذلك فيمكننا ان نقول ان النهضة عينها ما قامت كما ينبغي الا لهؤلاء العراقيين وامثالهم من العرب ليس بالحجازيين فقط فلهذا ليس لأمراء الحجاز هذا الحق .. »

وما إن أعلنت « العراق » هذه الكلمة وهي لمعروف الرصافي حتى انبرى انصار الهاشميين الى الرد عليه فسارع عبد الله الدليمي (١) ورشيد الهاشمي (٢) وسليمان الزهير (٣) يردون على صفحات جريدة العراق

وانضمت جريدة « الاستقلال » الى جانب الدفاع عن النظام الملكي والدعوة له فقالت : « ان تعيين الملوكية او الجمهورية لأمة من الأمم يكون بمقتضى عنعنات تلك الأمة وافكار أفرادها ولو دققنا في تاريخ العرب لوجدنا أن جميع حكوماتهم كانت ملوكية فلم يعهد لهم احد حكومة جمهورية في وقت من الاوقات وكل الملوكيات وراثية ..

تستنتج من هذا ان اذواق العرب تنطبق على الملوكية لا الجمهورية .. (٤)

ودعت جريدة « الشرق » الى نظام « لا ملوكية ولا امارة ولا جمهورية » (٥) ولكن حبذت الجمهورية قائلة : « الشعوب

(١) جريدة العراق في ١١ أيار سنة ١٩٢١
(٢) جريدة العراق في ١٢ أيار سنة ١٩٢١
(٣) جريدة العراق في ٢٣ أيار سنة ١٩٢١
(٤) جريدة الاستقلال في ١٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٠
(٥) جريدة الشرق في ٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٠

استثقلت وطأة الامارات والملوكيات ولا يبعد أن ينقلبا فى المستقبل القريب الى جمهوريات لأن نظام الجمهوريات ارقى النظم الحالية » (١)

واتجهت جريدة « دجلة » اتجاها معارضا للاتجاه الهاشمى وقد كانت هذه المعارضة تبدر تارة بالحديث عما ينطوى عليه النظام الملكى من استبداد ، وجور ، وطورا بحث العراقيين على التمسك بمقرراتهم فى المؤتمر العراقى فى دمشق فى ترشيح عبد الله للعرش فى محاولة لعرقلة ترشيح الامير فيصل ، وحينا بالاستخفاف فى وصف استقبال فيصل عندما قدم الى بغداد حيث تقول فى وصفه : « ما ان وقف القطار الخاص بسموه وحاشيته حتى رفعت الجنود البريطانية اسلحتها احتراما وتبجيلا ! » او حين تذكر : « يتقول البعض ان سبب اختلال النظام نشأ عن دعوة احد اعضاء لجنة مراسم الاستقبال رؤوف افندى الجيبه جى للشعب لزوم اظهار العواطف نحو سمو الامير .. غير اننا لم نشاهد شيئا مما يتقوله المتقولون » او حين تتهكم فى الوصف وتشير « وقد بلغنا والجريدة على الطابع ان الازدحام كاد ان يسبب سحق قطبي أفندي أحد كتّاب دائرة البلدية ! » (٢)

واغلب الظن ان صدور هذه الجريدة جاء متأخرا فقد كان ذلك فى وقت تعرضت فيه الاوساط التى كانت تريد التعبير عن

---

(١) جريدة الشرق فى ٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٠

(٢) راجع جريدة دجلة عدد ٦ الصادر فى ١٩٢١/٦/٣٠ ، تجد وصف استقبال قدوم فيصل الى بغداد

ميولها واتجاهاتها السياسية المناوئة للاتجاه الهاشمى الى ضربات شديدة افقدتها اكبر انصارها كالسيد طالب النقيب والمستر جون فيلبى ، ولعل هذا هو السر الذى يكمن فى عدم قيام الجريدة من الافصاح عن حقيقة ميولها والتعبير بصراحة عما اتهمت به من ميول جمهورية فلجأت الى أساليب التلميح والتعريض والتشبث بحجج اخرى لمقاومة ترشيح فيصل

***

وقد تبلور الاتجاه نحو الامير فيصل فى مؤتمر القاهرة الذى انعقد فى ١٢ آذار عام ١٩٢١ (١) بحيث اصبح مفهوما أن الانجليز استقر رأيهم على ترشيح فيصل ملكا لعرش العراق وقد عبر المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانى فى خطاب ألقاه فى مجلس العموم فى ١٤ حزيران عام ١٩٢١ عن ذلك الاتجاه فقال : « .. تلقى الشريف فيصل دعوة من مريديه فى العراق ليوافيهم ويرشح نفسه لعرش البلاد فأذن جلالة الملك حسين لابنه فى قبول الدعوة وقد بلغت حكومة صاحبة الجلالة البريطانية الامير فيصل انها لا تعارض ترشيحه واذا تم انتخابه فالحكومة البريطانية تؤيده وهو الآن فى طريقه الى البصرة . ولاشك انه اذا انتخب فيصل نكون قد توصلنا الى حل فيه خير مستقبل سعيد ناجح . وليعلم كل أحد جليا ان درجة رقى العراق تجعله غير صالح لانشاء جمهورية ، كما ان حكومة جلالته لايمكن ان

---

(١) يذكر ايرلند انه رسم منهج تفصيلى فى المؤتمر المذكور يتضمن كيفية وصول فيصل واستقباله والادوار التى يجب على أنصاره القيام بها يوما بيوم ، راجع ص ٢٤٧ من « العراق دراسة فى تطوره السياسى » ترجمة جعفر الخياط

تتساهل فتقبل حاكما تركيا ، وفضلا عما تقدم تعلم بحركة حديثة العهد ترمى الى طلب الاستمرار على الحكم البريطانى المباشر وجل هذا التغير فى موقف الشعب دليل ناصع على ثقته بالسير برسى كوكس ولكن لا امل لنا ان تتمكن من الاستمرار على حمل التبعة مباشرة . وكذلك قد طلب البعض فصل البصرة عن العراق ووضعها تحت ادارة بريطانية تامة ولا نرى ان هـذا الأمر أيضا ممكن لأنه يخالف مصلحة الحكومة الوطنية اجمـالا فسياستنا هى انشاء حكومة عربية وارشـاد هـذه الحكومة وتأييدها الى ان تتمكن من القيام بشئونها بنفسها .. »

وبقدر ما اثار هذا الخطاب استياء وسخط الاوساط المعارضة لترشيح الامير فيصل على اختـلاف ميولها وتبـاين اتجاهاتها رحب به دعاة فيصل واتجهوا الى مزيد من النشاط لترشيحه ، لاسيما بعد ان ابعد السيد طالب النقيب وسحب الشيخ خزعل ترشيحه وانكمش النقيب على نفسه وسارعت الصحف المحلية ترحب بترشيح فيصل فتسابقت جريدة « الشرق » التى كان يحررها حسين افنان سكرتير مجلس الوزراء و«العراق» التى يتولاها رزوق غنام و « لسان العرب » التى يشرف عليهـا ابراهيم حلمى العمرالى الترحيب به ، كما بادرت الصحف التى كانت السلطات البريطانية تصدرها كالاوقات البغدادية والاوقات البصرية والموصل الى تأييده . لكن ترى لمـاذا رجح الانجليز

النظام الملكى فى العراق على النظام الجمهورى ؟

لقد تصدى للاجابة عن هذا السؤال الاستاذان حسين جميل وعبد الرحمن البزاز ، وكلاهما توصل الى جواب واحد

فذهب الاول الى القول : « ان المصالح البريطانية هى التى اختارت للعراق النظام الملكى ، فانه بعد أن تبين للحكومة البريطانية ان حكم العراق حكما مباشرا لم يعد ممكنا وتقرر لديها بعد ثورة عام ١٩٢٠ اقامة حكومة عراقية تواجه بها مطالب الشعب بالاستقلال فى حين تحفظ لها مصالحها الاساسية وكان واضحا ان تلك المصالح يمكن ان تتحقق بالنظام الملكى وعن طريق أسرة مالكة معينة ترتبط مصالحها بالحكومة البريطانية اكثر مما يحفظها نظام جمهورى لا تأتمن عما يأتى به الغد عندما يمارس الشعب حقوقه فى السيادة » (١)

ومضى الثانى الى نفس التعليل وزاده ايضاحا فقال :

« ان تفضيل السلطات البريطانية للحكم الملكى لم يكن مستندا بالدرجة الأولى الى اعتبارات واقعية وملاحظة حالة الشعب العراقى ومصلحته وأوضاعه الاجتماعية بقدر ما كان يرجع الى تحقيق المصالح البريطانية بأيسر طريقة وامنها وذلك لأن مصلحة بريطانيا كانت تتطلب استقرار الأحوال فى العراق وايجاد وسيط بينهم وبين الشعب العراقى المتوثب يستطيعون عن طريقه وبواسطته أن يحققوا مصالحهم الأساسية ويتجنبوا

(١) مجلة الهلال العدد السادس الصادر فى أول يونية ١٩٦٥ ، بداية فكرة الجمهورية فى العراق

التعرض للنقمة المباشرة . وهذا بطبيعة الحال لا يمكن ان يتأتى في ظل النظـام الجمهوري الذي يتطلب تجديد انتخاب رئيس الجمهورية المتعلق مصيره بارادة الشعب .. » (١)

واغلب الظن ان الدعوة الى الجمهورية التى سعت اليها بعض الاوساط ذلك الوقت لم تكن مدعمة برأى عام يعززها بل كانت على الأرجح من تفكير المستر جون فيلبى مستشار وزارة الداخلية وعدد محدود من الناس روجوا لها بقصد اسناد التيار العراقى الذى كان ينادى بوجوب ان يتولى حكم العراق عراقى وبقصد اضعاف التيار الهاشمى الذى كان يسعى الى ان يتولى الحكم احد انجال الملك حسين .

ولعل ذلك يرجع الى ان النظام الجمهورى كان شيئا جديدا على الرأى العام فى العراق غير معروف لدى الأغلبية ، وفى أوربا وهى اكثر نضجا بأنظمة الحكم لم تكن قد اخذت به حينذاك الا دولتان : سويسرا ، وفرنسا ، فكيف يمكن ان يلقى من الرأى العام العراقى رواجا وانتشارا !

ويكفى للدلالة على ذلك ان نذكر ان التفكير بالجمهورية لم يطرح على بساط البحث بشكل جدى حتى بعد ثورة مايس عام ١٩٤١ ، اى بعد عشرين عاما من تطور الحركة الوطنية مما يدل على ان هذه الدعوة لم تكن متبلورة بحيث تفرض نفسها على الحركة الوطنية

---

(١) محاضرات عن العراق من الاحتلال الى الاستقلال لعبد الرحمن البزاز ، معهد الدراسات العربية .

ومن هنا فان الصراع حول العرش العراقى او رئاسة الدولة لم يأخذ شكل صراع بين النظام الملكى أو الجمهورى بقدر ما اخذ شكلا آخر يدور حول من يجب ان يحكم العراق ؟ هل يجب ان يحكمه عراقى من ابناء العراق أو أمير عربى من انجال الحسين بن على ؟

واذا تشبث انصار فكرة العراق للعراقيين بالنظام الجمهورى أو لمحوا اليه من بعيد او قريب فليس ذلك عن ايمان به وانما استهدفوا إضعاف التيار الهاشمى بالدرجة الأولى ، أو لعلهم وجدوا هذا النظام يرضى طموح اكثر من مرشح لرئاسة الدولة ويوفر له الفرصة للوصول الى ذلك ، وفى صفوف تكتلهم اكثر من مرشح يتطلع الى هذا المركز أو يسعى اليه . لذلك خطر للمستر فيلبى أن يلوح بهذا النظام ، ارضاء لهم وتطمينا لطموحهم وتوحيدا لصفوفهم

ولاشك ان هذه التطورات وضعت السيد « عبد الرحمن النقيب » فى موقف لايخلو من حرج لسبق معارضته لهذا الاتجاه وقد حاول الرجل بلباقة ان يتكيف لمتطلبات الموقف الجديد فأسرع يرد على برقية الملك حسين التى تخبره بتوجه ابنه فيصل الى العراق قائلا : « ابتهجنا سرورا من هذه البشارة ودعونا له بالسلامة وصرنا ننتظر قدومه ساعة فساعة شوقا للقياه ، فبيمنه تعالى عند قدوم سموه نبادر الى القيام بالواجب علينا من خدمته ، حيث اتحاد النسب والحسب القديمين يقضيان بذلك

على الداعى » وفى ٢٣ حزيران عام ١٩٢١ ، رست الباخرة «نورث بروك» فى ميناء البصرة ونزل منها فيصل يحيط به المستر كرنواليس ويوسف السويدى ومحمد الصدر وعلى البزركان ومحسن ابو طبيخ ونور الياسرى وهادى المكوطر وعلى جودة حيث وجد المستر جون فيلبى مستشار وزارة الداخلية وأحمد الصانع متصرف البصرة فى استقباله وبعد ولائم متعددة اقيمت له . واصل فيصل سفرته الى بغداد بالقطار مارا عبر طريقه ببعض المدن ، وقد راعه انه لم يلق ما كان يتوقعه من استقبال يليق به كمرشح للعرش وزاده قلقا جواب المستر فيلبى الذى رافقه فى القطار عندما طلب منه مساعدة الموظفين البريطانيين فى ترشيحه باعتباره جاء بدعوة من الحكومة البريطانية ، حيث كان رده يتضمن ان الانتخابات ستكون حرة وانه اذا كنت تريد كسب اصوات الاهالى على هذا الاساس فان الأمل فى النجاح سيكون ضعيفا

وقد صدم فيصل لهذه الاشارة وبادر أول وصوله الى بغداد فى ٢٩ حزيران ، الى السير « برسى كوكس » يشكو المستر « فيلبى » ويعرب له عن ارتيابه بموقفه وخشيته من أن يعرقل خطة تتويجه وتساءل فيصل : لماذا لا تومىء الحكومة البريطانية الى الشعب العراقى بانتخابه ؟

ويروى على جودة ما لاقاه الامير فيصل من جفاء المستر فيلبي الذى استقبله من ميناء البصرة بوجه عبوس يظهر ما يكنه

فى قلبه من حقد ، ويشير الى الحوار الذى قام بين برترام توماس معاون المفتش الادارى فى الحل والامير فيصل قائلا :

توماس ــ ليش جنابك جيت الى العراق ؟

فيصل ــ لماذا تسألنى ؟

توماس ــ لأن الأهالى لا يريدونك ! ..

فيصل ــ ولماذا تريد أن تتدخل بينى وبين الاهالى ؟

توماس ــ حتى أخبرك ؟

فيصل ــ لست بحاجة الى خبرك وسوف ترى ما اذا كانوا يريدوننى أم لا ؟

« من ذكريات على جودة صفحة ١٤٤ و ١٤٥ »

ولم يكن السير برسى كوكس مرتاحا الى موقف المستر فيلبى لاسيما بعد أن اشتد الخلاف بينه وبين المس بيل حول اسناد الامير فيصل ، فسارع كوكس الى اصدار بيان للرأى العام بعد أن نحَّى المستر فيلبى عن منصبه فى ٥ تموز عام ١٩٢١ ، جاء فيه : « .. ان الحكومة البريطانية كانت دائما ولا تزال ترى ان افضل طريقة للقيام بعهودها وواجباتها هى مساعدة اهالى العراق على اقامة حكومة وطنية منهم بمساعدتها ، فتنشأ بذلك دولة عربية صادقة تكون بغداد عاصمة لها ، اما حكومة جلالة الملك نفسها فترى ان افضل انواع الادارات للعراق هو حكومة دستورية برئاسة وازع ــ حاكم ــ مقبول لدى اهالى البلاد

على ان حكومة جلالة الملك ترغب ان تبين بوضوح كما سبق فبينت تكرارا بأن ليس لها من قصد او رغبة ما فى اكراه الشعب على قبول وازع ما معين ، بل الأمر بالعكس فانها ترغب فى وجود الحرية التامة فى الاختيار وابداء الرأى ، ومع ذلك فان الحكومة البريطانية بصفتها الدولة التى تحملت مصاريف طائلة فى العراق اثناء السبع سنوات الاخيرة لايمكنها ان تقف موقف عدم الاكتراث أمام هذه المسألة فلها الثقة بأن الشعب العراقى سيستعمل الحكمة والحرية فى اختياره للوازع

وهنا أود أن أشير بايجاز الى قدوم سمو الأمير فيصل الى العراق فأقول : ان موقف حكومة جلالة الملك فى هذا الصدد هو كما يأتى : ان عائلة الشريف هى العائلة التى نشرت اللواء العربى فى صف الحلفاء أثناء الحرب التى لعبت دورا ذا شأن فى ربحها وان القضية التى من أجلها دخلت فى صفوف المحاربين كانت قضية حرية العرب يعنى عين القضية التى قد تعهدت بريطانيا العظمى بمظاهرتها ونجاحها فى العراق ، فبناء على ذلك عندما سأل أنصار عائلة الشريف فى العراق عن موقف الحكومة البريطانية ازاء دعوتهم للأمير فيصل ليأتى العراق أجيبوا على ذلك بأن حكومة جلالة الملك لن تضع حجر عثرة فى سبيل ترشيح سمو الأمير لعرش العراق ، واذا وقع عليه انتخاب الشعب سيلقى تأييد بريطانيا له

فبناء على ذلك بينما وزير الدولة ــ المستر تشرشل ــ يورد

رغبته فى أن يستعمل أهالى العراق الحرية والاختيار يرى أن ليس هناك من سبب للامتناع عن أن يبين بوضوح بأن حكومة جلالة الملك تعتبر أن الامير فيصل هو مرشح موافق لا بل حقا أوفق مرشح فى الميدان ونرجو أن ينال معاضدة أكثرية الشعب العراقى واذا تم انتخاب الأمير فيصل فتعتقد حكومة جلالة الملك أن يكون قد توصل بذلك الى حل ينطوى على أكبر الآمال فى مستقبل سعيد مقبل لهذه البلاد

ان حكومة جلالة الملك تعلم أنه قد بحث فى حلول أخرى غير ممكنة ، منها أولا تأسيس جمهورية وثانيا عرض أمير تركى اما فيما يخص الاول فمن رأى حكومة جلالة الملك أن درجة العراق من الرقى غير موافقة قطعيا لتأسيس جمهورية وأما فيما يخص عرض أمير تركى فهذا حل ليست الحكومة مستعدة لافساح المجال له »

ولا شك أن هذا البيان جاء يؤكد مرة أخرى على موقف السلطات البريطانية فى دعم التيار الذى يدعو للأمير فيصل ومخاصمة التيارات المعارضة ويخذل دعاة الجمهورية وأنصار المرشح التركى ، وقد انعكس صدى هذا البيان فى الصحف المحلية فانبرت الجرائد تشيد بدور فيصل فى القضية العربية وتحرض الناس على انتخابه

وتراجعت جريدة (دجلة) التى اتهمت بالانتصار الى النظام الجمهورى وأغضبت فيصل وبعض الجهات الاخرى أمام الحملات

الصحفية فأسرعت تكذب ما نسب اليها من الاتهام فقالت فى مقال افتتاحى عنوانه (نحن والمنالون) بتوقيع (داود السعدى) صاحبها ما يلى « عند أول ماحصلنا على امتيـاز دجلة أخـذ بعض من لا أخلاق لهم يذيعون بين الأمة الاشـاعات الكاذبة ويختلقون الأراجيف التى لا نصيب لها من الحقيقة ويتقولون عن خطة جريدتنا ظلما ما شاءت الأغراض الفاسـدة والأهواء النفسية فيقولون تارة إن دجلة ترمى الى فكرة الجمهورية وان الجمهورية فى العراق أمر فاسد وأخرى إنهـا ترمى الى تتويج عراقى على العراق ولم يقفوا عند هذا الحد بل تقدموا الى ما وراء ذلك وأخذوا يرموننا بأننا ننوى مقاومة سمو الأمير فيصل .. اننا وان كنا نعتقد ان الشعب العراقى الكريم لا يهتم بمثل هذه السفسطات التافهة .. الا أننا رأينا أن هذه الفكرة قد أخـذت مأخذها فى قلب زعيم من كبار زعمائنا وركن من أكبر أركان النهضة العربية فوجدنا أنفسنا مضطرين الى نشر هذه الكلمات لتفنيد ما يقال عنا » (١)

ويبدو أن هذا المقال لم يقطع سيل الحملات التى تعرضت لها (دجلة) سواء فى الصحافة أو فى الاندية أو المحافل فردت فى مقال عنيف الأسلوب تحت عنوان (الحر ممتحن بأولاد الزنا) جاء فيه (... لا نعرف ماذا نقول وقلمنا الآن يرتجف ويتعثر لما بلغنا من تزويرات بعض من لا أخلاق لهم فى عاصمة العراق

(١) دجلة العدد ٩ الصادر فى ١٩٢١/٧/٤

وحقك أيها القارىء الكريم بل وحق التربة العراقية المقدسة التى خدمناها بالأمس ونخدمها اليوم وسنبقى متأثرين على خدمتها والأخذ بناصرها الى آخر لحظة من حياتنا التى أصبحت اليوم بفضل تزويرات أولاد الزنا لا تساوى درهما فى نظرنا .. » (١)

وفى وسط هذا الجو المشبع بالدعاية المؤيدة للأمير فيصل أقام عبد الرحمن النقيب فى ٩٢١/٧/٨ مأدبة كبيرة لفيصل وقف فيها (معروف الرصافى) خطيبا وقال :

مد النقيب الى الأمير يد المعاضد والنصير
فليخز كل مشاغب فى القوم ينزغ بالشرور
وليحي مولانا النقيب حياة مولانا الأمير

« أجل أيها السادة .. ماذا يريد القوم بعد اقتران هذين النيرين الكبيرين حيث طلعا بالوفاق متعانقين في سماء العراقيين متصافحين على ضفاف الرافدين ..

انا أيها السادة لا أعلم رجلا أجدر من مولانا النقيب أن يمثل فى افعاله أهل العراق كافة كيف لا وهو الذى قتل الدهر خبرا بتجاربه وارتدى العز ضافيا بعلمه وأدبه وارتضى سماء السؤدد والمجد بنسبه ونشبه وهل فى العراقيين ــ رجل أحرص على مصلحة البلاد من مولانا النقيب الذى هو فى العراق أكثر عقارا من نقيب الدولة العباسية الملقب بذى الثمانين !! (٢)

ولا شك ان هذه الخطبة اعلان واضح عن تخلى عبد الرحمن

(١) دجلة العدد ٤٣ الصادر فى ١٢ اغسطس سنة ١٩٢١
(٢) دجلة العدد ١٤ الصادر فى ١٩٢١/٧/١٠

النقيب عن منافسة الأمير فيصل زادت من انهيار معنويات التيارات التى حاولت الصمود أمام فيصل عن طريق الالتفاف حول عبد الرحمن النقيب لعلها تجد فيه الرجل الذى يعبر الى حد ما عن اتجاهها السياسى فى أن يحكم العراق عراقى

ولم يبق بعد موقف النقيب فى الميدان من ينافس الأمير فيصل فاجتمع مجلس الوزراء بدعوة من رئيسه فى ١١/٧/١٩٢١ واتخذ قرارا يقضى بمناداة فيصل ملكا على العراق بشرط (أن تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون) وقد شعر السير برسى كوكس ان قرار مجلس الوزراء لا يكفى وانه لا بد من صب عملية التتويج فى قالب دستورى واعطائها مظهرا شرعيا ، ولم يعد الاتجاه السائد ذلك الوقت فى أن يقوم مجلس تأسيسى منتخب بترشيح فيصل وتتويجه على نحو ما حدث من قبل فى سوريا حيث قام المؤتمر السورى بهذه العملية ليطمئن السلطات البريطانية لما تستلزمه هذه الطريقة من اجراءات معقدة قد تستغرق وقتا طويلا فى حين أن الظروف تقتضى الاسراع بهذه العملية خوفا من المفاجآت والاحتمالات ويشير آيرلند الى أن فكرة استبعاد المجلس التأسيسى تم الاتفاق عليها فى مؤتمر القاهرة ، لذلك اتجهت السلطات البريطانية الى التحرى عن حل دستورى يؤمن لهم مواجهة هذه المسألة ومعالجة هذا الاشكال ، وسرعان ما وجد (ناجى السويدى) وهو أحد كبار أنصار فيصل الحل فى طريقة تنظيم المضابط الشعبية والتى تبايع الأمير فيصل والتى

سميت بالتصويت العام (١)

وهذا الانتقال فى الأسلوب الدستورى لتتويج الأمير فيصل ملكا على العراق من أسلوب (المؤتمر العام) الذى كان سائدا فى الاوساط العراقية يتردد فى مطاليب الحركة الوطنية الى أسلوب التصويت العام عن طريق المبايعة ، وما رافقه من جدل قانونى انعكس على صفحات الصحف المحلية فاتخذت منه مواقف باختلاف نزعاتها السياسية ذلك الوقت

فذهبت جريدة (دجلة) الى ضرورة الرجوع الى المؤتمر العام والتمسك به وقالت بجرأة :

« .. نقاوم الفكرة القائلة بالتتويج قبل اجتماع المؤتمر فأنا منذ الان نعلن اننا نرى أن كل ملك يتوج فى العراق بغير رأى الأمة ، فهو ملك غير مشروع وليعرف المغالون اننا لا يهمنا رضاء الاشخاص بل جل ما نقصد ونريد هو خدمة البلاد العراقية وأنا اذا طلبنا ملكا للعراق انما نطلبه حبا باستقلال البلاد لا حبا بذات الملك وللأمة العراقية الحرية المطلقة فى انتخاب من تريد اجلاسه على العرش » (٢)

وأيدت جريدة العراق ولسان العرب مبدأ التصويت العام بدلا من الانتظار لعقد المؤتمر العام . فقالت العراق (... الذى يتتبع الرأى العام وبالأخص رأى الفئة المعروفة فى هذه البلاد

---

(١) من خطاب لناجى السويدى ألقاه فى الجلسة التى عقدت من قبل مجلسى الاعيان والنواب لانتخاب شريف شرف بعد هروب الوصى بدلا منه وذلك فى ١٠ نيسان سنة ١٩٤١

(٢) جريدة دجلة العدد الصادر فى ١٩٢١/٧/٤

والتى يعتمد على صدق وطنيتها الشعب العراقى يرى أن الرغبة العامة قد اتجهت الى انتخاب ملك البلاد بأصول التصويت العام لأن ذلك أكثر وفاقا لروح الديمقراطية الذى ننشده وأسلم عاقبة.

وحقا ان مثل هذا الانتخاب ـ انتخاب الملك ـ الذى لا تشاهده الأمم المستقلة فى حياتها الا مرة واحـدة يجب أن يشترك فيـه الجميع بلا تمييز بين غنى وفقير وبين أمير ومأمور لتستند أريكة البلاد على قوة جميع أفراد الشعب ليبنى عرشها على قلوب الأمة بأسرها) (١)

وقالت جريدة (لسان العرب) فى عددها الصادر فى ٩٢١/٧/٦ بعد أن استعرضت الطرق الدستورية لانتخاب الملوك وأشارت الى طريقة الانتخاب التى تظهر الأمة ارادتها عن طريق المجلس والى طريقة التصويت العام التى تصوت فيه الأمة نفسها رأسا فى اختيار من تؤيده ملكا وبعد أن رجحت الطريقة الاخيرة ذكرت « لا عجب اذا رأينا جمعا غفيرا من رجال الأمة يرون فى العواطف التى أظهرها الشعب نحو سمو الامير فيصل الكفاية لتمليكه وتقديم التاج اليـه فهو لم يقـل بمظهره الحقيقى من المظهر القانونى الذى تظهر به ارادة الأمة الامريكية فى انتخاب رؤساء جمهوريتها فى الميادين العامة والساحات الكبيرة .. وغير خاف أن تعليق مسألة العرش على انعقاد المؤتمر لا يخلو من محاذير وهو مع ذلك يتطلب زمنا يفرغ فيه صبر الأمة المتعطشة الى

---

(١) جريدة العراق فى ١٩٢١/٧/١١

الاسراع بالعمل بعد أن جربت مضار الامهال ..

وانا اذا أردنا أن نعجل بالبت فى مسألة العرش فما علينا الا أن نختار طريقة التصويت العام ولا بد للقائلين بهذا الرأى من أن يؤلفوا حزبا ينشر برنامجهم .. »

وقد بادرت وزارة الداخلية باتخاذ الوسائل اللازمة للقيام بالتصويت فألفت لجانا متعددة للاشراف على هذه العملية وأوفدت الى كل لواء لجنة لهذا الغرض تدعو الاهالى فى الألوية والمدن والقصبات الى اجتماع عام يعقد ، حتى اذا انعقد يرتقى أحدهم المنبر ويلقى خطبة تدعو الى ترشيح فيصل وتعدد مآثره فتتعالى الاصوات (موافق موافق)

وقد وزعت المضابط الرسمية على الاهالى بوساطة المتصرفين والمشاورين البريطانيين وهى مطبوعة بصيغة معينة ، وقد رافق عملية التصويت ملابسات كثيرة بحيث لم تسلم من الضغط والتوجيه ، ففى بعض المناطق لم يسمح للأهلين بأى مقترح وطنى يضاف الى الصيغة المقترحة بينما سمح فى مناطق أخرى باضافة مقترحات الى الصيغة لصالح الانتداب البريطانى كما حدث فى الحلة والدليم والعمارة حيث اشترطوا لانتخاب فيصل استمرار الانتداب البريطانى

وفى بغداد حيث يتمتع الرأى العام بوعى سياسى أكثر نضجا من بقية المراكز الاخرى لم يكن من السهل ممارسة هذا الاسلوب ففى اجتماع عام عقد فى سينما رويال فى صباح يوم ٩٢١/٧/٢٩

للمناداة بالأمير فيصل ملكا على العراق خطب متصرف لواء بغداد رشيد الخوجة وتلا على الحاضرين قرار مجلس الوزراء بمناداة فيصل ملكا على العراق

وتسأل بعد ذلك عن رأى المعارضين والمؤيدين فقام البعض يقترح اضافة بعض التحفظات على صيغة البيعة وأيده البعض الآخر باضافة شروط أخرى وأجاب المتصرف فى وسط هذا الجو المشبع بالحماسة قائلا : ان المضابط بيدكم فضعوا عليهـــا ما تشاءون من الشروط

وبعد أن لخصت المقترحات وأدخلت على صيغة البيعة قرأها المتصرف فكانت بالشكل التالى :

« اجتمعنا فصوتنا باجمـــاع الرأى على تتويج سمو الأمير فيصل ملكا على القطر العراقى بحدوده الطبيعية على أن يكون ملكا يرأس حكومة دستورية نيابية ديمقراطية حرة مستقلة مجردة من كل قيد منقطعة عن سلطة الغير وان أول عمل تقوم به تشكيل وجمع المؤتمر العام الذى يسن القوانين والدستور فى مدة ثلاثة أشهر من استلامه زمام الأمور » (١)

وقد ظهر من هذه الصيغة تأثير فتوى مهدى الخالصى التى نصت فى البيعة على أن يكون فيصل « مقيدا بمجلس نيابى منقطعا عن سلطة الغير مستقلا معه بالنهى والأمر » والظاهر أن

---

(١) جريدة دجلة ، العدد ٣١ فى ١٩٢١/٧/٢٩ ، صدر هذا العدد مساء اليـــوم المذكور

موقف المتصرف أثار غضب الدوائر البريطانيـة فأوعز اليـه بالاستقالة من منصبه (١)

وقد أسفرت هـذه العملية التى أشرف عليهـا بصورة عامة الحكام السياسيون فى الألوية والمستركورنواليس بصورة خاصة عن أكثرية ٩٧ ٪ بجانب فيصل كما كشفت عن وقوف كركوك ضده وتحفظ الموصل عن طريق المطالب بضمانات لحماية الأقليات واشتراط البصرة أن يكون لهـا مجلس تشريعى خاص وعدم اشتراك السليمانية فى التصويت

وبعد أن تمت عملية التصـويت العام واتخـذت الاجراءات اللازمة لتتويج الأمير فيصل وأعدت الاسباب لتحديد اليـوم المعين للتتويج ، وصلت فجأة الى السير برسى كوكس من وزارة المستعمرات فى منتصف آب برقية توعز بضرورة التأكيد فى خطاب التتويج على أن السلطة النهائية بيد المندوب السامى

وقد احتج فيصل على ذلك قائلا ان المحادثات التى جرت فى لندن معه كانت على أساس عقد معاهدة تحل محل الانتداب وتحفظ كرامته كملك مرتبط بحلف مع بريطانيا (٢)

وقد تأخرت حفلة التتويج بسبب ذلك مما اضطر السير برسى كوكس الى أن يبرق الى وزارة المستعمرات معربا اها عن التأثير السىء الذى سيحدثه هذا التصريح

---

(١) راجع نص فتوى الخالصى فى جريدة العراق العدد ٣٤٥ فى ١٩٢١/٧/١٦
(٢) العراق دراسة فى تطوره السياسى ايرلند ، ترجمة جعفر الخياط ص ٢٦٢

ولم تحل المشكلة الا بعد أن جاءت برقية وزارة المستعمرات بالعدول عن رأيها

وفى يوم ٢٣ آب ٩٢١ أقيمت حفلة لتتويج فيصل حضرتها وفود تمثل الألوية التى اشتركت فى التصويت . وأقبل الأمير فيصل يسير وخلفه المندوب السامى السير برسى كوكس والجنرال هالدن قائد القوات البريطانية ، وبعد أن فتش حرس الشرف جلس بين المندوب السامى وقائد القوات وجلس خلفه كورنواليس ورستم حيدر وأمين الكسبانى وحسين افنان

وبعد قليل ناول المندوب السامى الى حسين افنان بيانا تلاه على الجمهور جاء فيه :

« .. لقد قرر مجلس الوزراء باتفاق الآراء بناء على اقتراح سمو رئيس الوزراء المناداة بسمو الأمير فيصل ملكا على العراق فى جلسته المنعقدة فى اليوم الرابع من شهر ذى القعدة من سنة ١٣٣٩ هـ الموافق ١١ تموز ١٩٢١ على أن تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون وبصفتى مندوبا لجلالة ملك بريطانيا رأيت أن أقف على رضى الشعب العراقى البات قبل موافقتى على ذلك القرار فأجرى التصويت العام برغبة منى وأسفرت نتيجة التصويت عن أكثرية ٩٧ ٪ من مجموع المنتخبين المتفقين على المناداة بسمو الأمير فيصل ملكا على العراق

وعليه أعلن أن سمو الأمير فيصل نجل جلالة الملك حسين قد أنتخب ملكا على العراق وأن حكومة جلالة ملك بريطانيا قد

اعترفت بجلالة الملك فيصل ملكا على العراق .. فليحى الملك »

وما أن فرغ سكرتير مجلس الوزراء من القاء البيان حتى انتصب السيد محمود النقيب أكبر أنجال السيد عبد الرحمن النقيب ليلقى دعاء موجزا بهذه المناسبة وأطلقت بعدها ٢١ طلقة

ونهض « فيصل » بعد ذلك وألقى كلمة شكر فيها الشعب على مبايعته وأشاد بما لوالده الملك حسين من الأيادى البيضاء على العرب وشكر بريطانيا لوقوفها أيام الحرب الى جانب العرب لتحريرهم

ووعد الشعب باجراء انتخاب يجمع المجلس التأسيسى الذى سيضع الدستور ويصادق على المعاهدة . وفى نفس اليوم الذى توج فيه فيصل ملكا على العراق رفع السيد عبد الرحمن النقيب رئيس الوزراء استقالتين : الأولى الى الملك فيصل يشير فيها الى أن الأصول المرعية تقضى (بانسحاب هيئة الوزارة عن العمل) والثانية : الى المندوب السامى السير برسى كوكس يذكر فيها الى انتهاء أعمال الحكومة المؤقتة وعرض القضية على فخامته !!

***

وبجلوس فيصل على عرش العراق ملكا انطوت صفحة مهمة من تاريخ العراق الحديث ازدحمت بصراع سياسى بين اتجاهات مختلفة وتيارات متباينة برزت ظاهرة على المسرح السياسى تارة واختفت طورا وراء الستار لتعقبهما فيما بعد صفحات أخرى لا تقل عنها خطورة

الفصل الثالث

معركة السفور فى العراق

كيف بدأت الدعوة الى السفور فى العراق ؟

مازالت قصة تحرر المرأة فى العراق منذ أوائل هذا القرن ، وانطلاقها من أسارها وتسللها من خدرها ، الى الشارع رافعة نقابها سافرة عن وجهها مقتحمة مختلف المجالات ، قصة مجهولة الاطراف لا يعرف الكثير من الناس قادتها الذين لعبوا فيها دور (المحافظة) و (التجديد) ، فاقتحموا صولاتها وأبلوا فى معاركها ، ولم ترو بعد أحداثها الى أبناء هذا الجيل رغم ماتنطوى عليه من جهاد ونضال وعرق ودموع وملح شائقة تخلع على تلك القصة الكثير من المتعة

ولست أزعم أنى مستطيع فى هذه العجالة أن أجمع أطراف تلك القصة وحواشيها ، وأسردها بكل مافيها من تفاصيل . فحديث ذلك طويل ، انما سأحاول أن أعرض أبرز صفحاتها وأكشف ألمع جوانبها وأروى أطرف معاركها وأقدم الى القراء أكبر دعاتها وأبرز أبطالها . واذا كان لم يكتب لى معاصرة هذه الحكاية منذ بدايتها فقد أتيح لى أن أسمعها تتردد من أفواه

أبطالها ذكريات عزيزة وأن أتتبعها فى الصحف القديمة فأرافق كتابها وأصاحب دعاتها فى مناقشاتهم ومعاركهم . فأنفعل لانفعالهم وأتحمس لحماسهم ، واذا تمكنت من وراء ذلك كله أن أنقل الى القراء الجو الفكرى الذى كان يسود بغداد تلك الأيام بما فيه من (مشاعر) و (أحاسيس) فذلك ما أرمى اليه وزيادة .

***

منذ نصف قرن أو يزيد عندما استيقظت (مصر) على صوت (قاسم أمين) يدافع عن حقــوق المرأة وينــادى بحريتها كان (العراق) غارقا فى سبات عميق من الجهل ، منكمشا على مثل بدوية وقيم اجتماعية لاتكاد تعطى للمرأة أية قيمة بشرية كانسان له احساسه وله كرامته . بل كانت المرأة تحت ظل تلك المثل تعيش على هامش الحياة وراء جدران عالية من التقاليد القديمة وحواجز مرتفعة من العادات البالية التى لاتكاد تسمح لها أن تتنفس الا بصعوبة ولا تدعها تطل على العالم الا من وراء ثقوب صغيرة . بل أكثر من ذلك كانت المرأة أشبه بالعورة يجب أن تستر بستار كثيف من عباءتين لاتدعان أى مجــال للعين أن تخترقهما فكان على الناس أن يتجنبوا ذكرها فى مجالسهم وأن يتحاشوا الاشارة اليها فى أنديتهم خوف الفضــيحة وخشــية العــار . واذا كان لابد من ذكرها فبالتلميح وليس بالتصريح وبكثير من الخجل والحياء .. ولم يكن المجتمع العراقى ليتسامح فى الخروج عن هذه المثل بل كان يثور لأقل تهاون فى احترامها

ولأبسط تماهل فى تقديسها والشواهد كثيرة على ذلك .

حاولت الحكومة العثمانية أيام كان العراق ولاية من ولاياتها أن تقوم بتسجيل رعاياها ، ولم تكن هـذه العمليـة فى حد ذاتها جديدة على أهل العراق فقد ألفوا أن تقوم الحكومة بنوع من الاحصاء تمهيدا للقرعة العسكرية ، ولكن الجديد فى الأمر أن الحكومة أرادت ألا تكتفى بتسجيل الذكور ، شـأنها فى المرات السـابقـة ، وانما أرادت تسجيـل الاناث أيضـا ، فثار الرأى العام فى بغداد واعتبر ذلك العمل انتهاكا للحرمات وبدعة يجب مقاومتها ، وها أنذا أقتبس فقرات من كتاب اسمه (البغداديون : مجالسهم وأخبارهم) للسيد ابراهيم الدروبى فاستمع اليه كيف يصف بغداد بهذه المناسبة :

« ان من أطرف الحوادث التى خطر فى خلدى تدوينها كصفحة من صفحات تأريخ بغداد فى العصر العثمانى حادثة سنة ١٣٢٢ للهجرة الموافقة ١٩٠٤ م حيث أن الوالى عبد الوهاب باشا أراد أن يسجل عدد النسوة فى العراق ويعطى لكل واحدة منهن تذكرة عثمانية لاسيما مدن بغداد والموصـل والبصرة بناء على طلب سلطانى صدر له من دار الخلافة الاسلامية فى استانبول ، ولما شاع الأمر بين جموع أهالى بغداد قامت قيامتهم لما يحتفظون به من تقاليد موروثة وعادات عربية معروفة بأن هذا الأمر الذى أقدم عليه الوالى يمس شرفهم ويحط من قدرهم وكرامتهم ، فخرج الرجال من أهالى باب الشيخ والصدرية (سراج الدين)

ورأس الساقية وفضــوة عرب يتقدمهم السيد أحمــد أفندى النقيب والسيد محمد جمال الدين النقيب بجموع محتشدة كما خرج أهالى محلات بنى سعيد وقنبر على والفضــل يتقدمهم رؤساء تلك المحلات معلنين السخط والاستياء ، تتقدمهم الطبول والدمامات والأبواق مسلحين بالســيوف والقامات والخنــاجر والبنادق والمسدسات بأهازيج شعبية وهوسات بغدادية تحفظ لأهلها ولأصحابها ، حتى جر الأمر الى الاصــطدام بين جموع الأهلين والجاندرمه ، الا أن الأمر لم يحل بين تنفيــذ مطاليب أهالى بغداد حيث احتشــد الجميع ومعهم أهالى جانب الكرخ بطبولهم ودماماتهم وأهازيجهم يتقدمهم رؤساء محلاتهم كما أن بعض النسوة من جميع تلك المحلات خرجن بمظاهرة أيضا ، فقصد الجميع سراى الوالى ولم يخرجوا الا بعد أن قرر الوالى تأجيل النظر فى أمر التســجيل فرجع الجميع يهتفون ويتغنون بتقاليد العرب المتوارثة . والأهازيج التى كانت تلقى من أهالى باب الشيخ منها :

(سيد أحمد تلهب نيرانه ــ سيد أحمد يضوى ديوانه ــ سيد أحمد المذخور أنت ــ سيد أحمد أحجى بزايدنه) (1)

ولم يكن هذا الاجراء الذى أقدمت عليه الحكومة العثمانية فى الموصل بأهدأ منه فى بغداد ، فقد كادت تنشب بسببه فى أم الربيعين ثورة دامية مازال شيوخ الموصل الذين تقدمت بهم

(1) البغداديون : أخبارهم ومجالسهم ، للسيد ابراهيم الدروبى صفحة ١٥ و١٦

السن يقصون على أحفادهم سيرة زعيمها ــ محمد أبو جاسم ــ ويروون وهم معجبون ضربا من بطولاته وألوانا من مغامراته فى سبيل الدفاع عن شرف المرأة الموصلية .. بل ان بعضهم لايزال يذكر الأهازيج الحماسية التى كانت جماهير الموصـــل ترددها ضد الوالى مصطفى يمنى باشا فتقول :

هـــذا الأعور واليـنـــا جاء وظلم علينـــا
يارىى الطف بينـــا من قســـوة هــذا الوالى

جلب أسود خير من الوالى

أبو جاســـم الدافع ، عن الحـــريم أو مانع
ويا الجندرمة أو تواكع ، هجام جا على الوالى

جلب أسود خير من الوالى

أبو جاسم الصنديد ، جت لو الفزعه من البيعيد
بالهوســـة هو العكيد ابن الجوما هل الغالى

جلب أسود خير من الوالى

أبو جاسم جمعهـا للهوســـات أو حركهـــا
بالشـــوارع سيرها . نزل صدمة على الوالى

جلب أسود خير من الوالى

ياريت على الموصل ماجيت ولا هل فكره بثيت
دخلك يالنبى شيت ، خلصـــنا من هل الوالى

جلب أسود خير من الوالى

ابن متى ياذنون ، حطم والينا المجنون
أهل الحدبه مايرضون ابحكم هذا الوالى
جلب أسود خير من الوالى

وعندما ألقت الحكومة القبض على (محمد أبو جاسم) زعيم هذه الجماهير وزجت به فى السجن خرجت من أزقةالموصل جموع غفيرة يتقدمها سرحان ـ ابن أخت محمد ابوجاسم ـ وهو يردد معها مفتخرا « هذا الخال وآنى ابن أخته . عند الموت خالى اعرفته » (١)

ولعل حادثة الشيخ سعيد فى الموصل التى وقعت فى عام ١٩٠٨ وتركت صدى بعيدا عرض الأمن لاضطراب خطير ، هى الاخرى خير مثل يعكس لنا شدة تزمت المجتمع العراقى آنذاك ومبلغ تعصبه فى كل مايمس المرأة من قريب أو بعيد . لذلك كان من الصعب جدا فى مجتمع هذه مثله وتلك قيمه أن تجد الدعوة الى حرية المرأة وسفورها قبولا لديه ان لم تكلف مثل هذه الدعوة دعاتها ثمنا غاليا من حياتهم وراحتهم وسمعتهم

وعندما أعلن الدستور العثمانى للمرة الثانية فى تموز عام ١٩٠٨ وأقيمت الاحتفالات والمهرجانات فى بغداد ابتهاجا بنشره ، خيل لجميل صدقى الزهاوى أن الفرصة قد سنحت له ليلعب الدور الذى لعبه (قاسم أمين) فى مصر فطفق يتبنى دعوة تحرير المرأة العراقية والدفاع عن حقوقها وكان يومها أستاذا فى مدرسة

---

(١) نقلا من ابراهيم الواعظ الذى دوّن هذه الاهازيج

الحقوق فى بغداد يدرس أحكام المجلة ، ويحاول وهو فى مستهل شبابه أن يشق طريقه فى عالم الفكر والأدب وأن يلفت الأنظار اليه فنشر فى جريدة (المؤيد) المصرية عام ١٩١٠ عدد (٦١٣٨) مقالة جاء فيها (أجاز المسلمون أن يقسو الرجل فيطلق المرأة ويستبدلها بغيرها كسقط المتاع رادا الى حضنها أطفالها الذين هم نتائج شهوته .. وربما كانت المرأة الشرسة هى السبب لهذا الفراق .. ولكن ماحيلة المرأة الوديعة اذا منيت برجل شرس الأخلاق .. لماذا لم يجز المسلمون أن تطلقه لتنجو من شراسته وقد قال تعالى فى كتابه المبين بعد آية الطلاق « ولهن مثل الذى عليهن » أشاعت بعض الصحف أن جماعة من النساء المظلومات شرعن يرتددن فرارا من معاشرة أزواجهن.. فلا يلومن المسلمون الا أنفسهم ماحيلة المضطر الا ركوبها .. »

ولم يكد هذا العدد من الجريدة يصل الى بغداد وتتناقله الأيدى وأخذ يطلع عليه الجمهور حتى ثارت ثائرة الرأى العام وأسرع الشيخ (سعيد النقشبندى) يرد عليه برسالة نارية عنوانها (السيف البارق فى عنق المارق) وطافت فى أزقة بغداد جماهير غفيرة يتقدمها (مصطفى الواعظ) و (محمد سعيد الراوى) تطالب بعزل (الزهاوى) من وظيفته فى مدرسة الحقوق واتخاذ الاجراءات الشديدة ضده ، فنزل الوالى (ناظم باشا) عند رغبتها وعزله من مدرسة الحقوق ، ولعل الذى زاد الوالى اندفاعا فى الاقدام على هذا الاجراء هو الصراع الحزبى

الذى بلغ أوجه فى بغداد بين حزب (الاتحاد والترقى) من جهه وحزب (الحرية والأئتلاف) من جهة أخرى استعدادا للمعركة الانتخابيه وقد كان الوالى (ناظم باشـا) يميل الى (حزب الأئتلاف) فى حين يقف (الزهاوى) فى مقدمة صفوف حزب (الاتحاد والترقى) . ولم يستطع الزهاوى الصمود أمام هـذه العاصفة التى أثارها ، فسرعان ما انهارت أعصابه واستولى عليه رعب شديد وبالرغم من أن بعض الأحرار فى مصر كولى الدين يكن وغيره قد تطوعوا للدفاع عنه الا أنه لم يتمكن من الثبات فى الميدان فتوارى عن الأنظار خائفا وجلا وأسرع يرسل الى الصحف ويقسم الأيمان غليظة على أن المقالة المذكورة مدسوسة عليه من بعض المغرضين وقد نشر فى جريدة «الرقيب» البغداديه بعددها الصادر فى ٧ شوال ١٣٢٨ هـ كتابا مفتوحا الى ناظم باشا والى بغداد قال فيه :

الى ناظم الحكومة فى بغداد

أسمع أن أحد المشايخ المتلبسين بالتقوى فى بغداد البلد الذى يسيطر عليه حكم الدستور وعدلك الواقى أخذ يدير رحى فتنة جسيمة فيحرض الجاهلين على الايقاع بى باسم الدين البرىء من النظام جزاء مقالة اجتماعية نشرت بامضـائى فى (المؤيد الأسبوعى) كما فى (تنوير الأفكار) دفاعا عن المرأة

وهى عدا كونها شبهات ضعيفة استفهامية تزول من نفسها لم تتعين بعد أكاتبها أنا أم هى مزورة على لسانى من عدو لى

فى العراق .. والذى أرجوه من الحكومة الدستورية هو ان لا تقتص من الصابغين أكفهم بدمى اذا كان مايريده المحرضون ذلك وأظنهم أكثر من واحد

بل تعنى بتعليمهم لئلا تمتد أيديهم فى المستقبل الى منكود آخر مثلى يتمنى فى كل كتاباته اصلاحا للأمة اجتماعيا » (١)

***

وبالرغم مما لاقته الدعوة الى السفور من مقاومة عنيفة فى العراق لم يقض عليها ، فسرعان ما تطورت الاوضاع الدولية والاجتماعية وزال نفوذ الخلافة العثمانية وازداد العراق صلة بالعالم الخارجى بحكم التقدم وتطور المواصلات، فاتجهت الحركة الوطنية بعد ثورة حزيران الى تأسيس حكم وطنى ديمقراطى وطفق العراق وهو فى بداية نهضته يتطلع الى نهضات الشعوب المجاورة ليترسم خطاها ويحذو حذوها يلتفت تارة الى الشمال فاذا به يجد تركيا قد ألغت الخلافة ، وخطت خطوات واسعة فى فصل الدين عن الدولة وشرع زعيمها مصطفى كمال يلغى المحاكم الشرعية ويستبدل بأحكام المجلة أحكام القانون المدنى ، ويأمر برفع النقاب ومنع الحجاب وارتداء القبعة بدلا من الطربوش واستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، ويلتفت طورا الى الشرق فاذا به يرى — أمان الله — فى الأفغان — ورضا شاه فى ايران ، ينهجان نفس النهج . وطبيعى أن تؤثر

---

(١) جريدة الرقيب ٧/ شوال/١٣٢٨ هـ

هـذه الانقلابات الاجتماعية فى المجتمع العراقى ، فانصرفت الصحف العراقية تتناقل أخبارها وأخذ الناس يتحدثون عنها فى مجالسهم بين مستهجن ومستحسن . وصحيح أن هذا التأثير لم يبلغ من القـوة بحيث يقضى بين عشية وضحاها على القوى المحافظة والرواسب الفكرية التى تناقلها المجتمع جيلا عن جيل ، الا أنه ما من ريب فى أن هذه القوى وتلك الرواسب تعرضت لقليل من الضعف بحيث لم تبق على ماكانت عليه أيام الخلافة العثمانية من قوة ونفوذ . ولعل بعض الحوادث التى وقعت أول أيام الحكم الوطنى كشفت عن عجز المحافظين عن صد هـذا التيار الجديد الذى أخذ ينبه الأذهان ويشق طريقه فى بطء . ففى شباط عام ١٩٢٢ أقام المعهد العلمى فى بغداد مهرجانا شعريا عرف باسم (سوق عكاظ) رأى بعض منظميه أن تساهم الفتاة العراقية فيه ، ومع أن السيد عبد الرحمن النقيب وكان يومها رئيسا للوزارة بطبيعة مركزه ونشأته رجل محافظ عارض هذا الاتجاه ولم يخف تبرمه به ، لاسيما عندما بلغه أن الفتاة التى وقع الاختيار عليها هي حفيدة أستاذه الشيخ داود الذى درس عليه الحديث والأصول ، الا أن هذه الخطوة تمت فى جو من الضجة والصخب . ويروى محمد جميل بيهم فى كتابه ــ فتاة الشرق ــ أنه زار بغداد فى تلك الأيام فكلفه منتدى التهذيب بالقاء محاضرة نسائية وقال (... وما شاع الخبر حتى خف ثابت عبد النور الى زيارتى ونصحنى ألا أفعل خشية من

اغتيالى فما باليت وألقيتها وكانت محاضرة ناجحة ولاسيما من حيث اقبال السيدات على استماعها رغم أنهم لم يسمحوا للنساء بالحضور اليها ..)

ولعل الحادث الذى تعرض له (معروف الرصافى) فى مارت عام ۱۹۲۲، خير مثل يعكس حقيقة مركز القوى المحافظة فقد اتفق أن أنشد (الرصافى) على مسرح ـ سينما رويال ـ فى حفلة تمثيل قصيدة هاجم فيها المحافظين والمتعصبين هجوما عنيفا فى معرض الدفاع عن حقوق المرأة ومما قاله فيها :ـ

لقد غمطوا حق النساء فشددوا عليهن في حسب وطول ثواء
ألم ترهم امسوا عبيدا لأنهم على الذل شبوا فى حجور اماء
أقول لأهل الشرق قول مؤنب وان كان قولى مسخط السفهاء
الا ان داء الشرق من كبرائه فبعدا لهم فى الشرق من كبراء
وأقبح جهل فى بنى الشرق أنهم يسمون أهل الجهل بالعلماء

ومع أن هذه الحادثة لم تمر بسلام فقد تصدى له الحاج عبد الحسين الازرى بقصيدة لاتقل عنها عنفا جاء فيها :

أكريمة الزوراء لا يذهب بك الـ نهج المخالف بيئة الزوراء
أو يخدعنك شاعر بخياله ان الخيال مطية الشعراء
حصروا علاجك بالسفور ومادروا ان الذى حصروه عين الداء
أسفينة الوطن العزيز تبصرى بالقعر لا يغررك سطح الماء
وحديقة الثمر الجنى ترصدى عبث اللصوص بليلة ليلاء

وراحت جريدة (دجلة) تنظم حملة عنيفة ضد (الرصافى)

وتحمس رجال الدين فى رفع المضابط واصدار الفتاوى ، الا أنه تبين بعد ذلك أن (الرصافى) كان أحسن حظا من زميله (الزهاوى) ذلك لأنه لم يعدم بعض أنصار يشاطرونه هذا الرأى ، ولهم من الجرأة ما يدفعهم الى الاعراب عنه ، وقد بدا ذلك فى مظاهر شتى كنشر بعض المقالات التى تدعو الى العناية بتعليم المرأة والاهتمام بتثقيفها وصدور بعض المجلات النسائية منها مجلة (ليلى) التى أصدرتها ـ بولينا حسون ـ عام ١٩٢٣ ومع أن هذه المجلة لم تحدد هدفا معينا من وراء النهضة النسائية التى بشرت بها وانما اكتفت بأهداف عامة غامضة ولم تجرؤ على الدعوة الى السفور بل بالعكس من ذلك أسرعت فى العدد الثالث منها تنفى عن نفسها هذه التهمة فقالت « .. خاف بعضهم وبعضهن قبل صدور ليلى من أن النهضة النسائية التى تنادى بها هى رفع الحجاب والتمسك بالسفور والأزياء الغربية فليطمئنوا وليسكن روعهم فان مهمة المجلة .. أرفع من ذلك » . ومع ذلك التحفظ لم يكتب لهذه المجلة عمر طويل فسرعان ماذهبت ضحية خلاف بين جريدتى (العراق) و (العالم العربى) اذ بينما أخذت الأخيرة تضع الزهور على رأس (بولينا حسون) وتنحلها لقب زعيمة النهضة النسائية وقفت (العراق) تسخر وتتهكم وترشح سواها واشتد الخلاف حتى التجأت صاحبة ـ ليلى ـ الى القضاء متهمة صاحب العراق بقذفها واستحصلت حكما بذلك

على أن طلائع هذه الحركة التى بدت غير مستقرة فى أهدافها وغير مركزة فى غاياتها لم تلبث أن اتضحت معالمها بعض الوضوح واستقرت أهدافها بعض الاستقرار ، وذلك اثر حادثة وقعت وأسفرت عن معركة عنيفة عرفت باسم معركة (السفور والحجاب) شغلت الرأى العام زمنا غير قصير .

ولعل القارىء يتساءل كيف بدأت هذه المعركة ، ومتى رفعت وانتهت ومن هم أبطالها ؟ سواء منهم دعاة السفور أو دعاة الحجاب ؟

كان ذلك منذ أكثر من نصف قرن مضى وعلى وجه التحديد عندما قدم بغداد لأول مرة الأمير غازى فرحبت به حكومة (ياسين الهاشمي) وأعدت له استقبالا شاركت به مدارس الذكور وساهمت فيه مدرسة واحدة من مدارس الأناث وهى مدرسة البارودية فخرجت فتيات المدرسة برئاسة الآنسة (معزز برتو) مديرة المدرسة للمشاركة فى الاستقبال ، ومع أن فتيات تلك المدرسة اللواتى خرجن الى الشارع مرتديات زى الكشافه لاتتجاوز أعمارهن الرابعة عشرة ، الا أن الأوساط المحافظة قامت وقعدت لهذه البادرة فانبرت احدى الصحف تهاجم مديرة المدرسة وتنحو عليها باللوم وتنتقد هذا العمل الذى أقدمت عليه وتعتبره خروجا عن الفضيلة وثورة على الآداب ، وأسرع كاتب آخر وهو ـ حسين الرحال ـ يرد على هذا الاتهام الذى أثاره شخص يحمل اسم جميل المدرس ويختفى وراء لقب «المنزوى» ،

وكان أخذ ورد وجدل ونقاش تطور بعد ذلك الى معركةحامية الوطيس دارت حول موضوع السفور والحجاب نزل الى ميدانها الكتاب بأقلامهم والخطباء على منابرهم والشعراء بشعرهم . أما أنصار السفور فى هذه المعركة فكانوا قلة لايتجاوز عددهم أصابع اليد بينهم الأديب الهاوى كمصطفى على ومحمودأحمد السيد والشاب المتعلم تعليما عصريا كسامى شوكة وعونى بكر صدقى وسليم فتاح وكحسين الرحال الذى درس فى أوربا ، وكلهم فى سن الشباب يرتدى الزى الأفرنجى ويضع الطربوش على رأسه اللهم الا (حسين الرحال) الذى كان يغشى الأندية والمجتمعات لابسا (قالباق) على رأسه بشكل يلفت الأنظار اليه ..



مصطفى على



محمود احمد السيد

وأما أنصار الحجاب فكثيرون يصعب حصرهم ويعسر تعدادهم بينهم رجل الدين كالأستاذ محمد بهجة الآثرى ومحمد رشيد المدرس فى جامع الحيدرخانة أو الشاب الذى نشأ فى أسرة دينية محافظة كسلمان الشواف ومصطفى عزت عبد السلام ، أو الفتى الذى نزلت القيم الاجتماعية فى نفسه منزلة التقديس كتوفيق الفكيكى وخليل اسماعيل ومصطفى القاضى ورفيق نورى السعيدى وحسين الظريفى والمرحوم الملاعبود الكرخى وغيرهم ..

اقتصرت المعركة بادىء ذي بدء فى مجال محدود من الصحف فاتجهت جريدة « العراق » التى كان يتولى تحريرها كل من رزوق غنام ورفائيل بطى بصفة خاصة الى جانب السفور

فانتصرت لدعاته وأفسحت صفحتها الأولى لأقلامهم فمضى السفوريون يترافعون عن قضيتهم بحماسة ويدافعون عن دعوتهم بحرارة ، ومع ان اثر قاسم أمين كان يبدو واضحا فى أسلوب نقاشهم وحججهم بحيث كان أكثرهم يردد آراءه ويكرر أفكاره الا أن بعضهم كان يعكس فى نقاشه أثرا للتفكير اليسارى المتأثر بنظرية تنازع الطبقات والمشبع بروح العطف على الحركة الكمالية فى تركيا .

ولعل (حسين الرحال) كان خير من يعكس هذا الاتجاه من أنصار السفور فاندفع يناقش مشكلة السفور والحجاب بهذا اللون من التفكير فقال فى معرض المناقشة .. « .. الحجاب

عادة دور الاقطاعيات وعادة الطبقة الارستقراطية فى الدور المذكور والنساء المتحجبات عندنا منسوبات الى أسر من أنقاض الدور الاقطاعى والمتشبهات بهن

أما بنات الشعب الصميمات فلسن بمتحجبات ولا يمكن أن يتحجبن .. ان الحرم والحجاب ليس لهما وجود فى طبقة الشعب وسيزولان عندما تسود طبقة الشعب وتكون هى الحاكمة كما جرى فى تركيا ومصر !! » (١)



عونى بكر صدقى

كما عكس البعض الآخر آراء علماء الاجتماع فى أوربا فى تطور العائلة التأريخى وانتقالها من مرحلة الى مرحلة وعلى ضوء هذه النظرية انصرف محمد سليم فتاح يدرس نظام العائلة العراقية فانتهى الى القول بعد أن استعرض المراحل التى مرت



حسين الرحال

---

(١) العالم العربى عدد ٢١٣ فى ٢٩ تشرين الثانى ١٩٢٤

بها العائلة من أن مركز المرأة العــراقية ذلك الوقت لايختلف كثيرا عن مركز المرأة اليونانية فى العهود القديمة فقال « فالمرأة لم تكن اما اجتماعية تشارك الأب فى مساعيه وتساويه فى الحقوق والوجائب بل انها صارت بضاعة تباع وتشرى لقضـــاء حاجة الذكور وأداء الخدمة المنزلية وان الزوج متى أراد طردها من بيته فحالتها هذه تشبه حالة المرأة اليونانية فى القديم اذ أن هذه كانت تسكن داخل الدار لاتخرج الا نادرا وكانت لاتقوم الا بوظائف الخدمات البيتية .. » (١)

واتجهت جريدة ـ البدائع ـ الى جانب الحجاب بصفة خاصة فعهد صاحبها داود العجيل برئاسة تحريرها الى بهجة الأثرى أحد أقطاب دعاة الحجاب فمضى يحبر مقالات شديدة فى تسفيه آراء السفوريين وشاركت صحف أخرى فى هذه المعركة فكان (ابراهيم حلمى العمر) يفسح حقول جريدته ـ المفيد ـ غالبا لدعاة الحجاب وأحيانا لدعاة السفور وهو يؤكد حيـــاده بين الطرفين ولعله كان يحرص على أن يقف هذا الموقف لتبقى المعركة تدور فى ميدان جريدته فيضمن بذلك لها رواجا وانتشـــارا ، ووقفت جريدة (العالم العربى) موقف المتردد فهى ان نشرت مقالة لبعض السفوريين أسرعت تستدرك وتقول انها تنشر ذلك عملا بحرية النشر وان ذلك لايعنى ايمانها بهذه الدعوة .

وأخذت المعركة تدخل فى طور جـديد فظهرت العبـارات

---

(١) العالم العربى عدد ٢١٣ فى ٢٩ تشرين الثانى ١٩٢٤

القاسية التى يتبادلها الطرفان وبرزت الاتهامات العنيفة التى أخذ كل من الجانبين يكيلها جزافا الى الآخر فاتهم الحجابيون دعاة السفور بالخلاعة والمجون والخروج عن الاسلام وأحكام الشريعة وطفح الخيال ببعض دعاة الوطنية منهم فذهبوا الى القول بأن اثارة بدعة السفور فى وقت لم تحسم به قضية الموصل بعد مؤامرة مدبرة لصرف أنظار الشعب عن مشكلته الوطنية . ورد السفوريون على هـذه الاتهامات بمثلهـا فاتهموا الحجابيين بالرجعية والجمود والأنانية .

وقد يكون من الطريف أن نعرض بعض نماذج من أقوال الطرفين لنعطى انطباعا عن جو المعركة المذكورة والتفكير الذى كان يسودها .

فكان المنزوى ــ وهو جميل المدرس كما مر بنا ــ ينـاقش السفوريين على مايرددونه من أن نساء العرب شاركن الرجل أعماله فى صدر الاسلام وعملن معا جنبا الى جنب دون حجاب فيقول فى معرض المناقشة بسذاجة : « ... نعم كانوا هكذا فى الأيام الجاهلية .. حيث كانت الأخلاق الشريفة والشرف والاباء شيمتهم .. ومن ثم أخذت تلك الأخلاق المحمودة بالتدهور الى الدرك الأسفل يوما فيوما .. والأخلاق التى نحن سائرون اليها أدنى بكثير من أخلاق الجاهلية الأولى .. » ثم يقارن بعد ذلك بين المرأة العراقية قبل الاحتلال البريطانى وبعده فيقول « أنظر قليلا الى الأخلاق والعفة التى كانت موجودة عند البنت العراقية

قبل الاحتلال وبعده .. ناشدتك الله أين كانت مخبوءة قبل هذه السنين المشؤومة الجواريب المخرمة ؟ .. والعباءة الواحدة القصيرة ؟ .. والفسطان القصير فوق الركبة والنقاب (البوشى) أرق من هواء النسيم ... ان الله عز وجل أمر ألا تخرج المرأة من عقر دارها الا لغرض ضرورى والحال اننا لم نشاهد اليوم امرأة تمتثل هذه الأوامر الالهية من النساء الا النادر ... بل تريد أن تذهب الى المنتزهات العامة كجسر مود والصالحية والسينما .. ثم يخاطب دعاة السفور بعنف قائلا :

« خذوا العبرة من النصارى واليهود مع أننا لايمكننا أن نوجه اللوم عليهم ... ورغما على هذا لانجد اليوم فرقة كشافية أناثية فى مدارسهم كمدارسنا الاناثية اليوم .. كانت البنت اليهودية العراقية قبل الاحتلال تسدل على وجهها نقابا خفيفا جدا كالذى تلبسه اليوم أكثر بنات الاسلام المتبرجات ومن ثم شعروا بمضاره فأبدلوه بواحد أثخن .. » (١) وكان الاستاذ (الأثرى) يشيد بمزايا الحجاب ويخاطب السفوريين بغضب قائلا : « ها أنتم أولاء تتظاهرون بنصرتها والدفاع عنها ... بينما السيدات الفاضلات المصونات يتبرأن من ثرثرتكم ونقيقكم .. ويبرأن الى الله من التبرج والسفور ومن كل من يدعو الى الخلاعة والفجور ويعددن الحجاب نعمة ما أجل منها

---

(١) جريدة المفيد العدد ٢٣٩ لسنة ٩٢٤ وجميل المدرس هو اخو الكاتب العراقى لهمى المدرس

نعمة .. فهل أنتم عن غيكم منتهون ؟ .. ألقوا حبل نسائكم على غاربهن ودعوهن سافرات .. ودعونا نفعل بهن ما نشاء ان شئنا قتلناهن وان أردنا وأدناهن فلستم علينا بمسيطرين) (١) .. وكان (محمد رشيد) يتهمهم بأنهم « يحبون التمتع والتلذذ بمحاسن النساء وكلما زاد السفور والتبرج زاد استلذاذهم وحصل مقصدهم » (٢) وكان (خليل اسماعيل) يقف موقف الدفاع عن التقاليد والعادات فيرد على أحد السفوريين : ماهو القديم البالى الذى تعنيه ؟ ان كنت تقصد به الحجاب فكيف تستطيع أن تبرر قولك بأنه بال وتطلب رفعه بعد أن وقع الاجماع على ضرورة وجوده وعرف الكل المحاذير والمضرات الكثيرة التى تنشأ عن السفور .. » (٣)

أما (توفيق الفكيكى) فقد حبر مقالات كثيرة فى نبذ السفور واعتباره لونا من ألوان التبرج وفى احدى تلك المقالات وقف يناقش أحد دعاة السفور ويتساءل : ماذا يريد منا بعد حضرة الطبيب الاجتماعى أما جئنا له بكل قول رشيد على اختلاف علماء الأقطار والأمصار.. أما يقنع ضميره بأقوال وحكم وتجارب هؤلاء الذين سبقونا فى كشف أسرار الحياة وتقدموا علينا بمدنيتهم الصناعية ولمسوا الخطر ونزلت عليهم الآفات الاجتماعية والسياسية قبلنا بسبب الحرية المطلقة النسائية أيريد أن نذكره

---

(١) مجلة البدائع العدد ١٠٨ لسنة ١٩٢٤

(٢) المفيد العدد ٢٥٧ لسنة ١٩٢٤

(٣) جريدة المفيد ٣٥٩ لسنة ١٩٢٤

بما حل بدولة الرومان حينما أطلقوا الحرية المفرطة لبنات الخدر بعد أن كان العالم يتحرك باشارتها ؟ أيريد أن نعيد الموعظة التاريخية على سمعه مرة أخرى ، ونقول له ان الدولة العباسية لم يقرضها من خارطة الوجود الا ترف ملوكها بالجوارى والحور الحسان من النساء أى عندما أصبحوا رهينة جمالهن يتحركون باشارتهن ، ماذا يريد بعد سرد هذه العبر والمواعظ والشواهد ، قتل الانسان ما اكفره !! »

ولم يقف السفوريون أمام هذه الحملات العنيفة موقفا سلبيا وانما ثبتوا أمامها بجرأة وشجاعة فراح (مصطفى على) يصرخ بهم (على رسلكم أيها الصاخبون.. ألستم الذين ضيقوا على الأستاذ الزهاوى وحظروا عليه الخروج من داره أياماً . أو لستم الذين أحدثوا تلك الضجة على الأستاذ الرصافى بعد أن تلا قصيدته المرأة فى الشرق وأعدوا له المضابط والفتاوى بخروجه على الدين ومروقه منه ... ويحكم لسنا بمارقين ولسنا بكافرين ولسنا بملحدين فيما كتبنا وما دعونا وندعو اليه) . (١) ووقف سامى شوكة يناقشهم تحت توقيعه المستعار (الطبيب الاجتماعى) ويقول : « ان المطالبين فى بقاء تستر المرأة وأسرها يكون طلبهم منطقيا أزيد ومعقولا أكثر اذا ما طلبوا الغاء التعليم ورفع التهذيب والبقاء على الحالة الهمجية .. » (٢) وتهكمت بهم « فتاة غسان » قائلة : « يقول أولئك المستبدون ... ان البرقع

---

(١) جريدة العراق العدد ١٣٨٤ لسنة ١٩٢٤
(٢) جريدة العراق العدد ١٣٧٠ لسنة ١٩٢٤

والحجاب ليس معنـاه الاسر .. فأرجو منهم أن يجربوا ولو أسبوعا واحدا بل يوما واحدا ويتفضلوا بوضع البرقع الاسود المعلوم على وجوههم ويلبسوا العباءتين المعهودتين على أكتافهم وفوق رؤوسهم ، لماذا لم نسمع من هؤلاء تذمرا من أفعال سعد باشا زغلول حين تأبط زوجته وألبسها البرنيطة وذهب بها الى العواصم الأوربية ومن حركات مصطفى كمال باشا الذى لايفتتح مجلس الأمة الكبير الا ولطيفة هانم زوجته عن يسينه .. » (١)

وقـد رد على تهكم (فتـاة غسان) السيد (مصطفى عزت عبد السلام) تحت توقيعه المستعار (م.ع.ع) بتهكم أشد مرارة فخاطبها قائلا : « حنانيك يا فتاة غسان أراك تريدين قلب النظم الاجتمـاعية والشرائع فافعلى ما تشائين وطبقى بالفعل قولك وأعيرى عباءتك وبرقعك للفكيكى لنرى صـدق دعواك فنرى الفكيكى ببرقعه ونراك سافرة ونقول سبحان الذى يغير ولا يتغير » (٢) وتحمس (عونى بكر صدقى) فاندفع يناقش خليل اسماعيل ويقول : « الحجاب ياسيدى خليل من العوائد القديمة البالية التى ابتليت بها هذه الأمة والتى يجب أن تسعى للتخلص منها فهى عادة عرضية لا محذور فى ازالتها أبدا وهى عادة أن وقع عليها الاجماع فى العصـور الماضية فليس من العقـل أن

---

(١) جريدة العراق العدد ١٣٧٩ لسنة ١٩٢٤

(٢) جريدة المفيد العدد ٢٥٥ لسنة ١٩٢٤

تتمسك بها بينما نعلم انها صائرة الى الزوال لا محالة .. » (١)

واحتدمت المعركة وحمى وطيسها والتهب نارها واندفع كل من الجانبين يطلق على الآخر الالقاب الساخرة تهكما واستهزاء ، فعندما أطلق (الفكيكى) الذى كان يذيل مقالاته تارة بـ (فحل قحطان) وطورا بـ (فتى نزار) على محمد سليم فتاح ، لقب (الصبى البغدادى) أسرع الأخير يلقبه بـ (شيخ فحل) ، كما كان الرصافى فى مجالسه الخاصة يلقب ـ بهجت الأثرى ـ بـ (بوليس السماء) باعتباره لا يدع مناسبة تمر الا وينبرى للدفاع عن الشريعة الغراء .

ولعل ما صاحب هذه المعركة من ضجيج وما رافقها من صخب هو الذى أغرى بعض الشعراء على الاسهام فيها ، فساهم (عبد الرحمن البناء) بقصائد منها قصيدته التى قال فيها :

أيها القوم اصلحوا أنفسكم   خاب من رام سفور الوجه خابا

وساهم حسين ظريف الاعظمى بقصيدة ذات عنوان مسجع وهو (النفور من السفور) جاء فيها :

لئن زعموا ان السفور تجددا   فانى لأأبى فى الحياة التجددا
اذا كان تحجيب النساء تقيدا   فانى لأهوى للنساء التقيدا
وان كان تمهيد السفور من الهدى   لعمر الهوى انى لأبرأ للهدى

ونزل الى الميدان أيضا الشاعر الشعبى الملا عبود الكرخى ، ومع ان الكرخى سبق له ان عبر فى مطولته الذائعة الصيت

---

(١) جريدة العراق العدد ١٣٩٢ لسنة ١٩٢٤

والمعروفة باسم (المجرشة) عن بؤس المرأة العراقية وتعاستها وما تلاقيه فى حياتها من ظلم واضطهاد ، الا أنه آثر أن يقف فى هذه المعركة موقف المعارض للسفور المعـادى لدعاته . فأخذ يهاجم بعنف الشباب الذين دعوا هذه الدعوة وأطلق عليهم من باب السخرية « جوگة زعاطيط » وراح يتهمهم تارة بالماسونية وطورا بالاباحية ومرة بالالحاد

وبادر الكرخى يرد على من انتحلت لقب (لامعة) وراحت تدعو الى السفور وتحمل على الحجاب فقال بشعره العامى :

خرقتى حـكم كل مجتهـد — واقنعتى فى فتوى الولد [1]
شـگيتي شـك ما أعتقـد — ينركع صـارت فاجعـة
وين البيشر مصطفى [2] — والمـاى بالجـرة صفه
تم السـفور الشر طفـه — بشراك صـارت معمعة
(ومحمود بن أحمد) [3] بعد — والاجتمـاعى المعتمـد
(عونى بكر صدقى) [4] لقد — فزتـم بهـذي الواقعـه

***

واتسع ميدان المعركة وتجاوز مجال الصحف الى مجالات أخرى وأصبح موضوعها مستأثرا باهتمام طلبة المعاهد العالية ولا سيما طلبة (كلية الحقوق) فقد كان هذا الموضوع مدار

---

(١) الولد : يعنى بهم زمرة الشباب الذين دعوا الى السفور
(٢) مصطفى على ، احد دعاة السفور
(٣) محمود أحمد القصصى العراقى المعروف واحد دعاة السفور
(٤) عونى بكر صدقى من دعاة السفور

أحاديثهم وموضع تعليقاتهم وطالما بسط الطلبة ألسنتهم فيه .

ولم يخف بعض الأساتذة فى أروقة الكليات والحلقات التى تضمهم مع الطلبة رأيه فى هذه القضية .

فبقدر ما كان (يوسف العطا) أستاذ الأحوال الشخصية يبش بوجه (الحجابيين) ويربت على أكتافهم مشجعا ومباركا ويعبس بوجه (السفوريين) ولا يدع مناسبة تمر به أثناء المحاضرة الا ويسفه آراءهم واذا تصدى له واحد منهم بسؤال ثار وغضب وعربد .

وعرف عن رشيد عالى الكيلانى أستاذ العقوبات ميل الى الحجاب نفور من السفور فى حين عرف عن (رؤوف الجادرجى) أستاذ القانون الدولى وحكمت سليمان أستاذ المالية وتوفيق السويدى أستاذ القانون الرومانى عطف على السفور .

على ان صدى هذه الدعوة فى الأوساط الدينية كان قد بلغ الغاية فى العنف . فقد أسرع وعاظ الجوامع يعلنون من فوق المنابر حربا شديدة عليها فكفروا دعاتها ورفعوا المضابط ضدهم وأصدروا الفتاوى بحقهم بل ، استباح بعضهم دماءهم واعتبر مقاومة دعوتهم لونا من ألوان الجهاد فى سبيل الاسلام واستطاع أحدهم بحماسه الدينى أن يؤثر على الرأى العام ولا سيما فى جانب الكرخ تأثيرا شديدا بحيث كاد يتعرض أحد الأبرياء الى حادث يودى بحياته حيث رماه أحد (المجاهدين) بعدة طلقات نارية وهو يحسبه ـ السفورى عونى بكر صدقى ـ نجا منها

بأعجوبة مدهشة . وقد كان لهذه الحادثة يومها صـــداها فى الأندية بحيث أصبحت موضع أحاديث الناس ومحل اهتمامهم وقد روى لى الأستاذ مصطفى على تعليقا همس به أحد أنصار السفور وهو رفائيل بطي على هذه الحادثة فقال : كنت أرجو لو أصابت هــذه الطلقات واحدا من السفوريين واستشهد فى سبيل مبدئه اذن لكان لدعوتكم وقع أكبر ودوى أبعد . وهناك حادثة وقعت فى غمرة المعركة لا بأس من روايتها لما تنطوى عليه من دلالة .. فقد اتفق ان ظهرت تلك الأيام مقالات تدعو الى السفور بحماسة مذيلة بتواقيع نسائية منها (فتاة غسان) ومنها (لامعة) مما تركت صدى عنيفا فى الأوساط المحافظة حملت الملا (عبود الكرخى) على أن يخصص قصيدتين شــعبيتين لــكل واحدة منهما . وقد تساءل النــاس يومها فى المقاهى والأندية بفضول عن حقيقة هذين الاسمين ، وسرعان ما تطايرت شائعات تقول ان (فتاة غسان) اسم مستعار لاحدى كريمات (الشيخ أحمد الداود) وكان الشيخ يومها عميدا لحزب (الأمة) الذى يجمع صفوفه لخوض أول معركة نيابية فضلا عن انه رجل له صفة دينية لم يتخلص منها ، فكان من الطبيعى أن تضعه هــذه الشائعات فى موضع الحرج ، لذلك أسرع الشيخ فأصدر بيانا هذا نصه :

« بلغنى مع كل الأسف أن بعض المغرضين يتهمون ولدى أو احدى كريماتى بالمقالة التى نشرتها جريدتكم بامضاء ــ فتاة

غسان ـ وحيث ان المقالة المذكورة لم تصدر عن أحد من أسرتنا ولا علم بأحد منا بها ونحن منها أبرياء أرجو نشر ذلك .. » [1] وأسرعت جريدة « الاستقلال » ترفع الحرج عن الشيخ أحمد الداود بوصفها الجريدة التي تسند الحزب الذي يتزعمه فقالت : « أشاع بعض المغرضين أن المقال الذي نشر في جريدة العراق بتوقيع فتاة غسان صادر من أحد أفراد عائلة الشيخ داود المحترمة وقد علمنا بصورة قطعية ان لا صحة لهذه الاشاعات الباطلة وان هذه العائلة الكريمة لا تود أن تدخل في موضوع كهذا » [2]

وبينما كانت معركة السفور والحجاب قائمة على قدم وساق وأخبارها ملء الأندية والمحافل ، وأحاديثها تدور في المقاهي ، اذا بناد جديد يظهر باسم نادي النهضة النسائية يفتح أبوابه في ٢٣ تشرين ثان ١٩٢٤ بحفلة فخمة تساهم فيها الليدي دوبس زوجة المندوب السامي والمس بيل سكرتيرة دار الاعتماد وغيرهما من سيدات وأوانس العائلات العراقية وسرعان ما تألفت لهذا النادي هيئة مؤلفة من :

١ ـ الرئيسة أسماء الزهاوي (شقيقة جميل الزهاوي)

٢ ـ نائبة الرئيسة نعيمة السعيد ـ ٣ ـ السكرتيرة ماري عبد المسيح وزير ـ ٤ ـ أمينة الصندوق فخرية العسكري (عقيلة المرحوم جعفر العسكري) ورحبت جريدة (العراق)

---

(١) جريدة العراق العدد ١٣٨٨ لسنة ١٩٢٤
(٢) جريدة الاستقلال العدد ٥٠٧ في ٢٧ تشرين ثاني سنة ١٩٢٤

بوصفها الجريدة التى انتصرت لحرية المرأة والدعوة الى سفورها بهذا النادى واعتبرت تأسيسه (فتحا جديدا) فقالت فى معرض الترحيب به : « ... نحن نسر ، ونسر جدا بأن تحفزت المرأة العراقية وقامت تريد اذاعة النهضة النسائية فى المجتمع ونعد تأسيس هذا النادى النسائى الذى هو أول ناد عرفته عاصمتنا المجيدة فتحا جديدا لنهضتها الاجتماعية » (١) واستبشر السفوريون أيضا به واعتبروا تأسيسه نصرا لهم وفشلا لخصومهم ولكنهم لم يلبثوا ان أصيبوا بخيبة أمل مريرة عندما وقفت سيدة بارزة من سيدات النادى تخطب فى حفلة الافتتاح وتقول :

« .. يقولون ان هذا النادى هو لكذا والى كذا ! وسد أقول ان هذا من سوء تفاهم الذين لا يعلمون ويتكلمون واذا سألهم أحد ما هذه النهضة ؟ . يجيبونه لرفع الحجاب ولكشف الحجاب وغيره من الهذيان ما شاءوا ولا يقولون انه لرقى الوطن ولمنفعة الأيتام ولمساعدة المحتاجين .. » (٢)

ولقيت هذه البيانات بادىء الأمر تطمينا من الأوساط المحافظة، فأسرعت جريدة المفيد ــ تشمت بالسفوريين وتقول « .. كان لهذه التصريحات تأثير حسن فى النفوس وهى بلا ريب جاءت أبلغ رد على من يدعى ان هذا النادى يعضد فكرة السفوريين .. » (٣) . وقد وصفت المسز ستيفنسن عقيلة المستر

---

(١) العراق العدد ١٣٧٠ لسنة ١٩٢٤
(٢) العراق العدد ١٣٨٦ لسنة ١٩٢٤
(٣) المفيد العدد ٢٥٦ لسنة ١٩٢٤

دارور مستشار وزارة العدلية ـ الجو الذى كان يسود هـذا النادى وما أثاره غداة تأليفه من ضجة وصخب وكيف تقلصت أعماله بعد فترة من الزمن فانقلب الى محل لشرب الشاى ، فى مقالة ممتعة ترجمتها جريدة البـلاد عن (النيرايست) فى ٢٧ تشرين أول ١٩٢٩ فقالت « .. لبثت المرأة العراقية قبل الحرب العظمى تنظـر الى النساء التركيات كنموذج للتقـدم الكامل والمعـرفة التـامة وفى العراق كثـيرين (كذا) ممن تزوجوا بالتركيات .. » وتقول بعد ذلك «.. ومع ما ذكرت لك من تأخر المرأة فى هذه البلاد فان للحركة النسوية دعاتها ومناصريها اذ اجتمع قبل خمس سنوات عدد من السيدات وأكثرهن مسلمات وفكرن فى تأسيس ناد لرفع مسـتوى المرأة العـراقية وكانت الروح المحركة لهذا المشروع شقيقة غير متزوجة لشاعر العراق المشهور الزهاوى وهى امرأة ذات اطلاع واسـع على الآداب العربية والفارسية ولها من ذكائها وعلمها وحسن طباعها ما جعلها باعتراف الجميع فى رأس الحركة » وانتقلت بعد هذه المقدمة الى وصف الجو الذى يسود النادى والملابسات التى رافقت تأليفه فقالت « .. كانت غاية هذا النادى غامضة ولم يكن فى منهاجه أكثر من الاستماع الى بضع خطب يلقيها بعض النساء ومن أعماله انه نشر تحية الى أنصار تقدم المرأة من مسلمين الى مسيحيين ويهود .. وقد أثارت هذه الحركة ضجة كبيرة وقامت عليها قيامة الرجعيين فكتبوا عنها فى الجرائد المحلية حتى ان بعض

متعصبيهم قد طلب من الحكومة التدخل بخنق هذه الحركة فى مهدها مدعين بأن السفور يغزو البلاد وان البلاد اسلامية تهددها المثالب الغربية الى غير ذلك .. والحق أنه لم يكن بين المسلمات من أعضاء النادى من لا تضع على وجهها الحجاب المتعارف عليه فى بغداد ... ولم يرغب النادى فى السفور على الرغم من طلب كثيرات من الاعضاء ذلك محتجات بالشكل الواهى الذى وصل اليه الحجاب.. وامام ذلك الهجوم العنيف دافعت عضوات النادى عن أنفسهن معلنات بأن غايتهن تهذيب عدد من اليتيمات وتسهيل اجتماع منشدات الرقى من النساء وفى وسط ضجة وحقد سجل النادى باسم ـ نادى النهضة النسائية ـ واستأجر له دارا واحتسب نفسه للاعتناء ببضعة أيتام غير ان عدم اعتياد هذه البلاد على هذه الأعمال أدى الى اضمحلال النادى شيئا فشيئا فقلت محاضراته وتباعدت المدد بينها ، كما أهمل دفع الاشتراك ـ ٥ روبيات ـ وقل حضور الأعضاء مع وجود هيئة منتخبة لم تقم بأى عمل ولم تعرف كيف تعمل وهكذا انقلب النادى ببطء الى محل لشرب الشاى ثم ترك البيت وتخلى عن الأيتام .. » ويبدو أن كلمة مسز ستيفنسن لم تقع موقع الرضا والقبول فى بعض الأوساط النسائية فتصدت احدى الأوانس (صبيحة الشيخ أحمد) الى محاججتها ونعت عليها قولها ان أسماء الزهاوى هى زعيمة النادى الوحيدة وصاحبة الفكرة فى تأسيسه فقالت : « اما زعم الكاتبة بأن (١) السيدة (كذا) الفاضلة أسماء

---

(١) راجع جريدة « البلاد » العدد ٥ فى ٣٠ تشرين أول سنة ١٩٢٩

الزهاوى هى التى أوحت بفكرة تأسيس النادى ، فمع احترامى للسيدة واعتراف الجميع بفضلها .. أقـول ان نادى النهضـة النسائية فكرة أختمرت برؤوس عدد كبير من فاضلات السيدات والأوانس وان المؤسسات اجتمعن اجتماعات عـديدة قبل أن تحضر هذا الاجتماع السيدة أسماء الزهاوى أو تبدى رأيها فى المشروع فحصرها فضل الفكرة بأسماء الزهاوى .. افتراء على التاريخ والواقع » وأنكرت أن تكون المرأة التركية النموذج الذى تقتدى به المرأة العراقية فقالت ان « .. المرأة العراقية تنظر الى المرأة التركية بنظـر الانتقاد لا بنظر التقدير والاعجاب » وأخذت تغمز من قنـاة المرأة التركية وتقول « فالمرأة التركية شديدة الشغف بالظهور بمظهـر الدلاعة الأوربية والتزيى بزى الأجنبى دون الاهتمام بكيان الأسرة ودون النظر الى التقاليد القومية المحترمة ودون افتكار بالرصـانة والرزانة » ومضت تقول « أصبحت المرأة العراقية بفضل جهودها وجهود مناصريها ذات كيان محترم وشخصية لها مكانتها وهى ربة البيت المسيطرة على شئون العـائلة وهى التى تسيطر على أفراد الاسرة رجالا ونساء .. » وأثارت هـذه المناقشة دهشة فى بعض الاوساط حتى ان الاديب البصرى (محمد محمود) أسرع يقول معلقا « أنا أقرأ هذا .. كخبر عجيب فلست أعلم ان للمرأة المسلمة من الحقوق مثل الذى تنعتهـا به الآنسة ... يا للعجب .. اذن فالمرأة العراقية أرقى من المرأة التركية بل من الأوربية ... هذا

منتهى الاسراف ياسيدتى المحترمة ! ! » (١) . هـذه المناقشة تومىء من طرف بعيد الى الصراع الخفى الذى كان يدور فى ردهات النادى وتردد أصداءه « القبولات » بين تيارين الأول يتمثل فى السيدات والأوانس المثقفات ثقافة تركية وهن يؤلفن الجانب الأكثر اتصالا بمظاهر الحضارة الحديثة بحكم ثقافتهن وتربيتهن التركية ، والثـانى يتمثل فى السـيدات والأوانس المتعلمات تعليما اسلاميا أو عربيا . غير أن هذا الجمود الذى اعترى هذا النادى وقلص من نشاطه بالشكل الذى وصفته مسز ستيفنسن لم يقض على هذه المعركة ولم يخفف من حدتها فبقيت على ما كانت عليه من الشدة

وقد حاول (فهمى المدرس) أن يحسم هذا الجدل فكتب فى جريدة (العالم العربى) تحت توقيع (الحارث) يوفق بين دعاة السفور ودعاة الحجاب الا أنه لم يفلح فيما قصد اليه بل ان المعركة اتسعت دائرتها وأخـذ بعض أنصار السفور الذين دخلوا فيما بعد طرفا فى المعـركة ينادون على صفحات جريدة (العراق) بالغاء المحاكم الشرعية وسن قانون مدنى جديد ينظم الاحوال الشخصية على قواعد تساير روح العصر على نحو ما استقر عليه الحال فى تركيا بعـد الحركة الكمالية فأجفـل المحافظون لهذه البادرة الجـريئة وطار صوابهم لهـا وأخذوا يستميتون فى مطـاردة دعاة التجـديد تارة بالتهـديد وطورا

---

(١) راجع جريدة « البلاد » العدد ١١ فى ٦ تشرين ثانى سنة ١٩٢٩

بالارهاب حتى اضطر أحد أنصارهم ان يلجأ الى القضاء طالبا حمايته من زعيم المحافظين المرحوم (يوسف العطا) بحجة أنه يحرض الغوغاء على قتله .

وقد ساهمت جريدة (البدائع) بقسط كبير من الجهود التى بذلت فى مقاومة المجددين ، فشنت على جريدة « العراق » حملة شديدة بوصفها الجـريدة التى أفسحت صدرها لهذه الدعوة فكتبت تهاجم محررها (رفائيل بطى) الذى كان يذيل مقالاته ذلك الوقت بتوقيع (ا. خالد) هجوما قاسيا لا يخلو من التعصب فقالت « لقد كان الناس يعجبون أشد العجب من تجرؤ جريدة العراق ... على نشر تلك المطاعن الشديدة على دين الاسـلام (كذا) بتوقيعات مزورة (١) . الخ » وكاد الأمر يتطور الى أخطر من ذلك لولا ان (ابراهيم حلمى العمر) خف الى نجدة (بطى) بما يعرف عنه من لباقة فكتب يقول « .. نحن نعرف ويعرف كل واحد ان رفائيل بطى شاب مسيحى ولكننا لا نعرفه مسيحيا متعصبا بل هو من أولئك الذين يبجلون محمدا نبينا الكريم كعزبى عظيم جمع شمل العرب بمقدار ما يجل السيد المسيح واذا أراد الصديق الحميم بهجة أفندى الآثرى أن يعرف حقيقة رفائيل افندى فما عليه الا أن يتحقق من الاسباب التى أقيل من أجلها من مدرسة اللاتين الدينية .. اما جريدة العراق فهى تصدر خاضعة لأحكام الدولة العراقية الاسلامية ولا نعرف

---

(١) جريدة البدائع العدد ١٠٩ لسنة ١٩٢٤

أنها خرجت عن دائرة الأدب والاحترام للدين الحنيف واذا نشر بعض الكتاب المسلمين فيها بعض الآراء المتطرفة على أثر النزاع الذى قام بين الحجابيين والسفوريين فليس الذنب ذنبهم بل هو ذنب تلك الفئة القليلة التى لا يعجبها شىء من القديم حتى آداب دينها السامية فالأثرى يجب أن يوجه قلمه السيال الى أولئك الذين لم يتستروا بل ظهروا بأسمائهم الصريحة ... معتقدين ان كل فرد حر بابداء آرائه فلا حرج عليه ولا رقيب .. (١) ولم يقف نشاط المحافظين عند هذا الحد فلم يتركوا وسيلة الا تشبثوا بها لمكافحة هذه (البدعة) فكان (فيصل الأول) يستقبل فى بلاطه وفودا لا ينقطع سيلها منهم ليصغى الى احتجاجاتهم وكان (ديوان مجلس الوزراء) و (ديوان وزارة الداخلية) يغصان بمجموع منهم تخف الى مقابلة (ياسين الهاشمى) رئيس الوزراء ومواجهة (عبد المحسن السعدون) وزير الداخلية لترفع الى كل منهما المضابط الاحتجاجيةولتحثهما على تأديب هذه (الزمرة) ولعل من الطريف أن نذكر ان المجلس البلدى فى بغداد انساق وراء هذا التيار فأصدر هو الآخر قرارا يستنكر فيه الدعوة الى السفور ويطلب الى الحكومة اتخاذ ما يلزم من الاجراءات لايقاف هذه الزمرة عند حدها وسرعان ما استجابت الوزارة لهذه التشبثات . ولعل الذى شجع الهاشمى والسعدون على ذلك ان البلاد كانت يوم ذاك مقبلة على انتخابات نيابية لتأليف أول مجلس نيابى وكان مفهوما فى

(١) جريدة المفيد العدد ٢٨١ لسنة ١٩٢٤

(الأندية) و (المحافل) ان هناك منافسة بين (الهاشمى) و (السعدون) للفوز بأكثرية المجلس تمهيدا لتأليف الوزارة المنبثقة عنه ، ولعل كليهما أراد من وراء ذلك الاجراء أن يكسب الرأى العام الذى كانت أكثريته ضد السفور عن طريق مجاملة رجال الدين ، فأوعزت مديرية المطبوعات التابعة لوزارة الداخلية الى الصحف أن تكف عن نشر مقالات دعاة السفور وبالفعل أخذت الصحف تتملص من نشر ما يريد السفوريون نشره بل ان بعضا أعلن انه سوف يغلق هذا الباب . حتى جريدة (العراق) التى حملت لواء هذه الدعوة بحماسة خانتها شجاعتها فأمسكت عن نشر ما أراد السفوريون نشره بل ان الأمر بلغ بها حدا أبعد فعندما نشرت خطب احدى أعضاء نادى النهضة النسائية التى قيلت فى حفلة الافتتاح وفيها ما يطمئن الرأى العام بأن النادى المذكور لا يبشر بالسفور أمسكت جريدة العراق عن نشر أسماء الخطيبات تحرجا واكتفت أن تنسب الخطب تارة الى (سيدة فاضلة) وطورا الى (آنسة محترمة)من غيرأن تجرؤ على ذكر أسمائهن أو ما يكشف هويتهن وروى لى الأستاذ (مصطفى على) حادثا وقع له مع رزوق غنام تلك الأيام فقال ذهبت الى جريدة العراق لأستعيد مقال الزميل محمد سليم فتاح الذى لم ينشر . ولا زلت أذكر كيف استقبلنى صاحب « العراق » بانفعال وألم شديدين ، وكيف أخذ يشد من ازرنا ويستمهلنا لعله يستطيع بعد أيام قليلة أن ينشره فلما وجدنى

مصرا قال : « أنتم على حق فلماذا تنسحبون ؟ ولماذا تتخاذلون ؟ فلما قلت : اننا عازمون على اصدار مجلة ونريد أن ننشر هذا المقال فى أول عدد يصدر منها . قال : اذن سأقدمه غدا فذهبت اليه فى الموعد المضروب وسلمنى المقال وهو المنشور فى أول عدد من جريدة الصحيفة » .

***

الا ان الصعوبات التى برزت أمام دعاة السفور من مقاومة المحافظين لهم وامتناع الصحف عن نشر ما يريدون نشره لم تصرفهم عن مواصلة دعوتهم الى السفور ولم تضعف من عزائمهم فسرعان ما عمدوا الى امتياز قديم كان أحدهم (حسين الرحال) قد استحصله من قبل فأصدروا بعد ان وجدوا الأبواب قد أغلقت بوجوههم مجلة ـ الصحيفة ـ تعبر عن دعوتهم وترد عنهم الاتهامات التى انهالت عليهم من كل حدب وصوب كالسيل العارم ..

صدرت مجلة « الصحيفة » فى ٢٨ كانون الاول سنة ١٩٢٤ نصف شهرية فتولى تحريرها ـ مصطفى على ـ وأخذ مسئوليتها ـ حسين الرحال ـ واتخذت مقرها فى غرفة متواضعة تقع مقابل سينما الوطنى ـ وكثيرا ما كان محرروها وأنصارهم يجتمعون فى الليل فى مقهى تقع فى محلة (قنبر على) تعرف (بمقهى النقيب) للمداولة فيما ينشرونه .. وفى وسعى أن أقرر أن هذه المجلة على صغر حجمها وبساطة اخراجها استطاعت أن تهز الاوساط

المحافظة وتزعزع بعض القيم القديمة السائدة ، فقد تمكنت أن تعكس على أعمدتها أحدث الآراء فى التاريخ والأدب واجراء النظريات فى السياسة والاقتصاد فعلى صفحاتها تتبع الجمهور العراقى نهضة المرأة التركية والمصرية ، وعلى أعمدتها طالع ما ترجمته لهم عن أحرار الفكر مثل تولستوى وجناب شهاب الدين وغيرهم ، وفيها قرأوا ماكتبته عن نظرية السوبرمان وغيرها من النظريات الأخرى التى كانت جديدة على الجمهور

وقد برزت فى هذه المجلة أسماء جديدة انضمت الى الاسماء القديمة منها (طالب مشتاق) الذى تناول بعض الموضوعات الاجتماعية و (عبد الحميد رفعت) الذى انصرف الى العناية ببعض النظريات الاقتصادية التى ظهرت لمعالجة الكساد و (عبد القادر صالح) الذى اتجه الى الترجمة عن الالمانية و (محمد بسيم الذويب) ، الذى نشر قصيدة فى الدعوة الى السفور نظمها على طريقة الشعر المرسل و (شاكر محمود الأوقاتى) الذى كتب عن الحضارة اليونانية . كما أسهم فيها المربى الكبير (ساطع الحصرى) فنشر محاضرات قيمة فى علم النفس وتاريخ التربية

وعندما توقفت المجلة بسبب مصاعب قامت بوجهها واستأنفت صدورها للمرة الثانية كتب المرحوم محمود أحمد السيد فى أول عدد منها مقالة بعنوان ــ لقد عدنا ــ ينذر فيها المحافظين فيقول « ... عدنا نحن الى ساحة الجهاد فى سبيل الشعب والحرية

الفكرية والحق والمثل الأعلى .. عدنا أقوياء بأنفسنا ، أقوياء بقلوبنا وأقلامنا.. سننقد الآراء والتقاليد.. سنسعى لكشف قناع الرياء فى المجتمع عن ميراث العصور وسنزهق الباطل ونسحقه سحقا .. سنرفع للمرأة المظلومة راية تعليمها وتحريرها وذلكم واجبنا الأكبر .. عرفنا به قبل .. » (١)

ومع ان العهد لم يطل بالصحيفة الا أن الأثر الذى تركته فى تنبيه الأذهان والتمهيد لخلق مفاهيم جديدة ونقل التطورات الاجتماعية فى تركيا ومصر كان عميقا ولا سيما عند الناشئة من شباب العراق لذلك لم يمر زمن طويل على الفتور الذى عم النهضة النسائية حتى تبدد وتجدد النشاط ولعل مجىء المفكر اللبنانى جميل بيهم الى بغداد فى نيسان ١٩٢٧ المعروف بدعوته الى مساندة المرأة العربية والدفاع عن حقوقها وقيامه بالقاء محاضره عن حقوق المرأة حرك القضية من جديد وبعثهـا من سباتها فانبرى السيد كامل السامرائى والقى محاضرة فى نيسان ١٩٢٨ تحدث فيها عن المرأة التركية الجديدة واستعرض فيها وجوه تقدمها فى مختلف الميادين الاجتماعية والسياسية والفكرية والاقتصادية واهاب بالمرأة العراقية ان تحذو حذوها وتقتدى بها (نشرت هذه المحاضرة فى كراسة صغيرة)

وتبلورهذا النشاط بشكل واضح اثر رسالة تلقتها المرحومة أسماء الزهاوى رئيسة نادى النهضة النسائية من السيدة نور حمادة

---

(١) الصحيفة عدد « ١ ـ ٧ »

فى مارت ١٩٢٩ تدعو فيها المرأة العراقية للمشاركة بأول مؤتمر نسائى عربى سينعقد فى احدى العواصم العربيـــة ، وقد نص الكتاب المذكور على ما يلى : (حضرة الزعيمه الناهضه لابـد وان سمعت ياسيدتى بالمجمع النسائى الذى أسسناه فى بيروت وغايته خدمة القضية النسائية واللغة العربية بالشرق ويحق للمركز العام فى بيروت ان ينشىء فروعا فى أى مكان فى الاقطار العربية حتى فى أوربا وأمريكا .. وقد اقترح المجمع مؤخرا فكرة عقد مؤتمر نسائى عربى يعقد بالمناوبه فى الاقطار العربية ســـنويا وكما كتبت للسيدة هدى شعراوى بأنه لا فرق عندنا أينما عقد لأول مرة ان كان فى مصر أو فى العراق ، كلها بلاد واحدة لا تتجزأ فى الحقيقة فعليه أرجو ابداء فكرك بالموضــوع حتى نرسل اقتراحك للاستاذ جميل بك بيهم الموجود الان فى مصر فيعرضها للزعيمة المصرية وقد تقابلت بالامس مع الآنسة تازك خانم العابد وأخذنا افكارها بهذا الموضوع وفهمت انها تــود ان يعقد هذا المؤتمر فى الشام اما العاجزة فلكونى كتبت اولا للسيده هدى شعراوى فلا اقدر ان انقض كلامى واعين المكان ولربما احببت ان يكون فى مصر وعلى كل سنترك ذلك لحكم جميل فيتفاهم ويبلغنا هذا وفى الختام احترامى للنابغة العربى الكبير ولحضرتك ودمت ..

نور حمادة

رئيسة المجمع النسائى العربى

وقد أجابت السيدة أسماء الزهاوى على هذه الرسالة بالكتاب التالى الى رئيسة المجمع النسائى العربى :

حضرة الزعيمة الجليلة

تحية واحتراما

أما بعـد ، فقد تلوت بعينى وفؤادى كتابك الكريم أيتها الأخت الفاضلة وحمدت لك تلك العاطفة النبيلة وذلك التواضع السامى وقوى فى الأمل أن يشق المجمع النسائى الذى تأسس فى بيروت لنفسه طريقا فى ظلمات التعصب فيتقدم بقيادة رئيسته وهى أنت فى خدمة القضية النسائية بخطوات واسعة على ضوء الثقافة العصرية الفياضة .

أما فى بغداد فقد كانت الظـروف ملائمة لنا فى أوائل الأمر فتقدمنا فى خدمة القضية قليلا ثم اصطدمنا بصخرة التعصب الذى هو عندنا ذو صلابة لا تلين حتى كادت السفينة تتحطم لولا أن تداركتها يد امتدت لمساعدتها من رجال أحرار .. هذا ما جعلنا نرضى اليوم التوفيق فى مكاننا ونكتفى بمقاومة الذين يعملون بكل ما أوتوا من قوة على احباط سعينا والرجوع بنا الى الوراء ولكن الأمل غير ضعيف فى أن تعود الظروف ملائمة فنتقدم الى الأمام ثانية ولعل القوم ينتبهون الى أن الأبناء لا تتم لهم الرجولة المنتظرة ما لم يتربوا فى أحضان أمهـات مثقفات فيخففون من غلواء تعصبهم الذى جرحه فى صدر المجتمع دام عميق . وأما عقد المؤتمر النسائى فى مصر لأول مرة مما يشجع بقية الأقطار العربية

على النهوض لأنها مركز الحركة للمجتمع العربى كله (ولا بد من مصر وان بعدت مصر) واقبلى فى الختام احتراماتى » (١)

وعلى أثر هذه الرسالة دعت أسماء الزهاوى عضوات النهضة النسائية الى الاجتماع للمداولة فى موضوع المؤتمر فانعقد أول اجتماع حضره الى جانب الهيئة المركزية للنادى كل من عقيلة ياسين الهاشمى وعقيلة جودة باشا العزاوى والسيدة قدرية والسيدة ربيعة والسيدة رفيعة عقيلة ناظم بك والسيدة أم صبيح الانصارى والسيدة عقيلة نورى افندى والآنسة زهيرة السيد والآنسة عائشة الداغستانى والآنسة أدوسياك أرستاكيس والآنسة شاهباز والآنسة بهيجة بابان ومدام ديلوتى والمسز ستوت والمسز مكنزى وكان ذلك فى الاسبوع الثانى من مارت ١٩٢٩ وقد افتتحت أسماء الزهاوى الاجتماع بخطبة قالت فيها « .. هذا الافتتاح .. دليل على أن حركة النهضة النسائية المباركة فى العراق صادقة لا يثبط عزائم القائمات بها معارضة الفئة الرجعية ، وأكبر وسيلة للنجاح الاستمرار على الخطة الرشيدة وهى السير الى الأمام فى سبيل تثقيف الفتاة العراقية أم الشعب فى المستقبل بخطوات ثابتة وان كانت بطيئة فى حالها الحاضر نعم ان السير فى ظلمات التعصب المخيم على ربوع الرافدين لا يسلم من عناد ، ولكن الصبح قريب وسنراه بعيوننا أبلج يفيض نوره فى القريب العاجل على الربى والبطاح ولقد أخذت القضية النسائية فى مصر وسوريا الشقيقتين للعراق دورا مهما كما

(١) الرسالة والجواب عنها منشوران فى « صدى الوطن » عدد ١٢ لسنة ١٩٢٩

ستفهمن ذلك من كتاب جاء قبل أيام من رئيسة المجمع العربى النسائى فى بيروت السيدة الزعيمة نور حمادة . وأهم ماجاء فى هذا الكتاب هو نبأ المؤتمر النسائى العام الذى سينعقد فى احدى العواصم العربية وهناك تتداول الزعيمات فى تعيين مكان انعقاده لأول مرة وقد حبذت فى جوابى الى الزعيمة انعقاده فى مصر .. ولا أدرى هل تسمح لنا الظروف بالاشتراك فيه اما بالكتابة أو بارسال عضوة تمثل فتيات العراق هذا ما أعرضه عليكن للبت فيه بأكثرية الأصوات . » . وقد كشفت هذه المناسبة عن أن النادى لم يستطع التخلص من روح اليأس وشعور التردد الذى كان البعض يمهد له بحجة ضرورة مصانعة القوى المحافظة وعدم اثارة مايستفزها خوفا من أن تجهز على (النادى) وتخنقه وهو فى (المهد) لذلك كان من البديهى أن تكون خطوات النادى بسبب ذلك الشعور الذى طغى عليه بطيئة متأخرة بالنسبة الى خطوات النهضة النسائية فى الأقطار المجاورة كمصر وتركيا وايران ولبنان . لا ترضى بنات الجيل الجديد اللواتى يتطلعن بحماسة وتفاؤل الى نهضة نسائية تسير بخطوات سريعة وجريئة تواكب فيها سير النهضات النسائية فى الأقطار المجاورة ولا تتأخر عنها .

وقد حاولت جريدة (العراق) أن تبدد هذه الروح التى استولت على نادى النهضة النسائية وتفشت بين صفوفه فكتبت تشد من أزره وتشجعه على أن يثبت أمام العاصفة وطلبت الى الحكومة أن تقف الى جانبه تعضده فقالت .. (اننا لا نوافق

السيدات المصونات أركان نادى النهضة النسائية على المداراة التى يقمن بها حيال الرجعية التى تقف حجر عثرة فى طريقهن وهن يردن انبعاث المرأة العراقية ونشرها من مدافن الاهمال والعبودية لأن الطغمة الرجعية جامدة متحجرة تكره الحركة .. واذا نحن استقصينا العلة فى تأخرنا الاجتماعى برغم شوقنا الشديد الى الحضارة والتجديد وجدناها فى الحكومة فان حكومتنا مقصرة فى هذا الباب تقصيرا كبيرا ، فهى قاعدة عن تعضيد الحركة التجديدية ومن جملتها الحركة النسوية وهى تظهر عدم الاكتراث أو الحياد فى هــذا الأمر ، بينما نرى الحكومات فى الأقطـار الشرقية الأخرى هى التى تقــوم بأعباء التجـديد والحـركة الاجتماعية والأدبية ، وهذه تركيا أمامنا خير مثال يحتذى) (١)

الا أن ذلك كله لم يصحح موقف نادى النهضة فسرعان ما تبين أن الاجتماعات التى انعقدت لبحث موضوع الاشتراك فى المؤتمر لم تسفر عن نتائج ايجابية فقد اكتفى النادى بارسال كلمة تلبت فى المؤتمر دون أن يرسل من تمثل النــادى المذكور فى ذلك الاجتماع مما ترك أثرا غير مستحسن عبر عنه سلمان الصفوانى فقال (لقد كنا نعلق آمالا جساما على نادى النهضة النســائية فى بغداد بأن يخلق كتلة قوية من الشابات المتعلمات فى العاصمة ويجهر بطلب الاصلاح العلمى والاجتماعى للمرأة العراقية أسوة بأخواتها فى مصر وسوريا وجاراتها تركية وايران ولكن والأسف

---

(١) جريدة العراق العدد « ٢٧٦٥ » لسنة ١٩٢٩

ملء الفؤاد لم نجد حتى الآن سيدة أو آنسة عراقية تمثل مجتمعها كزعيمة فى المؤتمرات النسوية العامة كالسيدة هدى شعراوى فى مصر وغيرها فى الأقطار العربية والشرقية وعسى أن تبعث هذه الكلمة فى نادى النهضة روح العمل والجرأة والثبات » [1]

لذلك لم يطل عام ١٩٣٠ حتى ارتفعت بعض الأصوات النسائيه الناعمة تدعو الى العناية بحقوق المرأة وتلمح بسفورها وضرورة افساح المجال أمامها للدخول الى معترك الحياة فارتفع صوت الآنسة (رفيعة الخطيب) يناقش فيما اذا كانت الشريعة الاسلامية تمنع السفور أم لا ؟

وارتفع صوت الآنسة (أمينة الرحال) يدعو الى ضرورة استقلال المرأة استقلالا اقتصاديا وارتفعت أصوات نسائية أخرى تنفخ فى هذا البوق « راجع اعداد البلاد لشهرى حزيران وتموز ١٩٣٠ » مما لفت الأنظار وأثار الانتباه ، لذلك عندما انعقد المؤتمر النسائى الشرقى لأول مرة فى دمشق تموز ١٩٣٠ ودعى العراق الى المشاركة فيه رشحت الحكومة الآنستين أمينة الرحال وجميلة الجبورى وكان لثابت عبد النور جهد مشكور فى اقناع الحكومة بضرورة مشاركة العراق فى المؤتمر المذكور لأنها كانت مترددة فى المساهمة فيه ، حتى أن الوفد العراقى لم يصل الى دمشق الا بعد مضى يومين على انعقاد المؤتمر ،

---

(١) صدى الوطن العدد ٤٨ لسنة ١٩٢٩

وقد ألقت الآنسة أمينة الرحال وكانت يومها تلميـــذة فى دار المعلمات لاتزال محجبة خطابا لقى استحسانا من مختلف الصحف العربية ومما قالته : (ان الحالة الاجتماعية للمـــرأة العراقيـــة لا تختلف عن حالة أخواتها الا قليلا . وهى تسعى الى نفس الغاية الاجتماعية التى تسعى اليها غيرها من العربيات وهى مســاعدة الرجل العربى فى جهاده فى سبيل التحرر .. ولست أعنى بهــذا أن تحمل المرأة العربية عامة والمرأة العراقية خاصة بندقية مع المجاهد العربى وتنزل الى الميدان .. بل نريدها أن تجعل كل غايتها وأمانيها فى أن يتحرر أخوها العربى مما هو فيه وتساعده على تحقيق ذلك) (١)

وفى المرة الثانية انعقد المؤتمر النسائى فى بغداد فى تشرين ثان ١٩٣٢ ، ولما اجتمعت الوفود النسائية من مختلف الأقطار العربية وكان من بين أعضاء الوفد السورى ليلى العابد وماريا خانم بديع المؤيد وحرم عزة العظم ، ومن بين أعضاء الوفد اللبنانى ايفا ثابت وحرم الدكتور محمد حيدر ومن بين أعضاء الوفد المصرى حرم فهمى ويصا ومن أعضاء الوفد الفلســطينى حرم عونى عبد الهادى ..

ورحبت مجلة الحاصد بهذا المؤتمر فكتبت تقول (لأول مرة فى التاريخ تحظى بغداد بانعقاد مؤتمر نسائى كهذا .. وللمــرة الأولى يتاح للمرأة العراقية بمثل هذه الفرصة النافذة فهل لها

---

(١) البلاد العدد ٢٠٥ لسنة ١٩٣٠

أن تنتهزها بدراية وذكاء ؟) (١)

الا أنه مع ذلك لم يسلم المؤتمر من نقد عنيف وجهته اليه جريدة (الاستقلال) ، بسبب تطيرها من كلمة احدى الخطيبات التى لمحت بها الى السفور

فانبرت جريدة الاستقلال تهاجم المؤتمر وتقول : «.. اذا كانت الثمرة المرجوة من هذا المؤتمر هى رفع هذا البرقع عن وجوه نساء هذا الشرق العربى فهو دون ماعناء أو تعب جهد مقضى عليه ان عاجلا أو آجلا ، ومثله كمثل الحشرات التى تأكل نفسها بنفسها حتى تموت وتفنى ... » (٢)

وأمام هذا النقد أعاد المؤتمر النظر فى جدول أعماله بحيث استبعد مناقشة السفور خوفا من اثارة المشاكل

وبطبيعة الحال ان ذلك وان أضعف من المؤتمر الا أنه لايمنعنا من القول بأن أهمية المؤتمر تنحصر فى أنه يسجل بداية اتصال الحركة النسائية فى العراق مع الحركات النسائية فى الأقطار الأخرى وخروجها من أفق محلى محدود الى أفق أرحب

ولا أريد أن أسهب فى بيان أهمية هذا المؤتمر ، وانما سأكتفى ببعض الملاحظات حول الدعوة الى السفور التى بدأت تظهر فى العراق

أول ما أريد أن أذكره أن مفهوم السفور خلال تلك الفترة يختلف عن المفهوم السائد للسفور فى هذه الأيام فقد تطور ذلك

---

(١) مجلة الحاصد العدد ١٣ لسنة ١٩٣٢
(٢) جريدة الاستقلال العدد ١٧٢٩ لسنة ١٩٣٢

المفهوم تطورا كبيرا .. كان مفهوما ضيقا يقصد به مجرد رفع النقاب عن الوجه فى حين أنه تجاوز اليوم هذه الدائرة الضيقة فالمرأة فى تلك الأيام كانت تعتبر (سافرة) اذا رفعت النقاب عن وجهها على أنها اليوم لا يكفى أن ترفع النقاب فلا بد لها أن ترفع العباءة أيضا لتكون فى عداد (السافرات) .. ولعل هـذا التطور فى مفهوم السفور يساير تطور المجتمع واتجاهه الى تضييق الهوة التى كانت تفصل عالم النساء عن عالم الرجال .

ولاشك أن هذه الهوة كانت واسعة بحيث كان للنساء مجتمع يكاد يكون مستقلا عن عالم الرجال فالدور منقسمة الى (حرم) و (ديوخانه) والى زمن غير بعيد كانت تخصص أيام معينة فى الحدائق العامة للنساء ، وحتى دور السينما كانت تراعى هذا الأسلوب فتقيم حفلات خاصة للنساء وكان هذا الأسلوب ولايزال متبعا فى بعض الألوية لوقت قريب .. ولم تكن فى بغداد تلك الايام أندية يتلاقى فيها النساء والرجال كما هو اليوم فى نادى المنصور ونادى العلوية ، فالنادى العراقى الذى كان يعتبر من أرقى النوادى ويجتمع فى صالونه كبار الساسة كان خاليا من العنصر النسائى العراقى ، وقد يكون من الغريب أن نذكر أن الجرائد فى تلك الأيام كانت لا تحسن استعمال تعبير (كريمة) أو (عقيلة) بنفس الدقة التى تستعملها الجرائد اليوم فكثيرا ماكانت تخلط بينهما ولا تميز بين هذين الاصطلاحين حتى أن أحد الزعماء وصلته فى تلك الأيام بطاقة دعوة كتب على ظرفها

(الى عقيلة فلان المحترم) فحسبها موجهة اليه ، ولما أسرع الى محل الدعوة فى الموعد المحدد اكتشف هناك أنه وقع فى (ورطه) وأن المقصود بكلمة (عقيلة) زوجته .. وقد يرد الى الذهن سؤال .. وهو من هي أول امرأة عراقية رفعت النقاب عن وجهها وخرجت سافرة ؟.. والحقيقة أن الجواب عن ذلك ليس من البساطة بحيث يكفى أن نقول ان فلانة هى من أسفرت فى عام كذامن غير أن ندعم هذه الدعوى بما يقيم البينة عليها. لذلك فانى ألتمس من القارىء عذرا اذا قلت اننى لا أريد أن أتورط كما تورط غيرى فى حكم قاطع بهذه المسألة

نعم رُبما يمكن أن نقول ان بغداد لم تخل قبل عام ١٩٣٢ من عراقيات رفعن النقاب عن وجوههن ولعل عقيلة (حكمت سليمان) من بينهن ، ولكننا لا نملك أن نقول انها أول من أسفرت من نساء العراق لاسيما وأن أكثر نساء الريف سافرات .

الأمر الثانى الذى أريد أن أذكره هو وجود قوتين كانتا تلعبان فى تلك الأيام دورا مهما فى توجيه الأمور وهما (البلاط) و (دار الاعتماد البريطانى) .

وبالنسبة الى البلاط لم يكن موقف الملك فيصل من قضية سفور المرأة واضحا ، فهو تارة يبدى مايفهم أو يحمل على محمل التأييد والاسناد وطورا آخر يتراجع عندما يجد الرأى العام ناقما ساخطا .. والواقع أن الدعوة الى سفور المرأة ذلك الوقت لم تجد تقبلا فى الأوساط الشعبية .

ولعل سر هذا التقدم والتراجع يرجع الى عوامل شتى منها تأثره ببعض المقربين اليه ومدى ايمانهم بحرية المرأة ، فالملك (علي) كان يدفع بالملك فيصل الى الوقوف بوجه دعاة سفور المرأة و (رستم حيدر) و (ساطع الحصرى) كانا يشجعانه

ومنها بعض العوامل السياسية الطارئة التى تبرز فى الميدان وتلعب دورها فى التأثير عليه ، وقد اتفق فى هذه الفترة التى ارتفع صوت الجدل حول السفور والحجاب لأول مرة بعد تأسيس الحكم الوطنى ، أن ظهرت عقب الغاء الخلافة فى تركيا دعوة الى خلافة اسلامية جديدة تحل محلها ، ولقيت هذه الدعوة فى الأوساط المحافظة بصورة خاصة انصارا سارعوا الى ممارسة نشاط واسع لها فراحت الصحف المحلية بعضها بدافع ايمانه بالخلافة الاسلامية وبعضها بدافع التقرب الى البلاط تكثر من ترديد هذه الدعوة فكتب (قاسم العلوى) فى جريدة الاستقلال يدعو الى خلافة عربية وأسرع (سلمان الشيخ داود) فى جريدة العراق يرشح الحسين بن على لها وخطب الشيخ أحمد الداود فى اجتماع عقد فى البلاط لهذا الغرض بايع فيه الحسين خليفة للمسلمين وارتفعت الأصوات فى الجوامع تردد اسم الحسين أميرا للمؤمنين !! .. وأغلب الظن أن هذه الدعوة أثرت على موقف فيصل وصرفته عن اتخاذ مواقف لا ترضى الأوساط المحافظة التى تحمل لواء الدعوة لخلافة الاسلام وترشح أباه لها .

أما موقف (دار الاعتماد) فقد كان يحدده عاملان : الأول سياستها المعروفة فى عدم التعرض الى مايمس التقاليد والمعتقدات السائدة فى البلدان المرتبطة بها والثانى موقفها السياسى من تركيا ولا سيما بعد قيام مصطفى كمال بحركته .. لذلك فهى ان أبدت تشجيعا ظاهريا فى بعض النواحى التى تتصل بالحركة النسوية كالتعليم وغيره فان ذلك التشجيع كان محدودا بحدود ذينك العاملين . ولعلنا نستطيع فى ضوء هذه الحقيقه أن نفسر خطاب وكيل المعتمد السامى الذى ألقاه فى احدى المناسبات وتعرض به الى الحركة الاصلاحية الكمالية فى تركيا قبلة أنظار السفوريين فقال يعلق عليها (ان تركية قد سقطت فى تلك الغواية الغربية من التوهم أن فى استطاعتها استعجال تقدم شعبها بارغامه على أن يتخذ ولو بكثير من التردد ما تتصور أنه الدلائل الخارجه الظاهرة لتقدمه وبالفعل قد توهمت أنها تستطيع تهذيب ادمغة رعاياها باصرارها عليهم بتغطية تلك الأدمغة بشفقة تشبه القدر شكلا . ان علامات التقدم يتحتم أن تعقب التقدم لا أن تتقدمه ولايصح أن ننصح لأحدهم أن أفضل السبل للاثراء هو أن يلبس جبة من الفرو ويركب سيارة من طراز رولس رايس)

ولابد لنا من أن نذكر أنه الى جانب المرجعين المذكورين كانت هناك أحزاب ظهرت على مسرح السياسة ولعبت دورا فى توجيه الرأى العام كحزب التقدم برئاسة السعدون وحزب الأمة برئاسة الشيخ أحمد الداود وحزب الشعب برئاسة ياسين الهاشمى

وحزب النهضة برئاسة الحاج أمين الجرجفجي والحزب الوطني بزعامة جعفر أبو التمن وغيرها من الأحزاب الأخرى على أن هذه الأحزاب رغم أنها طالبت بالحريات الدستورية وتعديل المعاهدات والاتفاقيات الا أنها وقفت من التطورات الاجتماعية موقفا سلبيا فتجاهلت حرية المرأة والدعوة الى سفورها ومنحها حقوقها السياسية فلم تدرج فى منهاجها مايشير الى ذلك صراحة أو ضمنا رغم أن هذه الدعوة برزت كمشكلة اجتماعية فى تلك الأيام فى تركيا وايران ومصر . وقد يكون مرد ذلك الى أن التفكير السياسى السائد ذلك الوقت كان لايزال ضعيفا لا يعير التطورات الاجتماعية والاقتصادية الاهتمام اللازم ، وقد مر بنا موقف جريدة الاستقلال وهى شديدة الصلة بالحزب الوطني الذى رفع لواء المعارضة منذ أول الحكم الوطنى الى دخول العراق عصبة الأمم — من المؤتمر النسائى الذى انعقد فى بغداد فى عام ١٩٣٢ وكيف حملت عليه حملة شعواء لظهور بعض تيارات فيه دعت الى السفور .. ومادمنا بصدد الحديث عن جريدة الاستقلال لابد لنا من أن نذكر أن هذه الصحيفة لم تقف موقف جريدة «العراق» الصريح فى الدعوة الى سفور المرأة ففى الوقت الذى احتضنت « العراق » هذه الدعوة لازمت « الاستقلال » جانب الصمت حيالها حتى أنه عندما افتتح نادى النهضة النسائية عام ١٩٢٤ ورحبت به العراق تجاهلته جريدة الاستقلال بادىء الأمر ولم تنوه به الا بعد أن خطبت سيدة بارزة فيه تكذب

الاشاعات التى حامت حوله من أنه يؤيد الدعوة الى السفور عند ذلك فقط اكتفت جريدة الاستقلال بنشر هذه الكلمة ، ولعل هذا الموقف والموقف الاخر الذى مر بنا عندما أصدر أحد رؤساء الأحزاب بيانا فى احدى المناسبات التى ألمعنا اليها يعطى انطباعاً عن حقيقة موقف هذه الجريدة من الدعوة الى السفور وفى ضوء ذلك نستطيع أن نفسر بعض الدعوات التى تبنتها الاستقلال فى تلك الظروف كالدعوة الى (الخلافة) التى راجت فى بعض (الأندية) و (المحافل) بعد أن ألغاها مصطفى كمال فى تركيا .

لابد لى قبل أن أختم هذا البحث أن أذكر أن هذا الموضوع وأعنى به السفور والحجاب قد أغرى بعض الكتاب بتناوله فى كتاب فتسابق (كامل السامرائى) و (مصطفى القاضى) فى هذا الميدان فنشر الأول نداء فى الصحف طلب فيه من دعاة السفور والحجاب تزويده بما كتبوه فى هذا الباب ولكنه على مايظهر لم يمض فى هذا العمل الى أبعد من ذلك ، أما الثانى فقد أصدر عام ١٩٢٤ كتابا بعنوان « مختارات فى السفور والحجاب ـ وطبعه فى مطبعة دار السلام .. ولكن ترى هل يصلح هذا الكتاب مرجعا لمن يريد أن يؤرخ هذه الدعوة ؟ ان من يقرأ هذا الكتاب بامعان يخرج منه بحقيقة واحدة وهى أن الكتاب المذكور لايمكن أن يوصف بأنه (سند تاريخى هام يعكس الصراع الشاجر بين أدباء بغداد حول السفور والحجاب ..) ولست أحتاج الى

بيان طويل فى التدليل على ذلك فمؤلف الكتاب المذكور وهو مصطفى القاضى كان يومئذ من أشد الناس مقاومة للسفور ومن أكثرهم دفاعا عن الحجاب فليس من المعقول أن يعكس رجل ذلك رأيه وتلك عقيدته الصراع المذكور بروح موضوعية وفى أمانة وحياد ، ويكفى دليلا على ذلك أنه نشر فى الكتاب المذكور

ست عشرة مقالة لدعاة الحجاب مقابل أربع مقالات لدعاة السفور، وشىء آخر لا مناص من أن نذكره هو أن الرجل لم يقصد من وراء ذلك الكتاب أن يؤرخ تلك المعركة لذلك لم يشر فى كتابه ، لا فى المقدمة ولا فى أى موضوع من موضوعاته ، الى الظروف والملابسات التى أحاطت بها والتى تلقى بعض الأضواء عليها فتفسر سبب قيامها والعوامل المؤثرة فيها وصداها فى مختلف الأوساط .. فى المساجد وفى الأحزاب .. فى المعاهد.. فى الصحافة .. وفى غيرها من الأوساط الاخرى لذلك لم أعتمد على الكتاب المذكور وانما رجعت الى الصحف على اختلاف اتجاهاتها وتباين نزعاتها استقرىء موقفها واقتبس منها ما أراه مناسبا مشيرا الى اسم كل جريدة مع ذكر ما يقتضيه أصول البحث والتحقيق ، وخرجت بهذا البحث الذى أرجو أن يكون قد أعطى انطباعا عن هذا الجو الفكرى الذى رافق هذه الدعوة حتى عام ١٩٣٢ حيث استكمل العراق سيادته ونال استقلاله ..

الفصل الرابع

كتاب وأزمة

فى أواخر عام ١٩٢٦ صدر فى بغداد كتاب أثار ضجة واسعة كانت سببا لأزمة وزارية فما هو هذا الكتاب ؟ ومن هو مؤلفه ؟

أما صاحب الكتاب فهو السيد (أنيس زكريا النصولى) ابن أحد تجار بيروت ، تخرج في الجامعة الأمريكية عام ١٩٢٤ وانصرف الى العناية بدراسة التاريخ العربى فكتب فى (الهلال) (والمقتطف) و (الزهراء) فصولا فى التاريخ ، واشترك فى مسابقة نظمتها الجامعة الأمريكية فى بيروت فى تأليف أحسن كتاب عن النهضة العربية فى القرن التاسع عشر ففاز بالأولية ، وانتدبته حكومة العراق للتدريس فى مدارسها فعمل فى الموصل أولا ثم انتقل الى بغداد ليدرس التاريخ فى الثانوية المركزية ودار المعلمين

واستطاع (النصولى) أن يثير اهتمام الطلبة بمحاضراته وسرعان ماوجدوا فيها أسلوبا جديدا فى معالجة التاريخ يقوم على أساس اعمال الفكر فيما يقدمه المؤرخون من روايات وتسليط العقل عليها والنظر الى الشخصيات التاريخية نظرة بعيدة من التأثر بمراكزها الدينية وما تتمتع به من قداسة

أما الكتاب فهو (الدولة الأموية فى الشام) حاول النصولى فيه أن يدرس قيام الدولة الأموية فى الشام وسياستها وما رافق ظهورها من انقسامات واسعة فى صفوف المسلمين انعكست فى حركات سياسية استهدفت القضاء على الدولة الأموية وقد وصف النصولى منهجه فى البحث قائلا فى المقدمة (.. اننا جربنا أن نحمل العقل والبصيرة فيما كتبناه فلم نشد بفضل أناس ليسوا من الفضل فى شىء ولم نجعل لعلاقتنا الدينية والطائفية والسياسية والاجتماعية تأثيرا فى تدويننا التاريخ . ولم نكتب هذه الصفحات والصبغة التقديسية للسلف هدفنا والحق أننا أردنا أن نثبت الحقائق ونفسرها حسب اجتهادنا ونحن بعيدون جد البعد عن التعصب ..) وكان من الطبيعى والموضوع على جانب كبير من الحساسية أن تثير محاولته فى ذلك الوقت الذى كان يعانى منه المجتمع العراقى من رواسب تعصبية ورثها من العهد العثمانى والعهود التى سبقته ما أثارته من قبل محاولة الدكتور طه حسين حين أصدر كتابه (فى الشعر الجاهلى) ومحاولة على عبدالرازق حين أصدر كتابه (الاسلام وأصول الحكم) ، مع فارق واحد يكمن فى طبيعة الضجتين اللتين قامتا فى مصر والعراق

وهذا ماوقع فلم يكد الكتاب يأخذ طريقه الى النشر حتى هبت عاصفة شديدة ضده تستهجن ماتوصل اليه المؤلف من أحكام تصطدم ومشاعر جمهور كبير وتستنكر ما انتهى اليه المؤلف من نتائج تتعارض وأحاسيس فئة كبيرة من الشعب ،

فارتفعت الأصوات من هنا وهناك ترمى النصولى ببث النعرات وتتهمه بتفريق الجامعة الاسلامية فاتخذ السيد عبد المهدى وزير المعارف موقفا يتفق ومشاعر الاستياء الذى أثاره الكتاب فبادر الى فصل (النصولى) ومنع كتابه من التدريس وذلك تطمينا للمشاعر الثائرة وتسكينا للنفوس الهائجة

***

واذا كان لابد من اعطاء القارىء فكرة عن الكتاب فاننا نرى من الافضل أن نضرب صفحا عن ذكر المساجلات والمناقشات التى دارت حول الكتاب فى العراق وذلك لتأثرها بالجو المتوتر سواء من المؤيدين له أو من المعارضين بالملابسات التى رافقت صدوره وانما نكتفى بما قالته مجلتان محترمتان تتمتعان بمكانة علمية وتصدران خارج العراق .

كتبت مجلة العرفان تقول « أنيس زكريا النصولى شاب له عناية خاصة بتاريخ العرب وقد كتب الشىء الكثير فى الصحف وألف عدة كتب آخرها (الدولة الأموية فى الشام) وهو كتاب جمع فيه الغث والسمين ، أما الغث فلأنه اعتمدعلى بعض الكتب الضعيفة كحياة الحيوان وأمثاله وترك الكتب المعتبرة كشرح النهج لابن أبى جديد .. وكانت تحكيمات النصولى التاريخية غريبة فى بابها ، ولو أردنا فتح هذا الباب لفندناها واحدة واحدة ولم يكتف النصولى بطبع كتابه فى بغداد وفى العراق جمهور كبير من الشيعة بل تولى بث روحه فى نفوس التلاميذ الذين

يلقى عليهم دروسه فاستاء التلاميذ الشيعيون وبلغوا آباءهم ، وأولئك كتبوا لعلماء النجف ولما زارها فيصل بلغوه بذلك راجين اخراج المدرس فأوعزت المعارف له بالاستقالة والخروج فأبى ، فحصلت مظاهرة من طلبة مدرستى الثانوية ودار المعلمين دبرت بليل احتجاجا على اخراجه » (١)

وقالت المقتطف عن الكتاب (.. انه جمع فيه من أمهات كتب التاريخ العربية وذكر الفقرات التى استشهد بها بلفظها وأشار الى مواقعها من الكتب التى اقتبسها منها ، وجرى فى تنسيق كلامه على أسلوب منطقى تظهر تتائجه من مقدماته وأورد ذلك كله على صورة تسترعى انتباه السامع والقارىء ، وكنا ونحن نطالع الكتاب كأننا نسمعه يتلو الفقرة بعد الفقرة ويقف وينظر الى الطلبة صامتا كمن يستشير عقولهم فى صحة الأخبار التى يتلوها أو نقضها .

ولكن النتائج التى وصل اليها فى تاريخ بنى أمية لم يكن بعضها مما يرضى علماء العراق اما لأن أكثر المؤرخين الذين اعتمد عليهم من أهل السنة ... أو لأن المقام الرفيع الذى نالته مملكة العرب فى عهد بنى امية يستهوى الكاتب ... ان المفاضلة بين الرجال كثيرة العثار والحكم لايرضى ذوى الفضول مهما بالغ المفاضل فى التحفظ ، وحبذا لو لم يقدم عليها الاستاذ النصولى اذ لا فائدة منها ولا داعى لها ونحن فى عصر يجب فيه

---

(١) العرفان العدد السابع السنة الثالثة عشرة ، آذار ١٩٢٧

جمع كلمة الشرقيين من كل الأديان والمذاهب ، وحسبنا ذكر مايفتخر به من مآثر السلف واذا ذكرنا ماقصروا فيه فليكن ذلك على سبيل العبرة مع التماس العـذر لهم .. ونصيحتنا الآن للأستاذ النصولى أن يحذف من كتابه هـذا ومما سيؤلف من الكتب ويلقيه من الخطب كل ما تشتم منه رائحة المفاضلة بين الزعماء مع الاحتفاظ بذكر الوقائع على حقيقتها المصيب منهـا والمخطىء اذ الغرض الأهم فى التأريخ معرفة مواقع الخطأ لتجنبها ومواقع الاصابة للجرى عليها .. وعسى أن ترى حكومة العراق الرشيدة وأهالى العراق الفضلاء أن حرية الفكر من أهم مايحتاج اليه المشارقة فى هذا العصر وأن اظهار اغلاط أسلافهم لايضيرهم بل ينفعهم ولا يشين أحدا لأن العصمة لله وحده) (١)

وقد تعرض ساطع الحصرى بعد مرور أربعين عاما على وقوع حادثة النصـولى فى مذكراته ، الى كتاب (الدولة الأموية فى الشام) فقال ان الكتاب بحـد ذاته لاينطوى على مانسب الى مؤلفه من اتهام ، وما ورد فى بعض مواضـيعه من نقد لبعض العادات التى تمارس فى بعض المناسبات الدينية لاظهار الحزن ، لاتنهض دليلا على مانسب اليه ، ولكنه اعترف أن مقدمته لاتخلو من استفزاز واثارة (٢) . والواقع أن الكتاب لم يسلم أيضا فى مواضعه الأخرى من نقاط تثير فى ذلك الوقت لدى جمهرة من الناس مشاعر الاستياء لانطوائها على مايمس معتقداتها ومقدساتها

(١) المقتطف ١ مارس سنة ١٩٢٧ ، الجزء الثالث من المجلد السبعين
(٢) مذكراتى فى العراق لساطع الحصرى ص ٥٥٨

وقد وصف (أنيس النصولى) الجو الذى ساد بغداد اثر صدور الكتاب وما أثاره من ملابسات فقال (.. كنا جماعة السادوس والسادوس هم جماعة الأساتذة الستة الذين كانوا يسكنون سوية فى دار واحدة فى بغداد ، نتلقى هذه الأخبار ضاحكين عابثين ، وطالما جلسنا حول مائدة الطعام وأخذنا نتنبأ عما سيحدث لنا من الأمور من جراء هذه الاشاعات ، فكان الصديق المشنوق (١) يقرع كأس الماء بسكينة قرعا متواصلا ويطير البرقيات دوما وكأنه مراسل لجريدة ويقول : بغداد — طرد النصولى من العراق بسبب الضجة التى أقامها كتابه .. احتجاج الطلاب والأساتذة .. الوزير فى اضطراب شديد .. بغداد — بينما كان الاستاذان زريق والنصولى (٢) سائرين فى دربونة جديد حسن باشا أطلق شقى عليهما طلقة فأصيب أنف الاستاذ الاول ونظارة الثانى فندعو لهما بالشفاء . وكنت طيلة هذه الأيام أهيىء بعض المحاضرات .. وأردت ألا تؤثر هذه الاشاعات علىّ لئلا تقطع حبل درسى.. فجعلت أعتكف فى غرفتى ومعى أساتذتى الطبرى واليعقوبى وغيرهم .. وبينما كنت فى غرفتى ظهر ٢٩ كانون الثانى أقرأ شيئا عن المأمون اذا بتحرير مختوم يأتى به فراش الوزارة ففضضته فوجدت ضمنه رقعة عليها بالانكليزية ما معناه :

« عزيزى فلان ..

---

(١) عبد الله المشنوق

(٢) جلال زريق

لا مجال للدفاع عن قضيتك لأحد الآن ، تسدد لكم وزارة المالية حسابكم عاجلا، انصحوا أصدقاءكم السوريين والعراقيين من الأساتذة أن لايعترضوا فتصيبهم العقوبة الشديدة وأنتم لاتحبون ضررهم . اقبل تحياتى ..

ج . سمرفيل » (١)

***

ولم يكد هذا الخبر يصل الى المدرسة الثانوية ودار المعلمين حتى أثار الأساتذة والطلبة معا ، فأسرع الأساتذة عبد الله مشنوق ودرويش المقدادى وجلال زريق الى رفع احتجاج مشترك تضمن مايلى :

« نحن الموقعين أدناه المدرسين بالثانوية ودار المعلمين تتشرف بابلاغ معاليكم، بأن عملكم الأخير بفصل زميلنا الاستاذ النصولى من خدمة التعليم بدون عذر معقول أو مشروع ، قد أساءنا الى الدرجة القصوى ونرى أنفسنا يامعالى الوزير الأفخم مضطرين لابلاغكم مانشعر به ازاء عملكم هذا فنقول : انكم يا فخامة الوزير طعنتم الحرية الفكرية فى صميمها فى القرن العشرين فرجعتم بالبلاد القهقرى حتى خلنا أنفسنا عائشين فى العصور الوسطى المظلمة معرضين فى كل وقت الى محاكم التفتيش والاضطهاد ، فلذلك نحتج احتجاجا شديدا على عملكم هذا الضار بمصلحة الأمة والمشين بسمعتها والداعى الى التفرقة فى

(١) الكشاف ، العدد الثالث السنة الاولى ، اذار ١٩٢٧ « مظاهرة حول كتاب النصولى »

عصر نحن أحوج فيه الى الاتحاد فنأمل أن تعدلوا عن هــذه الفكرة وتسـحبوا قراركم وتقبلوا يامعـالى الوزير الاحترام اللائق بمنصبكم » [1]

وتنادى الطلبة الى الاجتماع والتداول فيما يجب اتخاذه أمام هذا الاجراء الذى تعرض اليه أستاذهم ، وكان (نادى التضامن) الذى اتخذ مقره فى بناية (الجادرجى) فى شارع الرشيد مقابل جامع الحيدرخانة يومذاك ملتقى أكثرية الطلبة يمضــون فيه أوقات فراغهم تارة بمطالعة الصحف والمجلات ، وطورا بمناقشة المسائل الفكرية والأحداث الاجتماعية والقضايا السياسية فيما بينهم أو مع بعض أساتذتهم .

وكان السيد يوسف زينل مدرس الكيمياء فى مدرسة الثانوية يتصدر هذه الحلقات ، وقد استطاع أن يستغل مشاعر الطلبة فوجدوا فيه مايشجعهم على ما اتجه اليه تفكيرهم للقيام بعمل ضد الاجراء الذى اتخذته وزارة المعارف بحق أساتذتهم تحت شعار الحرية الفكرية . وسرعان ماتبلورت لدى الطلبة الفكرة ، فاندفعوا بحماسة الى تأييدها ، ولعل أكثرهم كان متأثرا بالضجة التى أثارها كتاب طه حسين (فى الشعر الجاهلى) وكتاب (على عبد الرازق) (الاسلام وأصـول الحكم) وموقف المثقفين فى مصر فى التزام جانب الدفاع عن حـرية الرأى وكانت مجـلة (السياسة الأسبوعية) التى تحمل لواء هذه الدعوة من أكثر

---

(١) الاستقلال ٣١ كانون الثانى سنة ١٩٢٧

المجلات التي تلقى اقبالا واعجابا لدى الطلبة فى بغداد فخرجت فى يوم ٣٠ كانون الثانى / ١٩٢٧ جموع غفيرة من طلبة المدرسة الثانوية ودار المعلمين قدر عددهم بحوالى (٨٠٠) تلميـذ ، واجتمعوا فى حديقة الصالحية حيث عقدوا مؤتمرا طلابيا ، لعله كان أول مؤتمر لطلبة العراق بحثوا خلاله موضـوع فصـل أستاذهم وأكدوا على شعار حرية الفكر فى جو من الحماسـة وتعاقب الخطباء يؤكدون العزم على هذه المعانى ، واسـتقر رأيهم بعد المداولة على عريضة وقعها أكثر من (٧٠٠) تلميذ نصت على مايلى :

« نحن الموقعين أدناه طلاب المدرستين الثانوية ودار المعلمين نحتج على قراركم القاضى بفصل الأستاذ أنيس زكريا النصولى وذلك قتلا للحرية الفكرية فنطلب اعادة النظر فى قضية الأستاذ ولكم مزيد من الشكر .

٣٠ كانون الثانى / ١٩٢٧ »

وبعد أن انتخب المؤتمر وفدا منهم يقوم بمهمة تسليم العريضة الى وزير المعارف ، اتجهوا فى مظاهرة صاخبة الى شارع الرشيد قاصدين الوصول الى الوزارة المذكورة ، وهى تهتف بحيـاة الحرية الفكرية وتصدح بالأناشيد الحماسـية ، ولأول مرة فى بغداد وقف المارة من الأهالى يشهدون هـذا المنظر الغريب : منظـر « المكتبلية » (١) بملابسـهم الافرنجية وهم يصرخون

---

(١) تعبير تركى كان يطلقه اهالى بغداد ذلك الوقت على طلبة المدارس

بشعار جديد لم تألفه آذانهم من قبل فقد سمعوا أيام الثورة العراقية فى اجتماعات جامع الحيدرخانة هتافات مدوية بحياة الوطن والاستقلال ، ولكن هذا الهتاف الذى يتردد الآن كان باسم حرية الفكر وهو نداء لم يصافح أسماعهم من قبل ، وهو وان بدا غامضا على المارة الذين تجمعوا لرؤية هذه المظاهرة ، الا أنه سحرهم فارتفعت أكفهم بالتصفيق

وفى وسط هذا الجو واصلت المظاهرة سيرها يتقدم صفوفها « الزعماء » و « القادة » هذا الفتى الأسمر النحيف (حسين جميل) ، وذاك الصبى البدين (فائق السامرائى) وذلك الشاب الأحمر الذى يتصبب عرقا (عبد الرزاق الظاهر) ومضت المظاهرة تواصل سيرها حتى اذا بلغت شارع المأمون (شارع الجسر القديم) حيث كان مقر وزارة المعارف[1] تجمعت أمامها وتعالت هتافاتها مدوية بحرية الفكر مطالبة باعادة النصولى .

وحاول الوفد الذى يمثل الطلبة أن يدخل على الوزير فقيل له انه غائب وطلع سكرتير وزارة المعارف (أحمد زكى الخياط) يطمئنهم من انه سيبلغ الوزير بمطاليبهم وطلب اليهم الانصراف فلم ينصرفوا

ويروى الأستاذ ساطع الحصرى عن مقابلة وفد الطلبة له فيقول « .. لاحظت عندما دخل الوفد الى غرفتى أنه كان على رأسهم محمد حسن السلمان الذى كنت أعرفه جيدا لأنه كان

---

(١) انتقلت بنايتها بعدئذ الى مديرية الآثار القديمة بجوار بناية المتحف العراقى القديم

قد برع في دور عطيل عند تمثيل الرواية في قاعة الثانوية بحضور الملك فيصل ، وانه كان من أبناء الجعفرية وتكلم باسم زملائه وقال لي مايلي : جئنا لنبين ان كل مايشاع عن الأستاذ النصولي عار عن الصحة ونؤكد انه لم يقل لنا شيئا يمس مذهبا من المذاهب ونسترحم من الوزارة أن تعيد النظر في قرارها ..» (١)

وبينما كانت المفاوضات جارية والمساعي منصرفة لاقناع الطلبة بالانصراف اذا بقوة من الشرطة تهجم فجأة على الطلبة محاولة تفريقهم بالقوة ، فدارت معركة حامية بين الشرطة والطلبة استخدمت فيها الشرطة العصي الغليظة فراحت تهوى بها على رؤوس الطلبة بقسوة واستخدم فيها الطلبة الحجارة والحصا التي أخذوا ينتزعونها من الجدران ويلتقطونها من الطرقات ويرمون بها الشرطة ، ويبدو أن الشرطة فشلت في تفريقهم فاستعانت بسيارات اطفاء الحريق التي سرعان ماوصلت الى محل الحادثة يسبقها بوق الانذار وهبط منها رجال الاطفائية بخوذهم الفولاذية ووقف المستر (فيشر) مدير الاطفاء يلقي عليهم تعليماته وخطته بزهو وخيلاء وكأنه جنرال يستعد لخوض معركة حربية ، حتى اذا أتم ذلك انتحى جانبا ووقف بالقرب من مدير شرطة بغداد «حسام الدين الجمعة» يرقب نتائج المعركة بلهف وثقة ، وبدأ رجال الاطفائية في توجيه الخراطيم على الطلبة فتدفقت المياه بسرعة وقوة واضطربت جموعهم وتفرقت بادىء

---

(١) مذكراتي في العراق ـ الجزء الاول ـ ساطع الحصري ص ٥٦٣

الأمر ثم تجمعت بعد قليل وارتفعت حماستهم فى المقاومة فانهالت الحجارة على رجال الشرطة والاطفائية كوابل من المطر فتساقط عدد كثير منهم بحيث لم يسلم حتى مدير الشرطة ومدير الاطفائية من تلك الأحجار التى أصابت رأسيهما ، وما هى الا ساعة حتى استطاع الطلبة بجرأة أن ينتزعوا خراطيم المياه من أيدى رجال الاطفائية فانقلب الأمر واذا بالطلبة يطاردون رجال الاطفائية والشرطة ويلاحقونهم بهذه الخراطيم التى تندفع منها المياه بقوة هائلة .

وتكهرب الجو وتأزم الوضع فأطل وزير المعارف السيد عبد المهدى على الطلبة ، وهم بتلك الحالة ، ملابسهم مبللة بالمياه والوقت فى صميم الشتاء ، بعضهم مصاب برضوض شديدة والبعض الآخر شدخت رأسه وقد أخذ الغضب منهم كل مأخذ ، وحاول الوزير أن يخفف من روعهم ويهدىء من غضبهم ويطلب اليهم التفرق والعودة الى مدارسهم ولكن ذلك لم يكن أمرا سهلا فى ذلك الوقت .

فبقوا فى مكانهم ولم ينصرفوا الا بعد أن خطب بهم (يوسف زينل) طالبا اليهم التفرق ، عند ذلك فقط رجعوا رجوع الجنود الظافرين فى معركة حامية واعتصبوا فى مدرستهم ينتظرون تنفيذ مطالبهم .

وسرعان ما امتد أثر هذه المظاهرات الى بعض المعاهد الأخرى . ففى كلية الامام الأعظم تجمع الطلبة فى محاولة

للتظاهر بقصد مساندة اخوانهم فى دار المعلمين والثانوية المركزية وذلك بعد أن بلغتهم أخبار تلك المظاهرات ووصلهم رسل الطلبة المتظاهرين

وفى أحد الاجتماعات وقف محمد الدشتى خطيبا يحرض طلبة كلية الامام الاعظم باسم الدفاع عن حرية الفكر ويحمل حملة شعواء على وزارة المعارف لقيامها بطعن حرية الفكر فى المعاهد العلمية التى أسست لنشر الحقائق

ولعل ساطع الحصرى عندما اشار فى صفحة ٥٨٧ من مذكراته الى دور محمد الدشتى فى فتنة النصولى كان يقصد هذا الموقف

ووصف خالد العدسانى وهو طالب كويتى كان يدرس فى كلية الامام الاعظم ذلك الوقت الجو الذى كان يسود الطلبة ، وذلك بسلسلة مقالات نشرها فى الرابطة العربية التى كان يصدرها أمين سعيد فى القاهرة فى الاعداد المؤرخة ١٢ و ١٩ كانون ثان و ٢ شباط من عام ١٩٣٨ بعنوان « أيام الدراسة فى بغداد »

***

وقد عبر (النصولى) عن وقع هذه المعركة فى نفسه فقال (.. بينما كانت الوقيعة مشتعلة كنت جالسا على سطح البيت مع بعض الرفاق اسمع ذلك الهتاف ونفسى مضطربة خوفا على الطلاب ، ولم ألبث طويلا حتى رأيت ساحة البيت قد غصت بأولئك الأبطال وكان بعضهم جريحا فى يده ورأسه ورجله وطفقوا يقصون علىّ ما أصابهم ، وكلهم متحمس ، وكلهم

تندفق الحياة فى وجهه) (١)

***

وسرعان ماهزت هذه المعركة الرأى العـام فأصبحت حديث الأندية والمجالس ، واختلف الناس فى أمرها ، فبعضهم شجبها وَاعتبر اقدام السيد عبد المهدى على فصل النصولى (مأثرة) و (بطولة)، ولعل الجواهرى كان يعبر عن هذا الشعور فى قصيدته التى وجهها اليه وجاء فيها :

الله يجـزيك والاباء مـأثرة فى الله صنت بها آباءك النجبا
هم حاولوها لاغراض مذممة حتى اذا سعرت كانوا لها حطبا
عارعلى صفحة التاريخ قيلته ولطخة فى جبين المجد ماكتبا (٢)

والبعض الآخر نظر اليها من زاوية أخرى فاعتبرها اعتداء على « حرية الفكر » وقد عبرت جريدتا الاستقلال والعراق عن ذلك

وألفت وزارة المعارف لجنة برئاسة « سمرفيل » المستشار الانجليزى وعضـوية بعض موظفى الديوان وراحت تحقـق وتتحرى فى القضية ، وانصرف « سمرفيل » يتجه بالتحقيق اتجاها يتمشى مع سياسة تفريق الصفوف واثارة النعرات وسرعان ما أدرك الطلبة هذه اللعبة فأسرعوا الى احباطها وتنادوا الى انهاء الاعتصاب وأصـدروا البيـان التالى فى أول شباط عام ١٩٢٧

---

(١) الكشاف العدد ٣ ، السنة الاولى ، آذار سنة ١٩٢٧ مظاهرة حول كتـاب النصولى

(٢) ديوان الجواهرى مطبعة الغرى سنة ١٩٣٥ ص ٢٢١

« ... لقد أشاع البعض أن المظاهرة التى قمنا بها نحن طلاب المدرسة الثانوية ودار المعلمين كانت ناشئة عن دافع خارجى ، كما أنهم أشاعوا أن تلك المظاهرات صدرت من طائفة من الطوائف ، فنحن ازاء هذه الاشاعات الكاذبة نصرح الى آبائنا وأمهاتنا واخواننا من أبناء العراق بأننا لم نعمل بأى سائق خارجى ، سوى ارضاء ضمائرنا ووجداننا وضنا منا على الحرية الفكرية من أن يتهدم كيانها ، فضلا عن أننا سعينا يدا واحدة لا فرق بين طائفة من الطوائف الاسلامية بل تكاتفنا وتعاضدنا والوحدة المقدسة رايتنا وارضاء الضمير رائدنا» (١)

وأعلنت وزارة المعارف بعد أيام قرارها فاذا به يتضمن مايلى :

١ ــ فصل الأساتذة عبد الله مشنوق وجلال زريق ودرويش المقدادى وتسفيرهم

٢ ــ فصل الأستاذ يوسف زينل باعتباره محرضا وتخفيض درجة يوسف عز الدين من مدير مدرسة الثانوية الى معلم فى دار المعلمين باعتباره مهملا فى واجبات وظيفته

٣ ــ ويطرد الطلاب كل من حسين جميل وفائق السامرائى وعبد اللطيف محيى الدين وأنور نجيب طردا مؤبدا

٤ ــ ويطرد الطلاب كل من محمد خالد أبراهيم وعبد القادر اسماعيل وعبد الرحمن ابراهيم الجوربجى وعبد اللطيف عطا وكامل ابراهيم وفؤاد درويش وعبد الستار عبد الجبار لمدة شهر

---

(١) الاستقلال العدد ٩٧٠ لسنة ١٩٢٧



التلاميذ المطرودين من المدرسة الثانوية ودار المعلمين بعد الاعتصام سنة ١٩٢٧

٥ ـ ويطرد الطلاب أدهم مشتاق ومحمود عبد الكريم وعزيز علي وأنيس وزير وجلال عبد الرزاق وصبيح الحاج كمال وعبد الله شريف وأحمد فوزي ومحمد الحاج علي وخليل جميل وحسام الدين العبيدي لمدة أسبوعين

٦ ـ وانذار الطلاب كل من قاسم حسن وجواد حسين وعبد الرزاق الظاهر ويوسف عبود وشاكر محمود وظافر صالح (١)

ولم تكتف وزارة المعارف بهذه الاجراءات بل أوعزت الى المدرسة الثانوية ودار المعلمين أن تمنع الطلبة من الانتساب الى

(١) الاستقلال العدد ٩٧٨ لسنة ١٩٢٧ ، راجع مذكرات ساطع الحصري ص٥٧٢

أى جمعية أو ناد ، ومن الكتابة فى الصحف واذاعة البيانات باسم الطلبة

وكان من الطبيعى أن تستقبل الصحف التى وقفت الى جانب الطلبة هذه الاجراءات بالنقد الشديد

فكتبت العراق تقول (.. اننا نأسف لهذا القرار لأننا كنا نود أن تقف وزارة المعارف من هـــذه الحادثة موقفا فيه كثير من التسامح وفيه شفقة على مستقبل الطلبة (١)

وقالت الاستقلال « كان لهذا القرار الذى تبرعت به وزارة المعـــارف وقعه السىء على النفوس وأثره المؤلم على الضمائر المشبعة بالوطنية » (٢)

وبعث أنيس النصولى عندما بلغه هذا الخبر رسالة من بيروت الى بعض طلابه الذين فصلوا نهائيا يواسيهم ويشد من أزرهم وقد نصت رسالته على مايلى :

« بيروت فى ٢٨ فبراير عام ١٩٢٧
ياحسين ويافائق ويا انور وعبد اللطيف
أى أصدقائى الأحباء

لقد حكمت محكمة الاستبداد والجهل بعزلكم من مناصبكم ـ مناصب الشرف كطلاب ـ لكنها نست أن لكم من يساعدونكم الى الأبد . ثقوا أيها الأعزاء أننى مستعد لأن أقدم لكم كل ما أملكه فى سبيل تعليمكم . هذا اذا تنازلتم وان لكم فى بيروت

---

(١) العراق العدد ٢٠٧٧ لسنة ١٩٢٧
(٢) الاستقلال ٩٨٦ لسنة ١٩٢٧

اخا مهما شط به المزار فهو ينظر اليكم كاخوة أبد الدهر بل كشركاء فى التضحية ، بل شهداء فى سبيل المبدأ . اننى أنتظر جوابكم . اننى مستعد (لحياتكم) العلمية السعيدة .

المخلص

أنيس »

بيروت فى ٢٧/٥/٤٨ Beyrouth le

يا حسين ! ويا فائق ويا انور ويا عبد اللطيف

ويا اصدقائى الاحباء !

لقد حكمت محكمة الاستبداد والجهل بطردكم من مدارسكم – مدارس العلم والشرف كطلاب – ولكننى اشهد ان لكم من يساعدكم الى الابد

فقدوا ايها الاعزاء انى مستعد لأن اقدم لكم كل ما املكه فى سبيل تعليمكم . هذا اذا شئتم .

وان لكم فى بيروت أخاً مهما شط به المزار فهو ينظر اليكم كأخوة ابد الدهر بل كشركاء فى التضحية ، بل شهداء فى سبيل المبدأ .

انى انتظر جوابكم . انى مستعد (لحياتكم) الحياة العلمية السعيدة .

المخلص

أنيس

وقد كشف ساطع العصرى فى مذكراته عن موقف المستشارين الانجليز من هذه الحادثة ، فقال ان المعتمد السامى « هنرى

دوبس) كان يميل الى ضرورة اتخاذ اجراءات تستهدف فرض عقوبات جزائية على الطلبة الذين اعتدوا على رجال الشرطة دون الرجوع الى القضاء ، اعتقادا منه أن احالة الطلبة الى المحاكم لايخلو من محـاذير ، وكان (كورنواليس) مستشـار وزارة الداخلية يميل الى هذا المبدأ رغم الاعتراض الذى وجه اليه من أنه ينطوى على تجاهل لسلطة القضاء وهدم لقاعدة الفصل بين السلطات ، مستشهدا بحادثة وقعت أيام دراسته فبادرت الكلية بضرب الطلبة !!

الا أن المستر (لاينل سميث) المفتش العام فى وزارة المعارف كان مترددا فى الأخذ بهذا الاجراء وقد استشار ساطع الحصرى بهذا الصدد فقال له « أنا لا أحبذ مبدأ (العقاب بالضرب) فى المدارس الثانوية بوجه من الوجوه ، لأنى أعتقد أن ضرب الطلاب لايؤثر فى أفكارهم ولا يعمل عمل التدبير الزاجر فى نفوسهم ولكنه يولد ردود فعل قوية ولا أشك فى أن الضرب بناء على قرار رسمى يجرح كرامة الشبان ويولد فى نفوسهم حقـدا عميقا » (١)

ويبدو أن هذا المبدأ « ضرب الطلبة » قد صرف النظر عنه ولم يتجاوز التفكير فيه حدود المداولة والاستشارة ، ولكنه ما لبث أن بعث من جديد بعد مرور سنة من حادثة النصولى وذلك عند قيام الطلبة فى شباط ١٩٢٨ بمظاهرات احتجاجية

---

(١) مذكراتى فى العراق الجزء الاول ساطع الحصرى ص ٥٧١

ضد الصهيونية والسر الفريدموند الصهيونى بسبب زيارته بغداد ولكن هذه الاجراءات التى أخذتها وزارة المعارف على مافيها من صرامة لم تفت فى عضد الطلبة ، فوحدوا مساعيهم لاثارة قضيتهم وطرحها على الرأى العام سواء فى الصحافة أو البرلمان واستقر رأيهم على رفع عريضة الى الملك فيصل ، جاء فيها :

« نحن الموقعين أدناه من طلاب مدرستى الثانوية ودار المعلمين نعرض لسدتكم الملكية أن وزارة المعارف الجليلة قد عاقبتنا بالطرد النهائى والموقت بمناسبة المظاهرة التى قام بها حوالى (٨٠٠) طالب من مدرستى الثانوية ودار المعلمين وقد اختصتنا الوزارة الجليلة بالعقاب الصارم ولم تستمع دفاعنا ضد التهم التى وجهت الينا والتى أدت الى عقابنا ولاعتقادنا ببراءتنا مما وجه الينا جئنا الى جلالتكم ملتمسين النظر فى قضيتنا

حسين جميل ـ أنور نجيب ـ فائق السامرائى ـ عبداللطيف محيى الدين ـ عبد القادر اسماعيل ـ فؤاد درويش ـ أنيس وزير ـ أدهم مشتاق ـ خالد ابراهيم (الجوربجى) ـ عبدالرحمن ابراهيم (الجوربجى) ـ كامل ابراهيم ـ عبدالستار عبد الجبار ـ صبيح الحاج كمال ـ يوسف عبود ـ محمود عبد الكريم (١)

واستطاع الطلبة تحريك قضيتهم فأثيرت فى المجلس النيابى

---

(١) العراق العدد ٢٠٨٢ لسنة ١٩٢٧ ، كما رفع الطلبة عريضة مماثلة الى رئيس الوزراء جعفر العسكرى ووزير المعارف السيد عبد المهدى ، نشرت فى العددين ٩٨٩ و ٩٩٠ من جريدة الاستقلال لسنة ١٩٢٧

وارتفعت بعض الأصوات تستوضح عن مصير الطلبة المطرودين وتطالب بضرورة اعادتهم الى مدارسهم (١) ، وبحثت هذه القضية أيضا فى اجتماع عقد فى سينما رويال ورفعت عرائض وطيرت برقيات وأخيرا قام الطلبة فى المدارس فى ٦ آذار بمظاهرة تضامنا مع الطلبة المطرودين ويطالبون بعودتهم (٢)

ومع أن هذه المساعى أثمرت فى حمل وزارة المعارف على اعادة الطلبة المطرودين ، الا أن ذلك كان سببا لتوسيع شقة الخلاف بين السيد عبد المهدى وزير المعارف والسيد ساطع الحصرى ، عزز من اعتقاد الأول بأن الحصرى كان وراء هذه الضجة التى قامت ضد اخراج النصولى ورفاقه وانه هو الذى شجع النصولى على طبع كتابه المذكور وحرض الطلبة على الاحتجاج باسم الحرية الفكرية ، ولما شعر السيد عبد المهدى ان الاتجاه منصرف الى اعادة الطلبة المطرودين الى مدارسهم استقال من الوزارة

واذا كانت استقالة السيد عبد المهدى المقدمة الى مجلس الوزراء فى ٧ حزيران عام ١٩٢٧ قد خلت من الاشارة الى هذا السبب ، وربطت الاستقالة باعتراضه على احالة لائحة قانون التجنيد الاجبارى الى المجلس النيابى قبل تعديل المعاهدة العراقية ــ البريطانية والاتفاقيات الملحقة بها فان الظروف

---

(١) قدم السيد محمود رامز استيضاحا فى البرلمان عن قضية الطلبة ايده به ٨ نواب ، راجع جريدة الاستقلال عدد ٩٩٤ لسنة ١٩٢٧ ، الا انه لم تجر مناقشة حوله

(٢) تاريخ الوزارات العراقية الجزء الثانى الطبعة الثانية عبد الرزاق الحسنى ص ٨١

والملابسات التي تقدمت ورافقت وأعقبت الاستقالة تلقى الضوء على حقيقتها ، لاسيما وأن السيد عبد المهدى كان ذلك الوقت يمثل حزب الشعب الذى يتزعمه (ياسين الهاشمى) وقد دخل الوزارة باسم الحزب المذكور ورأى الحزب معروف بالميل الى الأخذ بالتجنيد الاجبارى وقد عبرت جريدة (نداء الشعب) لسان حال الحزب عن ذلك فى مناسبات مختلفة

ولعل هذا يرجح ماقالته مجلة العرفان حول استقالة السيد عبد المهدى من أنها (لم تخل أن تكون من جملة الآثار السيئة التى خلفها النصولى بكتابه المعلوم) [1]

***

كان من الطبيعى أن تثير حادثة النصولى وما رافقها من ملابسات ، وما صحبها من ظروف ، ردود فعل مختلفة تختلف باختلاف الأوساط وتتباين بتباين البيئات . ولعل أهمية حادثة النصولى أنها طرحت على الرأى العام لأول مرة بشكل صاخب شعار حرية الفكر وعما اذا كانت هذه الحرية يجب أن تقف عند حدود معينة أم تتجاوز تلك الحدود .. ولا شك أن الطلبة بتظاهراتهم وشعاراتهم وبياناتهم قد تصدوا للجواب عن هذا السؤال الذى طرح على الرأى العام فكانوا بحكم اندفاعهم وحماسهم لايميلون الى حدود معينة تقف عندها حرية الفكر

فى حين كانت هناك أوساط أخرى ترى أنه لايسوغ باسم

(١) العرفان العدد العاشر المجلة ١٣ سنة ١٩٢٧

حرية الفكر في بلد تدين أغلبيته بمعتقدات ومقدسات أن تمس على نحو لايخلو من الاستفزاز ولا يسلم من اثارة المشاعر ، ومن هنا كانت هذه الأوساط ترى في التدابير التي أقدمت عليها وزارة المعارف اجراءات معقولة لا مفر من القيام بها ولا مناص من اللجوء اليها لمواجهة الموقف المعقد الذي خلفه الكتاب المذكور

ولعل السيد عبد المهدي وزير المعارف في ذلك الوقت كان يعبر عن تلك الأوساط بموقفه واجراءاته ، وقد روى لي (ان موضوع النصولي أثير في مجلس الوزراء وكانت أغلبية المجلس لاتميل الى اتخاذ الاجراءات ضد النصولي ورفاقه ، بحجة أن الدستور قد كفل حرية الرأي ولكنني استطعت اقناع الملك فيصل بعد حوار دار بيني وبينه حول هذا الموضوع وقلت له في معرض الحوار المذكور ان واجبكم ياسيدي يقضي عليكم بالمحافظة على مشاعر رعاياك وأحاسيس شعبك ، وجلالتكم ليس ملكا على بغداد فحسب بل أنت ملك العراق بشماله وجنوبه وبمختلف طوائفه وأجناسه ... وحتى رستم حيدر كان في بادىء الأمر متأثرا بآراء ساطع الحصري ولكنه غير رأيه بعد أن بسطت له ماينطوي عليه الموضوع من جوانب أخرى لها أهميتها .. (١)

واذا كان الطلاب هم الذين تصدوا للجواب عن السؤال الذي طرحته قضية النصولي على الرأي العام في العراق بأسلوب

---

(١) اجتمع المؤلف والدكتور على الوردى مع السيد عبد المهدى واستمعا الى بيانه بخصوص قضية النصولى

الشباب المندفع المتحمس ، فان الظاهرة التى تلفت نظر المتتبع هى سكوت الأحرار من المفكرين البارزين فى العراق الذين عرفوا فى حياتهم بحرية الرأى وجرأة القول .. ولعل الملابسات التى أحاطت بقضية النصولى لم تشجعهم على المساهمة فى هذه المعركة فتركوا الطلبة وحدهم فى الميدان والتزموا الصمت تحاشيا لما قد تثيره المناقشة من اختلاطات ومضاعفات

ولعل هذه الحقيقة تفسر سكوت جميل الزهاوى ومعروف الرصافى وفهمى المدرس وغيرهم ممن عرف بحرية الفكر ولم يتقاعس فى الدفاع عنها فى ظروف متشابهة

ومن الانصاف ان نذكر أن الطلبة لم يبادروا الى القيام بذلك الاعتصاب — كما كانت تسميه الصحف المحلية ذلك الوقت — انتصارا للنصولى بتأثير عوامل مذهبية طائفية ، وآية ذلك ان الذين ساهموا فى الحركة وقادوا صفوفها كانوا ينتمون الى طوائف مختلفة وانما الذى حفزهم على ذلك ايمانهم بحرية الفكر وتأثرهم بهذا الشعار الجذاب الذى طالما استمعوا الى سحره أيام الثورة الفرنسية وتأثيره على الشعوب ودور أبطال التاريخ فى الدفاع عنه والخطابة حوله . وقد يكون تقدير الطلبة لنتائج عملية الاعتصاب ذلك الوقت وما تجره الى مضاعفات وملابسات غير سليم ولا ينطوى على وزن دقيق للموقف واحتساب لمختلف احتمالاته التى قد تؤول الى افساح المجال للمغرضين أن يلعبوا لعبة تفريق الصفوف ، ولكنه على كل حال لا يثير أدنى شك فى

حسن نواياهم ولا يبعث أقل ارتياب فى صدق احساسهم

ولا ريب ان الجو ازداد تعقـدا اثر هـذه المظـاهرات التى استهدفت الدفاع عن أنيس النصولى والمطـالبة باعادته باسم حرية الفكر ، فقامت ردود فعل أخرى تختلف فى شدتها وعنفها ، وكان من الطبيعى أن يبرز فى مثل هـذا الجـو المغرضـون والمتصيدون فى المـاء العكر من الطرفين سـواء ممن يسـند الاعتصاب أو يشجبه للعمل على تعميق التوتر وتوسيع شـقة الخلاف سعيا وراء المنافع الذاتية والمصـالح الشـخصية وان تستر وراء شعارات براقـة باسم حرية الفـكر أو الدفاع عن المقدسات !!

ولا شك أن قضية النصولى سببت خلق جو مشبع بالتوتر مملوء بالريب ، وبطبيعة الحال لم يختف هذا الجو بانتهاء القضية المذكورة ، بل بقيت ذيولهـا وتنائجهـا وانعكست آثارها فى الأحداث التى تعاقبت والقضايا الأخرى التى طرحت الموضوعات التى برزت فيما بعد ، فقامت مساجلات عنيفة ودارت مناقشات حامية على صفحات الصحف (١) سـاهمت فيها بخبث جريدة التـايمس البغـدادية التى كانت تعبر عن آراء دار الاعتمـاد البريطانى ، واندفعت أحزاب فى نشاط غريب بعـد أن كانت

---

(١) قرر مجلس الوزراء فى ٢٢ تشرين الاول سنة ١٩٢٧ تعطيل جريدتى النهضة والزمان ورفع معتمد حزب النهضة احتجاجا الى مجلس الوزراء والى المندوب السامى فطلب الاخير من مجلس الوزراء اعادة النظر فى قراره . ومن الكتب التى صدرت ردا على النصولى كتاب « دولة الشجرة الملعونة الشامية » للسيد محمـد مهدى المدسوسى القزوينى ، مطبعة دار السلام ١٢٤٦ هـ

مسألته بحيث لا يكاد أحد يحس بها ويشعر بوجودها ، وبرزت دعوة تستهدف التحريض على مقاطعة الحكم (١) بحيث تعرضت وزارة جعفر العسكري الى هزة لا سيما بعد استقالة السيد عبد المهدي واشتداد ساعد هذه الدعوة اشتدادا جعل الملك فيصل يواجه صعوبة فى اقناع البعض بالاشتراك فى الوزارة ، وبحيث صرح وزير الدفاع نوري السعيد الى مندوب جريدة الاحرار قائلا « .. ان الرأى العام يستغرب هذه النعرة التى تستغلها فئة قليلة من الشعب لمنافع ذاتية وإنا على ثقة بأنه اذا قامت فى أحد الأيام وزارة عراقية كل رجالها من أبناء طائفة فلا يتذمر أحد من أبناء الطوائف الباقية .. أما الروح الطائفى فقد عزمنا أن نسد عليه فى آنية من زجاج نختمها بشمع أحمر ونلقيها فى البحر .. » (٢)

ولعل (التجنيد الاجبارى) كان من أبرز الموضوعات التى انعكست عليه آثار قضية النصولى وذيولها

وكاد اليأس يستولى على النفوس بسبب ذلك الجو لولا أصوات ارتفعت من بعض العناصر المخلصة تدعو الى تحكيم العقل والاتزان فى مواجهة هذا الموقف الدقيق ومعالجته بروح الحرص على الوحدة الوطنية نفس الروح التى واجه بها الشعب

---

(١) تبنت جريدة النهضة للمرحوم امين الجرجفجي هذه الدعوة التى كانت تعبر عن آراء حزب النهضة ، راجع التقرير البريطانى الموضوع الى مجلس عصبة الامم عن احوال العراق لسنة ١٩٢٧ ، ترجم فى جريدة العالم العربى أعداد ١٧ و ١٨ و ٢٠ تشرين الثانى عام ١٩٢٨ .

(٢) راجع جريدة العراق العدد ٢٢٠٦ لسنة ١٩٢٧ ، حيث نقلت التصريحات المذكورة عن جريدة الاحرار الصادرة فى بيروت

العراقى الاحتلال البريطانى فى ثورة ١٩٢٠ فاحبط لعبته فى تفريق الصفوف

ويشير التقرير البريطانى الى دور رجال الدين الشيعة البارز فى تفويت الفرصة على بعض الساسة عندما دعوا ذلك الوقت الى عقد مؤتمر فى ١٠ حزيران ١٩٢٧ فى احـدى المدن المقـدسة ففشل

وقد نجحت المساعى والجهود التى بذلت من الطـائفتين فى تلطيف الجو وتسكين النفوس . وبقى سؤال يدور فى الأذهان ترى من الذى كسب من وراء هذه الضجة ؟

أغلب الظن ان دار الاعتماد البريطانى هى التى خرجت من المعركة غانمة ، فقد كسبت تصديع عرى الوحدة الوطنية وكسبت جوا مشبعا بالحقد الطائفى غير ان دار الاعتماد البريطانى لم يفتها استغلال هـذه الظروف فى تحقيق أغراضـها السياسية واحباط المفاوضات العراقية ـ البريطانية التى استهدف منهـا الجانب العراقى تعديل الاتفاقية العسكرية على نحو يقرر ادخال (التجنيد الاجبارى)

فلم تجد دار الاعتماد ـ وهى التى كانت تعارض هذا المشروع ـ خيرا من هـذا الجو تستغله فى خنق المشروع المذكور الذى دعت اليه بعض الاوساط الوطنية فتمكنت من القضاء عليه بحيث طوى بعيدا ولم يبعث مرة أخرى الى الظهور الا بعد أن دخل العراق عصبة الأمم ورفع الانتداب عنه

الفصل الخامس

عندما جاء موند إلى بغداد

منذ بدء تكوين الحكم الأهلى فى العراق والصراع فى فلسطين بين العرب والصهاينة يشغل ذهن الرأى العام العراقى ويثير اهتمامه وقد عنيت الصحافة المحلية بهذه القضية عناية بالغة فكتبت المقالات الضافية فى شجب الحركة الصهيونية واستنكار وعد بلفور

ولعل جريدة (الاستقلال) التى كان يصدرها (عبد الغفور البدرى) كانت من أشد الصحف حماسة فى الدفاع عن فلسطين وقد استطاعت أن تفضح البوادر الاولية لمظاهر النشاط الصهيونى فى العراق وتنبه الرأى العام الى ذلك ، ففى شهر ايلول من عام ١٩٢٣ تسرب الى بغداد كتاب بعنوان « النهضة الاسرائيلية وتاريخها الخالد » يتضمن دعوة صريحة الى الصهيونية فشنت «الاستقلال» حملة شديدة على الكتاب فى ٤ ايلول ١٩٢٣ وقالت فى نقده « .. الكتاب ليس كما يدعى المؤلف فى عنوانه نهضة وتاريخ بل دعوة الى الانضواء الى لواء الصهيونية لأنه يحبذ الصهيونية وأعمالها ، ونحن نعتقد أن نشره

---

(١) مجلة الاقلام الجزء السادس السنة الثانية

ليس دفاعا عن مصلحة الاسرائيليين للعرب بل تزلفا الى الصهيونية وهذا كان الشعور الذى استحوذ علينا حين مطالعتنا الكتاب »

ثم خاطبت اليهود فى بغداد قائلة .. « .. اننا نناشدهم أن يقاطعوا الكتاب واذا كانوا مخلصين فليبينوا رأيهم فى الصهيونية وصدر هذه الجريدة مفتوح .. » (١)

وفى اليوم التالى واصلت الحملة ومضت تفضح مظاهر النشاط الصهيونى فى بغداد فقالت « نأسف كثيرا أن نرى يهود العراق يقبلون على مثل هذا الكتاب ونندهش كيف تسمح الحكومة العربية العراقية وسانسورها (كذا) !! (٢) بنشر هذا الكتاب ويشهد الله اننا كنا قد غضضنا الطرف عن الصهيونية ولكننا لما رأيناها تتفشى بيننا ورأينا النجمة الصهيونية مرسومة على أبواب المخازن والتبرعات تذهب الى فلسطين كما بلغنا وكتاب (النهضة الاسرائيلية) يباع على مشهد منا رأينا السكوت عن ذلك خيانة للعرب والوطن » (٣)

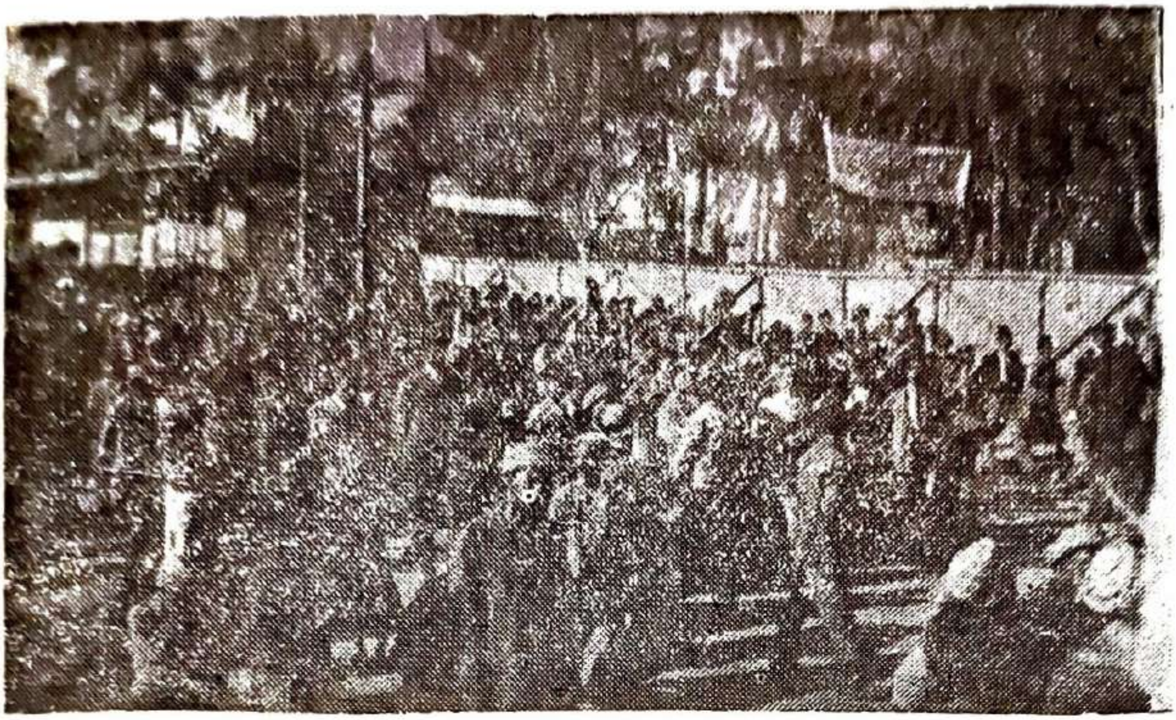
لذلك كانت حوادث فلسطين الدامية تترك صداها العميق فى الرأى العام وقد سارع الجمهور بسبب موقف الصحافة وفى مناسبات مختلفة من عام ١٩٢٥ ــ ١٩٢٦ و ١٩٢٧ الى عقد الاجتماعات الاحتجاجية وجمع الاعانات المالية لمساعدة فلسطين العربية

---

(١) الاستقلال العدد ٢١٩ فى ١٤ ايلول ١٩٢٣
(٢) رقيب المطبوعات
(٣) الاستقلال العدد ٢٢٠ فى ٥ ايلول ١٩٢٣

وفى أوائل عام ١٩٢٨ تناقلت وكالات الأنبـاء العالمية أن «السير الفرد موند» وهو أحد أقطاب الحركة الصهيونية وكبار رجال المال سيقوم بجولة فى أقطـار الشرق الاوسط ، وربما سيزور العراق لأغراض اقتصادية منها ما يتعلق بدراسة مشروع مد أنابيب النفط من العراق الى البحر الأبيض المتوسط ومنها ما يتصل بدراسة امكانية تحسين الأراضى الزراعية فى العراق باختيار السماد الكيماوى الملائم للتربة

وقد أثارت هذه الزيارة لاقترانهـا بالاحـداث الدامية فى فلسطين ارتياب الرأى العام وشكوكه ، وسرعان ما تحولت تلك الشكوك الى مشاعر عميقة من السخط والغضب عندما سرت فى بغداد اشاعة مفادها ان السير (الفرد موند) سيصل العاصمة فى ٨ شباط ، وأن الطائفة اليهودية تستعد للترحيب به واقامة الاحتفالات ابتهاجا بمقدمه وقد استفزت هذه الاشاعة الجمهور لما تنطوى عليه من تحد لمشاعره الوطنية ولما تضمنته من استهانة بعواطفه القومية ، وقد حفزت تلك الاشاعة طلبة دار المعلمين والثانوية المركزية والحقوق وغيرهم الى عقد اجتماع فى (نادى التضامن) تداولوا فيه الأمر مع بعضهم فاستقر رأيهم على انتهاز هذه الفرصة للقيام بمظاهرات تعبر عن سخطهم على الحـركة الصهيونية وتفصح عن مشاعرهم القومية ، وقد شجعهم على ذلك نجاح المظاهرات التى قامت فى العام الماضى دفاعا عن «النصولى» وانتصارا لحرية الرأى وما حققته تلك الحركة من (بطولات)



مظاهرة موند

وما أثارته من صدى بعيد فى مختلف الأوساط وتسلل الطلبة بعد هـذا الاجتماع فمضى بعضهم يعد الشعارات (١) وراح بعضهم الآخر يحضر الاعلام الوطنيـة وانصرف آخـرون الى تحريض الطلبة على الاشتراك فى هذه الحركة

وفى ظهر يوم ٨ شباط (٢) اجتاحت شارع الرشيد مظاهرة طلابية تحمل الأعلام العراقية وترفع لوحات كتب على بعضها (ليسقط وعد بلفور) (فلتسقط الصهيونية) (تحيـا الأمة العربية) وتشق هتافاتها التى تردد تارة (فليسقط بلفور ووعده)

(١) كتب تلك الشعارات الخطاط جلال
(٢) روى لى «يوسف زينل» انه كان فى ذلك الوقت يدرس فى «مدرسةالتقدم» وهى احدى المدارس التابعة للطائفة اليهودية ، واستطاع بالرغم من شدة التكتم أن يعرف من بعض الطلبة والاساتذة موعد وصول الفرد موند الى بغداد

وطـورا (بيت المقـدس عربية) وحينا آخر (فليرجع الزعيم الصهيونى الفرد موند) عنان الفضاء

وبعد أن سارت المظاهرة فى شارع الرشيد عبرت الى جانب الكرخ حيث انضمت اليها جموع شتى من الجماهير ، واتجهت نحو جسر الخر بعد أن اتسعت وتعاظمت بحيث بلغت فى تقدير بعض الصحف (٣٠٠٠) شخص

وقد تصدى رجال الشرطة الى هذه المظاهرة فى محاولة لمنع مواصلة سيرها نحو جسر الخر ، فاشتبكوا معها فى معركة عنيفة استعان فيها الطلبة بالحجارة والعصى والقنـانى واستخدم فيها الشرطة هراواتهم وخيولهم فداسوا بسنابكها بعض الطلبة ممن أصيبوا بجروح بليغة وفشلت محاولاتهم فى تشتيت المظـاهرة فواصل الطلبة سيرهم نحو جسر الخر فى جو من الحماسة ونشوة الظفر

وعند جسر الخر رابط الطلبة وعيونهم ترقب بحذر ونشاط وتفتش السيارات القادمة بغية العثور على سيارة (الفرد موند) حتى اذا خيم الظلام ولم يجدوا أثرا لسيارة (موند) عادوا الى شارع الرشيد فى الليل وهم يهوسون بحماس أشد « ردينا السير موند وجينا » والمارة فى الشارع تصفق لهم والنساء من الشرفات تزغرد (١)

لقد فوجئت حكومة «عبد المحسن السعدون» بهذه المظاهرة

---

(١) ملحق جريدة العراق فى ٩ شباط ١٩٢٨ ، جريدة العـالم العربى فى ١٠ شباط ١٩٢٨

العنيفه وخشيت أن يتعرض «الفرد موند» الى اعتداء ، فسارعت الى حمايته من غضبة الشعب وثورة الجماهير ، فأرسلت بعد أن فشلت الشرطة فى منع المظـاهرات من الوصول الى جسر الخر بسرعة مدير شرطة بغداد ـ حسام الدين جمعة ـ مع قوة من الشرطة الى نقطة « أبى منيصير» حيث استقبل من هناك (السير الفرد موند) ووضعته تحت حراسة مشددة ونقلته تحت ستار الظلام الى الكاظمية ومنها الى الأعظمية والى (دار الاعتماد البريطانى) حيث حل ضيفا هنـاك مع زوجته وابنته الليـدى (أيرليا) اما حاشيته فقد نزلت فى دار السير اليازر خضورى أحد أثرياء اليهود المقيمين (١) فى لندن

وبادرت الحكومة فى مساء اليوم نفسه الى اتخاذ اجراءات سريعـة فكبست الشرطة (نادى التضامن) وأبعـدت رئيسه (يوسف زينل) الى البصرة وفق أحكام المادة (٤٠) من نظام دعاوى العشائر !! وذلك باعتباره الشخص الذى يختفى وراء تلك المظاهرات

واستدعت عددا من مديرى المدارس لاستجوابهم والتحقيق معهم وسارعت وزارة المعارف الى اتخاذ قرارات سريعة يقضى بعضها بالطرد المؤبد ، وبعضها الآخر بالطرد المؤقت ، بعد أن عقد وزير المعارف اجتماعا مع مديرى المدارس وأساتذتها هدد

---

(١) السياسة الاسبوعية ١٨ و ٢٥ فبراير ١٩٢٨ كانت الحاشية مؤلفة من الفرد موند وعقيلته وابنته الليدى ايرليا والسيد فردريك كمبل وعقيلته وآلبارون جورج منشن وشقيقته والمستر نعمان سكرتير الفرد موند

فيه برمى المتظاهرين من الطلاب بالرصاص ! ! (١) وفى ١٩ شباط عندما انعقد مجلس الوزراء باغت المستشار القانونى لوزارة العدل المستر (دراور) الوزراء باقتراح يتضمن اصدار مرسومين الأول رقم (١٣) يخول وزير المعارف حق جلد الطلبة، والثانى رقم (١٤) يخول وزير الداخلية سلطة وضع الاشخاص تحت الرقابة وكلا المرسومين يتضمن أثرا رجعيا بحيث يشمل الوقائع السابقة لصدورهما

وقد أثار الاقتراح أزمة فاحتج وزير العدلية (حكمت سليمان) على ذلك باعتباره قد فوجىء بعرض هذه المراسيم ولم يؤخذ رأيه بها وأعرب عن رغبته فى الاستقالة (٢) . واعترض وزير المعارف (توفيق السويدى) على مبدأ الأثر الرجعى لتلك المراسيم واعتبارها شاملة لحوادث المظاهرات الواقعة قبل صدورها وهدد بالاستقالة الا ان المستشار القانونى أراد أن يعالج الأزمة فعدل اقتراحه بحيث حذف الأثر الرجعى بسن المرسوم رقم (١٣) الذى يخول وزير المعارف جلد الطلبة وابقاء

---

(١) طرد طردا مؤبدا من الحقوق « حسين جميل وعبد القادر اسماعيل » ومن دار المعلمين « مزاحم ماهر ، سعيد عباس ، صالح عبد الوهاب ، عبد الوهاب الخطيب عبد الحميد الخالدى ، عبد الرزاق قاسم ، محمود الحمودى ، حسن مرهون ، عزيز على ، اسماعيل على ، عبد الحافظ ابراهيم » ومن الثانوية المركزية كل من « سعيد عبد الاله ، أحمد قاسم راجى ، أدهم مشتاق ، عزيز شريف ، عبد اللطيف محيى الدين » وطرد طردا مؤقتا لمدة شهر كل من « جواد حسين ووديع فتح الله ومحمود عبد الجبار وعبد الهادى عبد الخالق » ومن الثانوية المركزية ، ولمدة اسبوع كل من « عبد الجليل على وحسين راجى وخضر الحاج طالب » من الثانوية المركزية ايضا، وطرد لمدة شهر من مدرسة الكرخ « عبد العزيز على الخليل وسعيد حميد »

(٢) استقال حكمت سليمان فى ٣ حزيران ١٩٢٨ لهذا السبب وذلك بعد انتهاء الانتخابات

في المرسوم رقم (١٤) الذى ، يخول وزير الداخلية سلطة وضع الاشخاص تحت الرقابة فصل في السويدى النظر عن الاستقالة بحجة ان المرسوم رقم (١٤) الذى اعترض عليه لوجود الآمر الجلى فيه لا يعود تنفيذه اليه وانما لوزير الداخلية .

وقد بادرت السلطات الى احالة عدد من الشباب الى محاكم الجزاء بتهمة القيام بمظاهرات مخالفة لأحكام المادة ٨٤ و ٨٥ من قانون العقوبات البغدادى فتطـوع كل من كمـال السنوى وعبد العزيز جميل ومحمد سالم الكيلانى بالدفاع عنهم (١)

وقد قال محمد سالم الكيلانى فى مرافعته « ... ان الطلبة دائما يقيمون المظاهرات السلمية تأدية لواجبات وطنية ولم يكن قصد المتظاهرين السلب والنهب والاخلال بالامن وانما الأمر كان بالعكس فان المتظاهرين قاموا بمظاهرات يشترك كل منا فيها روحيا ، ولو نظرنا الى قواعد علم النفس لوجدنا أن تعريف الجماعة عبارة عن ذات معنوية غير مراكبة تحس بشعور واحد وترمى الى غاية واحدة فتكون والحالة هذه الجماعة العراقية بأسرها مشتركة فى هذه الجمعية والتفرق المادى لا يعنى شيئا . لذلك فان المـادة ٨٤ لا تنطبق لأنهـا تنص على عقاب جمعية والجمعية يجب أن تكون نظاما خاصا وغاية خاصة وشخصية

---

(١) حكمت محكمة جزاء بغداد على « خالد سعيد ويوسف داود وسعيد فتاح » بخمس جلدات وعلى كل من « علايت الله محمود ورؤوف محمود وعلى امين وجاسم على وكمال الدين عبد المحسن وحسن على وعاصم فليح » بالحبس الشـديد لمدة شهرين مع وقف التنفيذ باستثناء على أمين وحسن على لوجود ملحكومية سابقة ، وافرجت عن كل من « باقر عباس ، أنيس زيتو ، عبد الوهاب على ، البير شميه

معقولية ... واذا تفسنى لنا أن نحتج بقاعدة لا جريمة ولا عقاب الا بنص فيكون لنا الحق ان نقول ان قانون العقوبات البغدادى ليس فيه مادة تنص على أعمال هؤلاء المتهمين ... » (١)

***

وقد كسبت تلك المظاهرات عطف الرأى العام لأنها جاءت تعبر عن حقيقة مشاعره فسارع الشعب الى عقد اجتماع فى «جامع الحيدرخانة» فى أول جمعة من وقوع تلك المظاهرات ، أعرب فيها عن انتصاره للطلبة واحتجاجه على اعتقالهم وطردهم وتعالت فى ذلك الاجتماع هتافات عالية بسقوط الصهيونية وحياة العرب ، وطلعت الصحف فى اليوم الثانى حافلة بأخبار المظاهرات وأنبائها فأصدرت جريدة « العراق » ملحقا خاصا نقلت فيه الى الجمهور تفاصيل المظاهرة وما رافقها من ملابسات

ولم تكتم الصحافة المحلية رغم ما كانت تعانيه من اضطهاد عطفها على هذه الحركة وانبرت تهاجم الحكومة على الاجراءات التى اتخذتها بحق الطلبة . فقالت العراق « ... لقد كان لصدور المرسومين ١٣ و ١٤ أمس صدى عميق فى نفوس الناس فباتوا يتساءلون ما يراد بهم وما هو الوضع الجديد الذى انقلبت اليه البلاد ؟ .. وكيف سينشأ ويربى هؤلاء الشبان الذين يعاقبون بهذا النوع من العقاب الجلد ؟ لم ؟ » (٢)

العراق فى ١٦ آذار ١٩٢٨
العراق فى ١٥ شباط ١٩٢٨

وكتبت جريدة النهضة تقول « ... ان قيـــام بعض الأفراد الشواذ اخواننا الاسرائيليين لاستقباله ــ أى الفـــرد موند ــ كزعيم صهيونى جعل العواطف تختلف بالنسبة الى الغاية المتوخاة لأن أولئك النفر ما أرادوا بذلك الا اظهار عواطفهم تلقاء اخوانهم فى فلسطين كما اننا نرغب الى الحكومة الاتلوم الطلبة على اظهار مثل هذه العواطف .. » (١)

وعندما تعرضت (بغداد التايمس) الى تلك المظاهرات بالدس وحاولت أن تستعين بعبارة وردت فى تقرير الشرطة لتدلل على انها مظاهرات همجية وتنعتها بأنها (أضحوكة العالم) تصدت لها جريدة (العراق) ومضت ترد عليها وتقـــول ان الطلبـــة فى مختلف أقطار العالم المتمدن يقومون بتظاهرات من شأنها أن تعزز الشعور القومى وتكون موضع التقدير ، وتساءلت كيف تسرب التقرير الرسمى وهو سرى الى (بغداد تايمس)؟ ! (٢)

وطلع (ابراهيم صالح شكر) بحملة شديدة على (البغداد تايمس) قال فيها (ما انتهز الطلبة قدوم موند الا لما له من الزعامة بين القائلين (بالصهيونية) والعـــاملين على تمكين وعد بلفور فى سورية الجنوبية أو فلسطين كمـــا تسميها (جغرافية الاستعمار) ... اما ان تقوم جريدة البغداد تايمس فتمس شعور الطلبة فى العراق وتستهتر بهم وتصفهم بمـــا لا يناسب الأدب والكرامة فذلك ما ننقم منه وذلك ما يبعث الحنق فى النفوس

---

(١) النهضة فى ١٧ شباط ١٩٢٨

(٢) العراق فى ٢١ شباط ١٩٢٨

فهل لوزارة السعدون أن تعلم « البغداد تايمس » كيف يكون الغريب أديبا فى بلاد الناس ؟) (١)

وبالرغم من الرقابة الشديدة التى فرضها السير (هنرى دوبس) المندوب السامى البريطانى على البرقيات الخارجة من العراق ، فقد تسربت الى الخارج وتناقلتها وكالات الأنباء العالمية ، فذكرت وكالة رويتر فى ١٠-٢-١٩٢٨ (ان السير الفرد موند وزوجته وحاشيته .. اضطروا الى دخول بغداد عن طريق غير مألوفة لينجوا من تهديد جمهور مؤلف من عشرة آلاف شخص لمنعه من دخول بغداد لما اتصل بهم انه قادم لادخال الصهيونية فى العراق ...)

ونشرت الديلى اكسبريس مقالة بعنوان (الرقابة تكم الافواه فى العراق) أشار فيها مراسل الجريدة الى ان السلطات العراقية تحجز البرقيات لتعرضها على المندوب السامى ، وان سكرتير المندوب السامى منعه من ارسال البرقيات حول مظاهرات الطلبة ضد السير الفرد موند ، وان المراقبة الشديدة التى شهدها فى الحرب الأهلية فى ايرلندا وخلال اقامته فى موسكو لم تبلغ الشدة التى بلغتها الرقابة فى العراق ذلك الوقت

وقد كان لهذه المقالة صداها الشديد ، بحيث اثيرت فى مجلس العموم البريطانى وقام النائب البريطانى (الكومندر كنور ذى) فحمل حملة شديدة على الحكومة ندد فيها بسياسة الشدة والقمع .

---

(١) الزمان فى ٢١ شباط ١٩٢٨ ، الزمان فى ١٠ نيسان ١٩٢٨

واهتمت الصحافة العربية بتلك المظاهرات فكانت السياسة الاسبوعية تنشر تطوراتها وذيولها ونتائجها .

وكتب محمود عزمي يعلق على هذه الحركة قائلا (انها نفسية العراقيين القلقة .. وقلقها هذا يدعوها الى تلمس الانفجار وتنتهز أي فرصة لتنفجر فيها انفجارا يخفف من وطأة أسباب القلق الاصلية بقصد التخفيف) (١)

وقالت جريدة الشورى (ايه يا عاصمة العباسيين .. لقد غضبت للقدس كما غضبت عاصمة الأمويين منذ ثلاثة أعوام .. لقد اضطربت اعصابك قبل ان يحل الفرد موند ارضك وقبل ان يمس ترابك ، ان غضبة دمشق يوم زيارة بلفور وان غضبة بغداد يوم زارها السر الفرد موند لدليل على ان سكان الجزيرة العربية كأعضاء الجسم الواحد ان تألم منه عضو تألم الجسم كله) (٢)

وابرق طلبة الجامعة الوطنية في (عالية) والطلبة العرب في باريس يحتجون على فصل الطلبة ويطالبون باعادتهم ، كما بعث (محمد عزة دروزة) مدير مدرسة النجاح في دمشق بما تبرع به الطلبة السوريون الى اخوانهم العراقيين (٣)

وفي صفوف الطلبة بدت روح التضامن ، فعندما جاءت الشرطة

(١) السياسة الاسبوعية في ٣ مارس ١٩٢٨ ، كان لوفائيل بطي يراسلها من بغــــداد

(٢) الزمان في ٢١ شباط ١٩٢٨ . العالم العربي ٣٠ آذار ١٩٢٨

(٣) رسالة من محمد عزة دروزة الى ياسين الهاشمي . العراق ١٤ نيسان ١٩٢٨ راجع عريضة الطلبة المفصولين الى رئيس الوزراء في ٨ آذار ١٩٢٨

لتأخذ المفصولين من القسم الداخلي من دار المعلمين شيعهم زملاؤهم تشييعا حارا تسابق فيه الطلبة الى القاء الخطب وانشاد الأشعار . (١) وحين سافر «حسين جميل» وهو أحد المفصولين من كلية الحقوق الى دمشق ليواصل دراسته سارع الطلبة الى توديعه باحتفال كبير يكشف فى ذلك (٢) الوقت عن وحدة الشعور بينهم ، وقد مضى احدهم ــ عثمان قادر ــ يكتب فى الصحف يرد على تخرصات «البغدادتايمس» و« العالم العربى» ويدعون الى مقاطعة الجريدتين المذكورتين (٣)

وفى صلابة وعناد رفع الطلبة الى (عبد المحسن السعدون) رئيس الوزراء احتجاجا ، نص على (... تبلغنا بتاريخ ١٤ شباط ١٩٢٨ قرار وزارة المعارف الجليل القاضى بطردنا من المدرسة طردا مؤبدا بناء على ادعائها بأن لنا صلة بالمظاهرة التى أقيمت ضد الصهيونية يوم ٨ شباط ١٩٢٨ ، وبما ان القرار الوزارى المشار اليه مجحف بحقوقنا فنحن نطلب من فخامتكم أن تصدروا امركم الى هذه الوزارة باعادة النظر فى قرارها المذكور نظرا للاسباب التالية :

١ ــ ان وزارة المعارف الجليلة لم تجر تحقيقاتها فى قضيتنا وفق القواعد القانونية ، فانها لم تحضرنا أمام المحققين ولم تسمع

---

(١) العراق ١٧ شباط ١٩٢٨ خطب « اسماعيل على » وعبد الحافظ الحصيبى فى ذلك الوداع
(٢) العراق فى ٣٠ آذار ١٩٢٨
(٣) العراق فى ١١ شباط ١٩٢٨

منا دفاعا يبرىء ساحتنا أو شهودا ينفون عنا التهم التى ألصقت بنا بالأقوال المجردة وانما أخذنا بالشبهات خلافا للقاعدة الشرعية القائلة بأن الحدود تدرأ بالشبهات . وانه لشىء كبير يا صاحب الفخامة ان يعاقب بهذا العقاب الصارم عدد غير قليل من الشباب بمجرد الاقوال والشبهات

٢ ــ ان الحادثة التى عوقبنا من أجل الاشتراك بها وقعت فى اصيل ٨ شباط أى فى وقت غير وقت الدوام فى المدارس وان طلاب المدارس انما يعاقبون اذا ارتكبوا أفعالا مخلة بالنظام المدرسى ولم يكونوا بوجه من الوجوه معرضين للعقاب عن أمور لم تقع فى بناية المدرسة اللهم الا اذا تصرفوا بأخلاق مشينة لا يقبلها نظام المدارس وان المظاهرة ضد الصهيونية لم تكن من هذا القبيل بل كانت حركة شريفة سامية

٣ ــ ان القواعد القانونية لا تجيز العقاب بدون نص وليس باستطاعة الوزارة الجليلة ان تبين لنا المادة التى استندت اليها فى طردنا ومعاقبتنا اياها هذا العقاب الصارم

٤ ــ ان مظاهرة ٨ شباط ليست من الحوادث المخلة بالنظام العام وسلامة الدولة لان المظاهرة المذكورة اقيمت احتجاجا ضد الصهيونية التى تعانى مرارتها فلسطين العربية الشهيدة ، وان الصهيونية يا صاحب الفخامة ليست من المبادىء المعترف بمشروعيتها فى العراق حتى يكون الاحتجاج عليها مخالفة للنظام

العام أو يهدد سلامة الدولة

وانها بالضـــد من ذلك فان السماح بالدعوة اليها وتثبيت أصولها وجعل هذه البلاد مسرحا يرتع فيه زعماؤها ودعاتها مما يستوجب الاخلال بالنظام العام وسلامة الدولة لأن الرأى العام العراقى مجمع على مقاتلتها ومقاومتها ونحن على يقين من ان قلب كل عربى يخفق عطفا على فلسطين العربية كما خفقت قلوب المتظاهرين بالامس

وان قولنا بمشروعية المظاهرة يوم ٨ شباط لا يستفاد منـه اننا كنا من المتصلين بها ، وان أردنا أن نصارح فخامتكم بأن الاشتراك فى مثل هذه المظاهرة السلمية لايستلزم هذه الضحايا

٥ ـ ان العقوبات التى فرضتها الوزارة لم تفرض من مقام ذى اختصاص بفرضها لان هيئة التحقيق فى هذه الحادثـــة لم تؤلف من مدرسى المدارس التى طرد طلابها وان القواعـــد المتبعة تستلزم اشتراك المدرسين لانهم ادرى بطلابهم واهدى من غيرهم الى سبيل التحقيق المنتج

٦ ـ نحن لاندرى ماهو الاصلاح المنشود من طرد عدد غير قليل من الشبان من المدارس وحرمانهم من ارتياد مناهل العلم مع ان الغاية المتوخاة من العقوبة هى الاصـــلاح فنحن نعرض اليكم يا صاحب الفخامة طلبنا هذا منتظرين اصدار امركم الى الوزارة الجليلة باعادة النظر فى قرارها المنوه عنه وارجاعنا الى

مدارسنا ولكم الشكر   بغداد ٧ ٢ ك ١٩٢٨ (١)

وكانت مشاعر الطلبة ذلك الوقت تتقلب بين الامل واليأس والتشاؤم والتفاؤل وقد عبر (فائق السامرائي) عن ذلك الشعور الذي كان يسود الطلبة بمقالة نشرت في الجريدة «الاستقلال» بتوقيع « أبو نزار » جاء فيها «ان يقوم الطالب المصري والطالب السوري بعمل يدعوه اليه الواجب وهو ماضي العزم رابط الجأش .. عالم بأن وراءه أمة بأسرها تحزن لحزنه وتفرح لفرحه .. اما هنا فقد طرد الطلاب وسجنوا واهينوا واودعوا المستشفيات وسحقوا بسنابك الخيل وضربوا بأعقاب البنادق فماذا كانت النتيجة !؟ تأكد أيها القارئ بأني سمعت بأذني كلمات التشفي والتبكيت : ما لكم والسياسة ؟ احرصوا على درسكم ؟ ما أنتم وهذه الامور ؟ ... اما في مصر فهذا محمد محمود لايجرؤ أن يمس الطلاب بسوء ، وها هي اجتماعاتهم ونواديهم يشرف عليها زعماء الوفد ورجالاته ... ولو انصفنا الطلاب هنا لما عزلناهم لتهافتهم على المقاهي ما زال ارتياد النوادي الادبية يصبح خطرا وما زال انخراطهم في عقد منتسبيه هو الذي يؤدي الى اغلاقها وما حادث نادي التضامن عنا

(١) الزمان في ٩ آذار ١٩٢٨ وقع العريضة كل من « مزاحم ماهر السامرائي ، ادهم مشتاق ، سعيد عباس السامرائي ، عزيز شريف ، احمد قاسم راجي ، صالح عبد الوهاب ، اسماعيل على ، سعيد عبد الاله ، عبد الوهاب الخطيب ، عبد الحميد الخالدي ، محمود حمودي الجلبي ، عبد الحافظ ابراهيم الحصيلي ، عزيز علي ، عبد الرزاق قاسم ، حسن مرهون ، عبد اللطيف محيي الدين ، من طلاب الثانوية المركزية ودار المعلمين . اما حسين جميل وعبد القادر اسماعيل فقدما عريضة مستقلة ، ومن المعروف ان علي محمود الشيخ علي هو الذي صاغ العريضتين

بعينه انقا ...» (١) وبادر حزب الشعب الذي كان يترعمه (ياسين الهاشمي) الى رفع احتجاج الى (عبد المحسن السعدون) رئيس الوزارء في ١٦ شباط ١٩٢٨ جاء فيه :

(... ان اصدار مثل هذه المراسيم يجعل وضع البلاد تحت الادارة العرفية ولا يلائم بأي وجه الاحوال الاعتيادية التي تسير فيها الانتخابات العامة وكذلك نشير الى العقوبات المنصوص عليها في المرسوم الى الأعمال التي سبق نشرها . ان القوانين والشرائع تجمع علي عدم جواز ذلك .. فعليه نقدم احتجاجاتنا الشديدة على هذا العمل وعلى اعادة عقوبة الجلد الى المدارس)

ومن الموصل ارسل الحزب الوطني الذي كان (سعيد الحاج ثابت يترأسه) كتابا في ٢١ آذار ١٩٢٨ يحتج فيه على فصل الطلبة ويطالب باعادتهم الى المدارس . وامام هذه الحملات التي انهالت على الحكومة انبرى « سليمان الشيخ داود » يدافع بحماسة عن تلك المراسيم ويتهم (ياسين الهاشمي) بأنه وراء تلك المظاهرات فقال (.. ان الهاشمي يحتج على هذه المراسيم باسم حزب الشعب ويحتج بشدة ... وهكذا نجد الهاشمي يذكر الحزب الذى اتخذه مطية لأغراضه في الشدة وينساه في الرخاء .. وقد يكون احتجاجه تكفيرا عما أصاب الطلاب الأعزاء من المصائب وقد يكون احتجاجه لترضية الشبيبة العزيزة التي أخذها مطية لتنفيذ أغراضه الشخصية وآماله الخائبة ... اني

---

(١) العالم العربي في ٢٨ شباط ١٩٢٨

أود أن يكون المحرضون فى طليعة المتظاهرين وفى مقدمتهم ولكن يا للأسف وجدتهم يختبئون وراء جدران منازلهم)

وعندما افتتح البرلمان دورته غير الاعتيادية فى مارس ١٩٢٨ انتقلت المعركة من ميدان الصحافة الى قاعته ، فقامت المعارضة التى تضم نواب (حزب الشعب) وغيرهم بحملة شديدة ضد المرسومين ١٣ و ١٤ وما ينطويان عليه من مجافاة للدستور ! وذلك فى الجلسة المنعقدة فى ٢٥ تموز ١٩٢٨

فقال محمود صبحى الدفترى « ... ان هذه المراسيم أعطت سلطة لوزير الداخلية بأن ينفى أو يلقى القبض على من يعتقد أو يثبت لديه بأنه حرض أو يحرض ، على عمل يخل بالأمن . وهذه السلطة كانت موجودة فى عهود التاريخ وكنا نسمع بها عن الامبراطورية الروسية وفى زمن الحكومة العثمانية قبل اعلان الدستور.. ولكن لم نر أنه أعطى هذا الحق لحكومة ما فى زمن الدستور وفى زمن القوانين وفى زمن وجود مجلس الأمة»

وتساءل ياسين الهاشمى قائلا : « ما الذى ينجينا نحن وينجى الأمة العراقية من أن تتكرر هذه المراسيم التى اتفقنا جميعا على استهجانها ؟ »

أظن أن الطريق الوحيد هو أن يرفض مجلس الأمة هذه المراسيم وبهذا الرفض يكون قد أيد نظرية الحكومة وجعل بيد الزمن الذين تعرض عليهم هكذا مراسيم سلاحا قويا فيقال ان مجلس الأمة عرضت عليه سنة ١٩٢٨ مثل هذه المراسيم

رفضها ... وبهذا نكون قد أمنا المستقبل وطمنا وجداننا بصفتنا مقرين بأن هذه المراسيم لا تطابق القانون الأساسى ولكن اذا حاولنا حمل الأكثرية على تصديق هـذه المراسيم نكون قـد جنينا على الأمة ... ».

وقال رشيد عالي الكيلاني « .. ان الحكومة شملت المرسوم على ما قبله وهذا ما لم يسبق له نظير بل أصبحنا مهازل أمام العالم . ان يوسف زينل نفى وتكبد أضرارا ومشاقا ومتاعب وهو فرد من أفراد الأمة فمن يحتمل هـذه المسئولية ؟ لهذه الأسباب أطلب من المجلس أن يسوق هذه الوزارة الى التحقيق النيابىحتى لاتتكرر أمثالهذه الأحوال وأقدم اقتراحى بذلك»

وحمل (محمد جعفر أبو التمن) على وزارة المعارف وعقوبه الجلد التى نص عليها المرسوم وما تنطوى عليه من جرح لنفوس الطلبة فقال مخاطبا توفيق السويدى وزير العدل « .. بدلا من أن نكسر شوكة الطلبة وان نمس عزة نفوسهم بالجلد الأمر الذى لا يحسن بأية حكومة أن تعمله كان عليه أن ينتقد هو مثل هذه المراسيم ولا يصدرها »

وقال محمود رامز (ان الطلاب قالوا فلتحيي الوحدة العربية ولتسقط الصهيـونية وانى بصفتى نائبا أشترك معهم وأقول كلمتهم !) ووقف ناجى السويدى يلتمس المبررات لاصـدار المراسيم وفى معرض خطابه غمز الملك فيصل الأول فقال (... أشهد أن الحكومة كانت مضطرة لوضع هذه التدابير الوقتية

لو أنها كانت مسألة وأنا أشهد على تألمها من جانب تحقيقاتي ان الحكومة ما استعملت هذه الاجراءات وطلبت العقاب الموضوع في المرسوم سلولى في قضية واحدة وهي القضية التي لنا تجري المناقشة عليها الآن ... وزيادة على ذلك أقول ان المظاهرة التي جرت لم تتلقاها الجرائد العالمية بهذا المعنى . ومن الخير أن أذكر خلاصة عن جريدة «الديلي اكسبريس» فقد نشرت بيانا للسير الفرد موند تقول فيه ان هذه المظاهرات لم يكن لها شأن في البلاد لأنها وقعت من قبل الأولاد. وأن أكبر سلطة وأعلى مركز في البلاد أظهر عطفه العظيم على القضية الصهيونية ! . فأنا أجلب أنظاركم الى أنه يجب ألا نحرج المراكز العالية بأن تكون مضطرة الى بيانات كهذه ! ... » (١)

***

لم يستطع اللورد (موند) بسبب تلك الضجة التي أثارها الطلبة ضده أن يبقى في بغداد أكثر من أسبوع، تار خلالها في تكتم شديد بعض المدارس والنوادي اليهودية وحضر مأدبة أقامها له الملك فيصل وصرح الى جريدة « التايمس البغدادية » تصريحا أثنى فيه على فيصل وقال انه جاء الى العراق لمشاهدة أطلال بابل ! ! ودراسة بعض المشروعات الاقتصاديه ! ! وفي ١٥ شباط (٢) ١٩٢٨ غادر بغداد مع حاشيته على متن طائرة نقلته الى الرطبة حيث كانت سيارة نيرن الكبرى التي حملته الى ...

---

(١) ياسين الهاشمي ومحمود صبحي الدفتري من جواب الشيخ العارض
(٢) محضر المجلس النيابي للدورة الانتخابية الثانية لسنة ١٩٢٨

بغداد باتتظاره . وقد علقت (السياسة الاسبوعية) قائلة ان السير الفرد موند اختار السفر بهذا الاسلوب خوفا من قيام المظاهرات ! ! (١)

وقد يكون من المفيد قبل أن نأتي على هذه الحكاية التي كشفت عن (بطولات الطلبة في سبيل مشاعرهم القومية) ان ندرج ما جاء في التقرير البريطاني الذي كانت (دار الاعتماد) ترفعه سنويا عن العراق الى (عصبة الأمم) ففيه ما يؤيد صحة ارتياب الطلبة بزيارة موند الى بغداد وفيه ما يشير الى أن وزارة السعدون قد استغلت المراسيم التي أصدرتها في تلك الفترة لأغراض انتخابية .

وقد جاء في التقرير (... اللورد ملشت الفرد موند معاضد للحركة الصهيونية زار العراق في أوائل شباط وقبل ذلك قام برحلته الى فلسطين وحصل على اطلاع تام على أعمال الصهيونية غير أن زيارته للعراق كانت بقصد درس الأحوال الزراعية والوقوف على عدم امكان أو امكان تحسين الزراعة بالاكثار من السماد الكيماوي لها ، ولما كانت الطائفة اليهودية في بغداد قد أظهرت رغبة في تنظيم الحفلات العامة على شرفه فقد راجت اشاعات مشوهة عن الاستحضارات التي أجريت في ذلك في بغداد واختلق دعاة السوء الفكرة القائلة بأن اللورد جاء ينشر

---

(١) روى لي مزاحم الباجه‌جي انه كان في ذلك التاريخ ممثلا للعراق في لندن وقد تقدم اليه السير الفرد موند يطلب سمة دبلوماسية له ولحاشيته فرفضت الطلب لانه لا يتمتع بتلك الصفة ولكن بعد ايام وردتني برقيـة من الحكومة العراقية تشير باعطائه سمة دبلوماسية .

بالصهيونية لذلك كان وصوله الى بغداد فى شباط قد أتاح الفرصة للقيام بمظاهرة ساخطة ضد الصهيونية وكان معظم المتظاهرين من أولاد المدارس فى بغداد وجمهور متحمس من رعاع البلد ! انهمكوا فى ضرب الحجارة والقنانى واستعملوا العصى بحرية ضد الشرطة ... وقد اظهر التحقيق أن التظاهرات كانت قد نظمت من قبل الرجال الذين ظهر بأنهم يستخدمون عمدا كل وسيلة تصل اليها أيديهم ليثيروا الاضطرابات وكانت خطتهم أن يختفوا وراء الستار ويستخدموا من هناك الأولاد وتلامذة المدارس والكليات لذلك قررت الحكومة وضع تشريع خاص يمكن السلطات من معاملة المحركين من أمثال هؤلاء وتوطيد النظام فى المدارس

ولما لم يكن مجلس الأمة مجتمعا فقد عرضت على الملك اصدار مرسومين الأول (١٣) يخول السلطة جلد تلامذة المدارس الذين فى عمر (١٨) سنة . والثانى (١٤) يخول وزير الداخلية سلطة تحديد محل اقامة من يحرضون لارتكاب جريمة منصوص عليها فى الباب الثانى عشر ووضعهم تحت المراقبة . وهذه السلطة قد أدت بلا شك خدمة كبيرة للحكومة فى حفظ الأمن أثناء الانتخابات العامة . وفى ٢٤ من شهر ايار عندما كانت الانتخابات قد انتهت ألغى المرسومان)

الفصل السادس

مأساة عبد المحسن السعدون

وقع اختيار (دار الاعتماد البريطانى) عليه بعد أن خيب (عبد الرحمن النقيب) ظنها بتردده بين الاقدام والاحجام فى موقف يتطلب الحزم ، لا سيما بعد أن اشتدت مقاطعة الشعب لانتخابات المجلس التأسيسى واتخذت شكلا عنيفا فى الجنوب حيث انتشرت فتاوى المجتهدين التى تقضى بتحريم المشاركة فى الانتخابات وتكفير كل من يساهم بها

وفى وسط هذا الجو الملبد بالغيوم والمشبع بروح معادية للسلطات ، مضى عبد المحسن السعدون يشق طريقه بحزم وجرأة لانتخاب أول مجلس تأسيسى يضع اللبنات الأولى لكيان العراق الدستورى ، ولم يتردد فى سبيل ذلك رغم مشاعر الخوف التى كانت تساور فيصل من اندلاع ثورة بسبب الاقدام على نفى (مهدى الخالصى) كبير المجتهدين وعدد من أنصاره خارج العراق ، اعتقادا من أن وجوده لا يسهل سير الانتخابات

واستطاع عبد المحسن السعدون أن يخطو خطوات واسعة فى اجراء الانتخابات ويحقق نجاحا فى تذليل المصاعب التى قامت

أمامه مما عزز مركزه السياسى كرجل قوى يواجه الاحداث بجرأة وشجاعة فكسب ثقة (دار الاعتماد البريطانى) . ولعل الذى زادها ميلا اليه هو أن الرجل كان يؤمن يومها بضرورة التعاون بين العراق وبريطانيا اعتقادا منه انه ما دامت حدود العراق من الشمال والشرق والجنوب غير مؤمنة فلا غنى للعراق عن التعاون مع بريطانيا لأنه لا يتمكن بمفرده وهو فى أول تكوينه من حماية حدوده من مطامع جيرانه

وقد كان السعدون صريحا فى المجاهرة بهذه الآراء والاعراب عن هذه الأفكار التى لم تكن بطبيعة الحال لتجد تقبلا لدى جماهير الشعب

وفى الوقت الذى اختار (عبد المحسن السعدون) لنفسه هذا النهج فى العمل السياسى وجمع حوله عددا من الساسة فى حزب برلمانى عرف باسم (حزب التقدم) يواصل العمل وفق ذلك النهج انبرى (ياسين الهاشمى) يعارضه باسم (حزب الشعب) الذى اتنهج خطة أخرى تقوم على أساس مبدأ خذ وطالب أو عارض لتكسب أكثر ما تستطيع ، لذلك جنح هذا الحزب الى تشجيع المعارضة الوطنية للمعاهدات والاتفاقيات مع السعى لابرامها بأقلية ضئيلة لتسنح الفرصة مرة أخرى لتحقيق ما فات من مكاسب تتحقق تدريجيا . وقد دار بين الحزبين صراع كان شديدا تارة وخفيفا تارة أخرى ، وكان الملك فيصل يختفى تارة وراء هذا الصراع ، و (دار الاعتماد البريطانى) أحيانا أخرى .



[illegible]

وقد حاول فيصل خلال ذلك الصراع أن يجد لنفسه موضع قدم فى الحزبين المذكورين فاندس رجاله فى صفوفهما حتى أن جعفر العسكرى قال يخاطب زعماء حزب التقدم ان لم تسمحوا لى بالدخول من الباب فسوف أدخل الى حزبكم من الشباك !!

***

وقد أثار النهج الذى اختاره السعدون معارضة فى أوساط مختلفة ، فكانت بعض الأوساط تميل الى الاعتقاد بأن هــذه السياسة تنطوى على تساهل لا يؤدى الى تحقيق الأمانى الوطنية ولعل الملك فيصــل كان يشــجع من طرف خفى هذا الاعتقاد قلقا على مصيره من ازدياد ثقة دار الاعتماد البريطانى بالسعدون ازديادا يعزز نفوذه الى الحد الذى قد يهدده ويجرده من نفوذه كملك ويجعل من السعدون وسيطا يرجع اليه فى حل ما يقع من خلاف بين دار الاعتماد البريطانى والبلاط ، وكان فيصل يريد ألا يشاركه فى اعتماد الانجليز أحد سواه ، ولعل شعوره تجاه عبد المحسن السعدون الذى كان موضع ثقة السير هنرى دوبس المندوب السامى لايختلف عن شعوره تجاه السيد عبد الرحمن النقيب الذى كان موضع اعتماد السير برسى كوكس من قبل

وعبثا حاول فيصل ازاحة عبد الرحمن النقيب من رئاســة الوزراء لعدم اطمئنانه اليه ولعدم امكانه التخلص من الشــعور الذى كان يستولى عليه من أن عبد الرحمن النقيب كان الى الأمس القريب ينافسه على العرش

وقد ذهبت محاولاته فى سبيل ذلك أدراج الرياح ، فقد كان عبد الرحمن النقيب يسرع الى المندوب السامى السير برسى كوكس كلما شعر بمحاولة فيصل لجر كرسى رئاسة الوزراء منه ليلوذ به ..

وقد أوحى هذا الموقف الى أحد الظرفاء ذلك الوقت ، أن يصور هذا الموقف بصورة كاريكاتورية تمثل السيد عبد الرحمن النقيب وهو يحمل باليد اليمنى استقالته الى الملك فيصل ويستلم باليد اليسرى من السير برسى كوكس كتاب التكليف بتشكيل الوزارة الجديدة (١)

وحسب الملك فيصل بعد أن نفض الانكليز يدهم من عبد الرحمن النقيب ان الفرصة قد سنحت له ولكن ظنه خاب عندما وجد دار الاعتماد ترشح له عبد المحسن السعدون خلفا له

ومن هنا كان فيصل يشجع من طرف خفى كل دعاية تسىء الى السعدون ، وتقلل من قدره فى الأوساط الوطنية ، ويسعى بأساليب ملتوية الى وضع المصاعب واثارة المتاعب أمام السعدون لخلق الفرص وفتح الطريق أمام رجاله وأعوانه لتأليف وزارات ذات مسحة فيصلية ، وقد أفلح فيصل فى بعض الظروف وأخفق فى ظروف أخرى فى تحقيق ذلك

وقد واجه عبد المحسن السعدون هذه المتاعب بصبر ، وواجه الانقسامات التى سادت صفوف حزبه بمساعى الملك فيصل

(١) نقلا عن « وجوه عراقية » وهى فصول مخطوطة عن بعض الشخصيات السياسية للسيد توفيق السويدى أملاها على المؤلف ٥٢ ـ ١٩٥٣

ورجاله بحكمة ، ومضى فى السبيل الذى انتهجه لايمانه بأن الظروف التى يجتازها العراق فى تلك المرحلة تقتضى ذلك ، حتى اذا ثبتت حدود العراق وسويت قضية الموصل اتجه السعدون اتجاها جديدا تحت تأثير حملات المعارضة يميل الى تقليم النفوذ الأجنبى فطالب فى وزارته الثالثة عام ١٩٢٨ بتعديل الاتفاقيتين العسكرية والمالية بحيث يتولى العراق مسؤولية الدفاع عن الأمن الداخلى والخارجى ، ويحدد عدد الضباط الانجليز فى الجيش العراقى ، وتعهد بادارة الاحكام العرفية الى ضابط عراقى بدلا من ضابط بريطانى وتتملك الحكومة العراقية السكك الحديدية ولا تتحمل نفقات دار الاعتماد البريطانى ، ويحدد أجل الاتفاقيتين المالية والعسكرية بأربع سنوات

وقد تمسك السعدون بهذه المقترحات تمسكا شديدا أدى به الى الاصطدام مع دار الاعتماد البريطانى لأول مرة ، فأكبرت المعارضة التى طالما شنت عليه فى الصحافة والبرلمان حملات شديدة موقفه وسارع زعماؤها أمثال ياسين الهاشمى وجعفر أبو التمن الى مساندته

وقد حاول السير (هنرى دوبس) المندوب السامى ان يعالج هذه الأزمة فعرض على السعدون أن يصرح فى البرلمان بان التفاهم قد تم على ابقاء الاتفاقيتين العسكرية والمالية النافذتين من غير الالتفات الى المواعيد الزمنية المحددة لها بشأن المساعدة العسكرية التى تقدمها بريطانيا . الا أن السعدون رفض هذا العرض

لا سيما بعد أن جمع حزبه (حزب التقدم) وحصل على تأييده وكتب الى السير هنري دوبس كتابا سريا كشف فيه عن أنه رجل شديد الاعتزاز بكرامته لا يرضى أن يتراجع عما التزم به أمام الرأى العام وأنه كثير الاحترام للمعارضة يحسب لها حسابها فقال : (.. لو فرضنا ان الحكومة بمساعدة حزبها ـ مع اعتقادى بأن هذا مستحيل ـ تمكنت من الحصول على تأييد المجلس لهذا التدبير فانها لن تتمكن من البقاء فى دست الحكم ، حيث أن المعارضين سيسعون طبعا بكل ما لديهم من الوسائل للاحتجاج على مسلك الوزارة ، ومن المحتمل جدا أن تؤدى مشاغبتهم واحتجاجاتهم الى قلاقل واضطرابات قد تأتى بنتائج وخيمة على البلاد لا يمكن أن يعرف أحد مداها

وهناك اعتبار آخر يمنع الحكومة من العمل بهذا الاقتراح وهو قبولها به ومجابهتها مجلس الأمة بهذه النتيجة بعد أن صرحت على لسان أعضائها مرارا انها ستبذل كل ما فى وسعها لتعديل الاتفاقيتين بالصورة التى تطمئن رغبات الأمة ، إذ أن ذلك معناه الرجوع الى القهقرى ، وقبول الحالة الحاضرة التى أعربت هى نفسها عن عدم الارتياح لها ، أعتقد أن هذا مخل بكرامة الوزارة ..

وبناء على هذه الاعتبارات ليس أمام الوزارة سوى طريق واحد للتخلص من الورطة التى أمامها وهو تقديم استقالتها (١)

---

(١) ص ١٩٧ تاريخ الوزارات العراقية ـ الطبعة الثانية ـ للسيد عبد الرزاق الحسنى

ولا شك أن هذا التقارب بين المعارضة والسعدون قد شجعه على أن يخطو خطوة أخرى للتعاون مع العناصر التى كانت تعبر عن أهداف المرحلة الوطنية ذلك الوقت ، فرأى السعدون أن يقوم بتجربة جديدة فى وزارته لذلك ضم اليها ياسين الهاشمى زعيم المعارضة ورئيس حزب الشعب ليستعين به فى دعم موقف الوزارة فى المفاوضة (١)

فأثار دخوله معارضة داخل صفوف حزب التقدم برئاسة الشيخ أحمد الداود وفى بعض الأوساط الاخرى التى راحت تثير الشبهات حول توافر صفة الائتلاف فى وزارة السعدون باعتبار أن اشتراك حزب الشعب فى الوزارة الى جانب حزب التقدم لا يخلع على الوزارة صفة الائتلاف ، لأن حزب الشعب قد تقلص ظله بحيث لم يبق فى صفوفه الا اثنان : ياسين الهاشمى ومحمود صبحى الدفترى

وكان محمود صبحى الدفترى يتساءل بتهكم عندما يحتدم الجدل حول ذلك فى الأندية السياسية قائلا : كيف لا تكون الوزارة ائتلافية ونصف حزب الشعب قد ساهم بها !!

***

ولا شك أن اشتراك (ياسين الهاشمى) بصرف النظر عن صفته قد عزز مركز الوزارة وأكسبها قوة بالنظر لما كان يتمتع

---

(١) الاهرام عدد ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٩ ، تشير الى ان حزب التقدم عقد اجتماعا بحث فيه ادخال الهاشمى الى الوزارة وقد عارض الشيخ أحمد الداود ذلك ، الا ان أكثرية أعضاء الحزب البالغ عددهم ٦٨ عضو أيد هذه الخطوة

به الرجل ذلك الوقت من مكانة شعبية وسمعة طيبة في الأوساط الوطنية

وأغلب الظن أن التطورات السياسية في انجلترا التي قامت بعد فشل حزب المحافظين في الانتخابات عام ١٩٢٨ ، وتولي حزب العمال مقاعد الحكم وصدور تصريح من الدوائر البريطانية في ايلول ١٩٢٩ يقضي بتعهد بريطانيا لادخال العراق الى عصبة الأمم عام ١٩٣٢ ، وانهاء خدمة السر هنري دوبس المندوب السامي المعروف بتزمته وتعصبه ، قد بعث التفاؤل في امكانية افتتاح صفحة جديدة من العلاقات السياسية بين لندن وبغداد ، شجعت عبد المحسن السعدون على تأليف وزارة جديدة على الشكل المذكور ليواجه الموقف الجديد بما يقتضيه من عزم وتصميم

وقد كشف البرنامج الوزاري عن الأهداف الوطنية التي كانت وزارة السعدون تسعى الى تحقيقها والتي قوبلت من دار الاعتماد بغضب شديد لعله كان السبب في عدم إعلانه على الرأي العام تحاشيا من الاصطدام مع تلك الدار

وقد كان من بين الأهداف التي تضمنها المنهاج « العمل على رفع كل صفة احتلالية من صلب المعاهدة الجديدة » و « انتهاء مسئولية الحكومة البريطانية في قضية الدفاع » و « تطبيق التجنيد العام بصورة سريعة » و « حصر السلطات العامة بشخص الوزير »

ومنذ الأيام الأولى لتأليف الوزارة ظهرت على السعدون روح جديدة ، فاذا به وهو الرجل المعروف بصمته وتحفظه يذكر النار فى خطبه ومسيل الدماء فى تصريحاته ويردد عبارات لم يألفها لسانه . وبباعث من هذه الروح لم يتردد عندما شنت عليه المعارضة فى البرلمان حملة شديدة فى الجلسة المنعقدة فى ١١/ تشرين الثانى/ ١٩٢٩ تناولت فيها الوعد البريطانى بادخال العراق الى عصبة الأمم بالتشكيك ، والتساؤل عن ضمان تنفيذه، أن يقف غاضباً ويقول « ان هذا التصريح ليس بقليل الأهمية بل هو ذو أهمية عظيمة ، فبدخول العراق عصبه الأمم تلغى جميع المعاهدات والاتفاقيات وتعقد اتفاقية جديدة على أساس استقلال العراق التام . ان هذا التصريح قد أعطى من قبل الحكومة البريطانية فاذا سقطت وزارة العمال فلا ينقض سقوطها مانص عليه التصريح أما اذا حصل خلاف ذلك فأعتقد أن نوال الاستقلال راجع الى جرأة الأمة ، والأمة التى تريد الاستقلال يجب أن تتهيأ له ولا يكون ذلك بالكلام والأقوال الفارغة فالاستقلال يؤخذ بالقوة والتضحية !! (١)

وقيل ان الفقرة الاخيرة من كلامه نطق بها السعدون بحرقة وبلهجته البدوية الصادقة التى كانت تطبع كلامه حيث قال « الاستكلال يؤخذ بالبنادك » أى أن « الاستقلال يؤخذ بالبنادق » ودهش المجلس بما فيه من مؤيدين ومعارضين لهذا

(١) ص ١٥ من محضر الدورة الثانية لمجلس النواب عام ١٩٢٩

الكلام الجرىء يصدر من عبد المحسن السعدون ووجم الملك فيصل لذلك الموقف واتجه الى دار الاعتماد البريطانى بنظرات تمتزج فيها الشماتة بالرجاء فاذا هى الأخرى أشد ذهولا تتساءل ماذا دهى هذا الرجل حتى انفجر مرة واحدة وأصبح كما عبرت جريدة الأوقات العراقية أشد حماسة من المتطرفين !!

وتهامس الناس يومها فى الأندية والمقاهى وفى المساجد قائلين إن رئيس الوزراء يدعو الى الثورة ورفع السلاح لطرد الانجليز

***

ولا شك أن الحملة القاسية التى تعرض لها السعدون فى تلك الجلسة والتى اتهم فيها بمسايرة الانجليز وخدمتهم قد استفزته وأثارت أعصابه وقد كبر عليه أن يواجه بالحملات تتناول وطنيته بالتجريح ، وكرامته بالتعريض ، والتفت يقلب أنظاره فى المجلس لعله يجد من يسارع الى الدفاع عنه من أعضاء حزبه الذين يؤلفون اكثرية فلم يجد أحدا يتحرك ، بل راعه وآلمه أن بعض صنائعه يساهمون فى تلك الحملة ، فشعر بنفسه وحيدا فى ميدان انهالت عليه السهام من كل جانب فاسودت الدنيا أمامه واستولت عليه عوامل اليأس من كل جانب

يأس من حزبه الذى خذله فى هذا الموقف فلم يبادر رجاله الى مساعدته أمام تلك الحملات التى انهالت عليه ، ولم يخف السعدون عن بعض أعضاء الحزب من أصدقائه هذا الشعور حين اجتمع بهم بعد انتهاء الجلسة فى النادى العراقى

وعاتبهم بمرارة متسائلا لماذا لم يخف أحد منكم الى الدفاع عنى (١)

يأس من الأوساط الوطنية التى أساءت فهمه ولم تحمل اتجاهاته الأخيرة فى التقرب اليها والتصميم على تعديل الاتفاقيتين العسكرية والمالية وفق الأهداف الوطنية على محمل الجد فراحت تثير الضباب وتنشر الشكوك حوله

يأس من دار الاعتماد البريطانى التى طالما تعاون معها فى انتهاج سياسة تحمل بسببها حملات قاسية واتهامات شديدة لايمانه بأن العراق لا غنى له عن التعاون معها مادامت حدوده غير مؤمنة ، ولاعتقاده بحكم تفكيره البدوى بأن الانجليز يؤمنون بصدق الوعد ويمكن الاعتماد عليهم فى تحقيق الأمانى الوطنية ، ولعل هذا ماجعله يؤمن بنظرية الالتقاء مع الانجليز فى منتصف الطريق واختيار المفاوضة أسلوبا للتوصل الى تحقيق الأهداف الوطنية ، لذلك كانت الصدمة شديدة عليه عندما اكتشف حقيقة تنكر الانجليز لما تعهدوا به

يأس من الملك فيصل الذى كان لايكف عن تدبير مختلف المناورات من وراء الستار بقصد اضعافه تارة بتشجيع المعارضة عليه وطورا فى التسرب الى صفوف حزبه (حزب التقدم) لجر بعض الأعضاء منه ، واستطاع بهذه الأساليب أن يسلط العيون والجواسيس على الحزب ينقلون اليه مايدور فى اجتماعاته وما

---

(١) جريدة العالم العربى العدد ١٧٥٢ فى ٢٧ تشرين الثانى سنة ١٩٢٩

يقرر فى جلساته بحيث تألف منهم جناح داخل الحزب يعمل ضمن توجيهاته ويتحرك رهن اشارته تمكن بوساطتهم فى بعض المواقف من احراج السعدون ، فعندما رشح عبدالمحسن السعدون حكمة سليمان لرئاسة المجلس النيابى خذله حزبه وهو حزب الأكثرية فى ذلك ، وانتخب رشيد عالى بدلا منه وكان فيصل يختفى وراء هذه اللعبة التى أحرجت السعدون وحملته على الاستقالة !!

وقد سئل مرة نورى السعيد ـ وكان من أقرب الساسة الى فيصل ـ لماذا تعارض يا باشا حزب التقدم وأنت من أبرز أعضائه ؟ فضحك نورى وتلفت يسارا ويمينا حتى اذا اطمأن من عدم وجود أحد همس فى أذن ذلك الصحفى قائلا لأنى أؤمن بأن تحطيم الحزب من الداخل أسهل من تحطيمه من الخارج !!

يأس من هذه الجهات كلها ولم يجد فى زوجته (حورية هانم) وهى سيدة تركية من الأناضول الرفيق الذى يخفف آلامه والصديق الذى ينسيه متاعبه والانسان الذى يداوى همومه ، وبالعكس فقد قلبت بمزاجها السوداوى وشدة عصبيتها داره الى جحيم ، فقد كانت لاتكف عن مشاكسته تارة باساءة معاملة أهله وأقاربه بحيث لم تتورع فى بعض المناسبات من غلق الأبواب بوجوههم اذا أقبلوا لزيارة السعدون وهى تردد بالتركية (بيس عرب بيس عرب) ، وبحيث لم تتردد من اختلاق مختلف الحجج لعدم السماح لهم فى النزول ضيوفا على

عبد المحسن السعدون جريا على العادة المتبعة عند شيوخ العرب ، وطورا بصرف الطاهى والخدم فى الأيام التى يدعو فيها السعدون أصدقاءه الى حفلة عشاء

ولم يكن من السهل على السعدون وهو العربى المعتز بكرامته والمعروف بكرمه والذى اعتاد أن يفتح داره أمام أقاربه وأبناء عشيرته أن يتحمل هذا السلوك

وكانت زوجته بحكم هذا المزاج شديدة التوجس تعترض على كل مايقدم لها من شراب أو طعام فهو مرة حامض وطورا مالح وتارة فاهى الى آخر هذه الاعتراضات ، وبحكم هوس النظافة الذى استولى عليها والشعور بالقذارة من الغير كانت لها أدواتها الخاصة : كرسى خاص تجلس عليه وملاعق وسكاكين وصحون وأطباق تستعملها عند الأكل فاذا حدث أن استخدمها سواها ثارت ثائرتها

لذلك لقى عبد المحسن السعدون بسبب هذا المزاج الكثير من المتاعب وقاسى الرجل كثيرا من الآلام ، وعبثا حاول أن يلطف أو يخفف منه فلم يفلح ، فالتجأ بعد أن تملكه اليأس الى الشراب والورق يستعين بهما فى التغلب على همومه ومتاعبه !!

وفى بعض المناسبات كانت تفلت منه عبارات تدل على تبرمه وضيقه بحياته فقد حدث مرة أن نعى اليه صديقه صبيح نشأت فتألم قائلا (ليتها كانت لى)

واتفق مرة أن توفيت زوجة عبد العزيز القصاب — وزير

داخليته ــ فلما حضر تشييع جنازتها وشاهد زوجها يبكى دهش لذلك وهمس فى أذن صديق كان يسير بجواره يعرب عن دهشته من موقف الزوج ! (١)

وأغلب الظن أن هذه العوامل تضافرت وتجمعت أسبابها فاستولت على ذهنه أفكار سوداء تميل به الى الانتحار . وقد كانت أعصاب السعدون من الضعف بحيث لم تقو على الصمود أمام هذه الأفكار لاسيما بعد أن وجد السعدون أن هذه الحملة التى قام بها النواب فى المجلس امتدت الى الصحف فراحت هى الأخرى تواصل حملاتها عليه مما ضاعف آلامه

ولم يستطع السعدون اخفاء هذه الهواجس التى استولت عليه فى بعض المواقف ، فروى لى مزاحم الأمين الباجه جى انه ساهم فى الحملة التى قامت ضد السعدون وكتب فى جريدة صوت العراق مقالة بعنوان (مصيبة البلاد) حمل فيها على السعدون حملة شعواء وقعت عنده موقع الألم بحيث لم يتمالك نفسه حين التقى يوم صدور المقالة مع حمدى الباجه جى فى النادى العراقى أن يقول له « فلينتظر مزاحم الباجه جى قليلا ليرى اذا كان عبد المحسن السعدون ــ كما يظن ــ خائنا !! »

وحدثنى على محمود الشيخ على قائلا : التقيت فى تلك الأيام مصادفة بعبد المحسن السعدون فى دار مكى الاورفهلى فجلس بجوارى وأخذ يتحدث عن الحملة الصحفية والبرلمانية ضده

---

(١) من رواية عن الاستاذ على محمود الشيخ على رواها للمؤلف

وقال يخاطبني بحسرة يا علي ان عبد المحسن السعدون وطني لايقل عنكم وطنية !! ولم يمض على هذا اللقاء يومان ، حتى انتحر الرجل

ويبدو أن هذه الاتهامات كانت تحرك في نفسه أوتارا خاصة بحيث تهز أعصابه هزا ، وهناك حادثة وقعت للسعدون أيام العهد العثماني عندما كان نائبا يمثل البصرة في مجلس المبعوثان تؤيد ضعفه أمام هذه الاتهامات ، فقد أراد أحد النواب بتحريض من البعض وتزلفا للحكومة العثمانية أن يستغل سفر عبد الكريم السعدون أخي عبد المحسن الى البصرة في وقت كانت فيه القوات الانجليزية قد احتلتها ليزعم أن عبد المحسن يحاول الاتصال بالانجليز عن طريق أخيه والعمل لحسابهم ، ويثير ذلك في البرلمان بسؤال أو استيضاح

وما كاد نبأ هذه المحاولة يصل الى السعدون حتى وقع في نفسه موقع الصاعقة . فطار صوابه وقال لمن نقل له الخبر (انني أفضل الانتحار على سماع كلمة الخيانة توجه الى تحت قبة البرلمان ولو كانت صادرة من أشخاص تعرف طواياهم) وكانت نبرات صوته وبريق عينيه يوحيان بصدق عزمه . فأسرع ذلك الشخص يحذر النائب الذي هدد بذلك ويتوعده بأنه اذا حاول القيام بذلك فسوف لايتردد في فضحه واعلان من حرضه على ذلك ومده بالدراهم (١)

---

(١) جريدة العراق العدد ٢٩٣٩ في ٦ كانون اول سنة ١٩٢٩ ، هذا ويلاحظ ان ابن عبد المحسن السعدون « علي » قد انتحر هو أيضا بعد وفاة والده.

وقد أشار عبد العزيز القصاب فى ذكرياته ص (٢٨١) الى اللقاء الأخير الذى وقع له مع عبد المحسن السعدون حيث زاره الأخير فى داره فى يوم ١٣ تشرين الثانى / ٢٩ وهو نفس اليوم الذى انتحر فيه وحدثه عن الجدل الذى قام بينه وبين السير كورنواليس فى الدعوة التى أقامها الملك فيصل بمناسبة ختام أجازة كورنواليس ، وكيف أنه أعرب الى الأخير عن تعبه من الركض وراء وعود الانجليز بلا فائدة ترجى ، وقال للقصاب فى آخر اللقاء (ان كل مانرجوه من الانجليز هو خيال وليس له ظل من الحقيقة)

وانصرف من دار القصاب وقد اغرورقت عيناه بالدموع من شدة الألم واتجه الى مقر حزب التقدم وكأنه أراد أن يودعه ويودع صحبه الوداع الأخير فتركه بعد فترة قصيرة وذهب سيرا الى النادى العراقى الذى اعتاد أن يقضى فى صالونه أمسياته ، فجلس هناك جلسة قصيرة مع بعض أصدقائه ثم انصرف عائدا الى داره حيث تناول العشاء الأخير مع زوجته وكريمتيه عائدة ونجلاء وابنه واصف والتفت الى زوجته وهو على مائدة العشاء يخاطبها باللغة التركية قائلا : مابالك لاتقيمين مأدبة شاى لقرينة المعتمد السامى ، فردت تقول : أنا منحرفة المزاج منذ ١٢ يوما وطباخنا ترك العمل ولا أحب شراء الحلوى من السوق انما أؤثر صنعها فى الدار لهذا السبب أرجو معذرتى

فابتسم السعدون وقال انك لاتقبلين فكرى فأجابته كيف

لا أقبل فكرك ؟ فنهض متجهما متألما وقبل ابنته نجلاء قائلا لها بالتركية (بن جوق ســـوردم) وداعب عائدة واتجه الى غرفة مقابلة لغرفة الطعام وجلس يكتب الى ولده (على) الذى يدرس فى برمنكهام رسالة ، حتى اذا فرغ منها خرج من الغرفة وصعد الى الطابق الأعلى وقد بدت عليه آثار الانزعاج

ولنقف عند هذا الحد ونترك الحـــديث الى زوجته تصف الدقائق الأخيرة من حياة السعدون (مارأيته قط يمشى مثل تلك المشية فساورنى الرعب فتتبعته الى غرفة النوم فرأيته يحشو المسدس فركضت مسرعة اليه وقلت له ماذا تعمل ؟ ولأى سبب تعمل هذا ؟ فقال دعينى . قلت لا والله لايمكننى أن أدعك فان كنت تعمل شـــيئا فأقتلنى أولا ياســـيدى !! فقال دعينى والا قتلتك . فصحت به مذعورة أقتلنى ! وقبضت على يده فحاول التملص منى فتوجه الى جهة باب الشرفة وأوشك أن يصل الى الشرفة وأنا ماسكة يده اليسرى وفى اعتقادى أنى مانعته بهذه المسكة ولكن يا للأسف كان المسدس فى جيبه الأيمن وهو قابض عليه بيمناه وأنا غائبة عن رشدى وما أفقت الا وصوت الطلقة يدوى فى الشرفة وكانت رجله الواحدة فى الغرفة والأخرى فى الشرفة .. فوقع على الحضيض ..) (١)

وما إن وقعت الواقعة وسرى خبرها حتى اهتزت البلد لهذا الحادث وأسرع الناس الى دار عبد المحسن السعدون الواقعة

---

(١) جريدة العالم العربى العدد ١٧٥٢ فى ٢٧ تشرين الثانى ١٩٢٩

على نهر دجلة وكان عبد العزيز القصاب وزير الداخلية أول من دخل الدار وصعد الى الطابق الثانى ، حيث وجد السعدون جثة هامدة على فراشه وصدره مثقوب بطلقة مسدس ، وعندما نزل الى الطابق الأول ودخل الى المكتبة وشرع يتصل برئيس الصحة والأطباء والوزراء بواسطة التليفون وقع بصره صدفة على ظرف مفتوح وموضوع على الطاولة فلما فتحه وجده كتاب الوصية فأسرع يضعه فى جيبه ، حتى اذا حضر الوزراء وغيرهم من المسئولين وأخذ يسأل بعضهم الآخر عن أسباب هذه الفاجعة وعثروا ذلك الوقت على ورقة مدعوكة مرمية على الأرض فى مكتب السعدون ظهر من فحصها ان السعدون شرع بكتابة وصية الى ولده علىّ ولم يكمل منها الا سطرين باللغة العربية أدركوا أن هنالك كتابا آخر لعله يكشف عن سبب اقدامه على هـذا العمل فلما تساءلوا أبرز لهم القصاب كتاب الوصية .

والظاهر أن السعدون حاول أول الأمر أن يكتب وصيته باللغة العربية ولما خانه التعبير رمى الورقة التى كتب بها سطرين وكتب ورقة أخرى باللغة التركيـة التى يحسن التعبير فيهـا والكتابة بها

وطلب القصاب بعد أن تلا على بعض الحاضرين كتاب الوصية أن يوقعوا عليه فأخذ توفيق السويدى القلم وشرح على الكتاب بالعبارة التالية وقع عليها « هذا الكتاب وجد موضـوعا فوق أوراق البيك الخاصة . وقد تلى أمامنا وأخذت صورة منه من

قبل الشرطة وهذا هو أصل الكتاب ١٤/١٣ تشرين الثاني ١٩٢٩ »

وقد وقع على هذه العبارة كل من ناجي السويدي وياسين الهاشمي وعبد العزيز القصاب وخالد سليمان وجميل المدفعي ــ متصرف بغداد ــ والحاج سليم مدير الشرطة العام ــ وأحمد الراوي مدير شرطة بغداد

وروى لي أحمد الراوي أن ياسين الهاشمي كان شديد الانفعال في ذلك الاجتماع بحيث لم يتمالك أعصابه عندما وقع بصره على نوري السعيد فقال له بألم أهذا الذي كنتم تريدونه يا باشا !!

ثم أمسك بقلمه وشرح على كتاب الوصية بعبارة نصها (هذا الذي تضمن أكبر برهان على عظمة التضحية التي قام بها ــ رجل العراق وفقيده)

وفي صباح اليوم التالي طلعت جريدة العالم العربي وهي تنشر نص الوصية بالزنكوغراف وترجمتها الى العربية عن اللغة التركية وهي :

(ولدي وعيني ومستندي على

اعف عني لما ارتكبته من جناية . لأني سئمت هذه الحياة التي لم أجد فيها لذة وذوقا وشرفا . الأمة تنتظر خدمة . الانجليز لايوافقون . ليس لي ظهير . العراقيون طلاب الاستقلال ضعفاء عاجزون وبعيدون كثيرا عن الاستقلال . وهم عاجزون عن تقدير نصائح أرباب الناموس أمثالي . يظنون أني خائن للوطن وعبد

للانجليز . ما أعظم هذه المصيبة ، أنا الفدائى أشد اخلاصا لوطنى .. قد كابدت أنواع الاحتقارات ، وتحملت المذلات ، فى سبيل هذه البقعة المباركة التى عاش فيها آبائىوأجدادى مرفهين

ولدى نصيحتى الأخيرة لك هى :

١ ـ أن ترحم اخوتك الصغار الذين سيبقون يتامى وتحترم والدتك وتخلص لوطنك

٢ ـ أن تخلص للملك فيصل وذريته اخلاصا مطلقا

أعف عنى ياولدى على

عبد المحسن السعدون

***

وقد أثار نشر الوصية ردود فعل مختلفة . أما (دار الاعتماد البريطانى) فقد غضبت واحتجت لأن نشر الوصية خلق شعورا معاديا لها ، وطالبت بمعاقبة المحرضين على النشر وزعمت أن الوصية حرفت على نحو يثير هذه المشاعر ولمحت جريدة العراق الى ذلك قائلة ان أحد عملاء الانجليز أسرع ليلة الانتحار الى دار الاعتماد ليخبرها أن أحد الوزراء حرف الوصية ، ولعل ياسين الهاشمى كان المقصود بهذا الاتهام الذى لا أساس له لأن الرجل لم يغير الوصية وانما ذيل بأسفلها العبارة التى أشرنا اليها (١)

---

(١) جريدة العراق فى ٢٢ تشرين الثانى سنة ١٩٢٩

وحاولت جريدة التايمس اللندنية أن تشوه انتحار السعدون وتجرده من الدوافع الوطنية وتنسيه فقط الى ديون كانت تثقل كاهله فزعمت (يحاول المتطرفون استثمار انتحار السعدون لصالح سياستهم الا أن هناك أسبابا تدعو للاعتقاد بأن اضطرابات عبد المحسن الأخيرة لم تكن منحصرة فى الأمور السياسية فقط !! .. ان من عادة الوزراء أن يعيشوا فى حالة تدل ظواهرها على السعة وأن يسرفوا بدرجة لاتبررها الرواتب التى يتقاضونها » (١)

أما (الملك فيصل) وان كان قد تظاهر بالحزن والألم ، الا أنه لم يكن مرتاحا الى نشر الوصية ، وقد أشار الى ذلك عبد العزيز القصاب قائلا ان فيصل استدعانى بعد يومين من انتحار السعدون ، وبعد أن أطلعنى على احتجاج دار الاعتماد قال لى لو تريثت فى النشر لكان ذلك أحسن للمصلحة وحفظ الأمن والاستقرار !! (٢)

وأسرع فيصل ليلة الانتحار الى دار السعدون ووقف على جثمانه يقول « لقد خسرتك وخسرتك البلاد » ، ولم يصدق الناس هذا المنظر وتساءلوا فى سرهم هل صحيح مايتظاهر به فيصل أم أنه فى موقف مسرحى يحاول فيه اخفاء ما استولى عليه من شعور خاص أشبه مايكون بشعور الشخص الذى ينزاح عن كاهله كابوس ثقيل !

---

(١) نقلا عن جريدة البلاد الصادرة فى ١٩ تشرين الثانى سنة ١٩٢٩

(٢) ذكرياتى لعبدالعزيز القصاب صفحة ٢٨٣

وقد أيدت الأيام التى تعاقبت صحة هذا الشعور فكشفه انتحار السعدون عن بروز نتيجتين ظاهرتين فى الميدان السياسى يلمسهما كل من يدرس تلك الفترة ويمعن فى تحليل أوضاعها :

الأولى ـ انها أفسحت أمام الملك فيصل مجالا أوسع لممارسة حريته فى اختيار رئيس الوزراء ، فبعد أن كان السعدون بحكم المركز الذى يحتله لدى (دار الاعتمـاد البريطانى) وبحكم الأكثرية البرلمانية التى يحوزها حـزبه فى البرلمان ، يلعب هو الآخر دوره فى هذه المواقف الى جوار الملك فيصل ، أصبح المجال بعد اختفاء السعدون من الميدان وعدم ظهور من يحل محله أمام فيصل واسعا

أو على الأقل اختفى ذلك الصراع السياسى الذى كان يقوم بين السعدون وفيصل صريحا تارة وخفيا تارة أخرى..وكانجانب من ذلك الصراع يدور حول مايجب أن تكون عليه علاقة الساسة بالملك ، وكان فيصل يردد نظرية مفادها أن هذه العلاقة يجب أن تكون أشبه بعلاقة القائد بالجندى ينفذ مايؤمر به ويعمل بما يوعز اليه ، ولم يقبل هذه الفكرة بعض الساسة ، وكان ناجى السويدى يقول لنا اننا لسنا جنودا ، ولكن علاقتنا بالملك أشبه بعلاقة ضابط الأركان بالقائد يشاركونه فى رسم الخطط واعدادها وكان السعدون يتبنى هذه الفكرة (١)

ولعل خير مثل يدلل على دور السعدون فى تأليف الوزارات

---

(١) عن « وجوه عراقية » وهى الفصول التى كتبها توفيق السويدى الفصـل الخاص بناجى السويدى

تلك الفترة هي وزارة توفيق السويدى التى تألفت عام ١٩٢٩ فى أعقاب الأزمة الوزارية التى استمرت (٩١) يوما بعد استقالة عبد المحسن السعدون فى وزارته الثالثة فى ٢٠ / كانون الثانى عام ١٩٢٩ والملابسات التى رافقتها والمناورات التى أحاطت بها ، فقد حاول فيصل أن يرشح نورى السعيد الى تأليف الوزارة ولكن السعدون رشح توفيق السويدى . وبعد مناورات فاشلة مارسها الملك فيصل بقصد اقناع السعدون بالتراجع عن ذلك لم يجد بدا من تكليف توفيق السويدى .

ويصف توفيق السويدى فى مذكراته جانبا من تلك المناورات وكيف ان فيصل وجد نفسه بعد أن وعد نورى السعيد بتأليف الوزارة وأصر السعدون عليه ، فى موقف صعب أراد أن يتخلص منه فاستدعى كلا من السويدى ونورى السعيد أمامه لمفاتحتهما بهذا الموضوع

وأنا أترك الآن توفيق السويدى يصف لنا هذا الاجتماع نقلا عن مذكراته « .. دخلت على جلالته ووجدت لديه نورى السعيد حاضرا ووضعنا فى صف واحد وصار يوجه الى كلينا الكلام بأنه يعتمد علينا ويقدر خدمتنا ويريد أن نتكاتف ونشتغل سوية فى الوزارة الجديدة ويكلفنا نحن الاثنين بتأليف الوزارة ، وكان التكليف غريبا فى بابه جدا الا أننى كنت مسبوقا من قبل المرحوم السعدون فأسرعت فى الجواب قائلا إننى أشكر جلالته على عنايته بى وتقديره خدمتى الضئيلة ولطفه بتكليفه إياى بتأليف

الوزارة مع الأخ نورى ولكننى أسارع بأن أقدم الى جلالته توصية شخصية بأن يكتفى بتكليف نورى بالوزارة وانى أقبل أن أشتغل معه ولا حاجة لتكليف الاثنين فى أمر لا يمكن أن ينقسم الى قسمين وسكت

ولما بدأ نورى السعيد بالقول أفاد بعد الشكر لجلالة الملك على لطفه ..

أن أوصى من جهته أيضا أن يكلفنى بالوزارة ولكنه بالنظر لكونه يشعر بتعب يرجو عفوه من أن يشتغل هذه المرة فى وزارتى .. وكان المقصود بهذا الاجتماع الا ينتج شيئا وان يتحرر الملك من وعده للسعيد بتأليف الوزارة

وفى اليوم الثانى طلبت الى البلاط للعشاء مع جلالة الملك وحدى وحضرت ففاتحنى بالمشاكل المحيطة بالبلد وبما يشعر به وكلفنى بأن أؤلف الوزارة فقلت له ــ انى أستميحه عذرا اذا رفضت تكليفه والسبب بسيط لأنى أشعر بقلة تجربتى فى أمور السياسة لأنى وان أصابنى بعض الحظ فى السياسة والخدمة الضئيلة أشعر بأن أمامى كثيرا من المعلومات تستلزم ان أحصل عليها بالتجربة كما ان سنى وان بلغت السابعة والثلاثين من عمرى قد لا تساعدنى على تحمل هذه المسئولية واذا أخذتها فربما يعرضنى ذلك الى حسد كثير من الذين يفوقوننى فى العمر وطول الخبرة .. فاذا كان جلالته يرغب أن أكون عنصرا مفيدا فى الدولة فليكتف بى كوزير لمدة أطول مما حصل لى ..

فوجدته قد استناء من رفضى وأفاد بأننى عندما أكون متحررا أسلق رجال السياسة بألسنة حداد متهما إياهم بالعجز والتقصير وعدم المعرفة وعنـدما تتاح الفـرصة لتولى المسئولية أحاول التنصل منها والتهرب .. واذ نحن فى هذا الحديث دخل علينا الملك أخوه الأكبر فوجه الحديث اليه وقال له انظر يا سيدى — وكان يلقبه بسيدى — الى هذا الشاب الطموح فهو يريد أن يصلح البلد ولكن ليس بسعيه وجهده بل يريد أن يبقى حرا ويطلب من الآخرين تحقيق ذلك وهذا ليس ميسورا .. فرجع الملك على مشجعا ولما شـعرت بأن جلالة الملك فى حديثه يظهر الجد لأنى كنت أخشى قبلا أن يبطن شيئا آخر أخذتنى العزة بالاثم وقلت له يبدو لى من حديث الملك انه جاد فى تكليفى ويريد فى الحقيقة أن تقوم عناصر جديدة فى العمل لخدمة البلاد .. فاذا كانت هذه رغبة جلالته فانى لا أقبل على نفسى أن أتهرب من المسئولية بشرط واحد وهو أن يؤيدنى جلالته فى العمل وأن يأخذ بيدى فاذا كان هذا متوفرا فانى أقبل تكليف جلالته . فاستبشر ولاطفنى مؤيدا اقتراحى ثم استأذنت للانصراف ..

... ولما تداولت مع عبد المحسن السعدون أفادنى ان الملك ليس جادا فى تكليفى وانه كان يرجح نورى السعيد ولما اصطدم فى مخالفته وبالأسباب التى بينتها له اضطر الى تكليفى بالوزارة من باب الترغيب أو من باب الحمل على القبول وهو لم يكن حقيقيا . الا انه هو يشجعنى الى أقصى حد

وأخذ السعدون على نفسه بتدبر الأمر فاتصل بنورى السعيد وناجى الشوكة اللذين كانا عضوين فى وزارته الأخيرة ــ الوزارة الثالثة ــ فقبلا أول الأمر

غير ان آثار عدم الاطمئنان التى كان يخشى منها ظهرت عندما اشترط نورى السعيد بعض الشروط التى كان يظن اننى سوف لا استطيع تحقيقها قبل تأليف الوزارة فاشترط اولا ان ينسحب المفتشون الاداريون من الالوية ويجتمعون فى المركز ولا يذهبون الا بناء على امر وزير الداخلية وبذلك يتقلص النفوذ البريطانى وثانيا امرار قانون التجنيد الاجبارى من المجلس اذ ان المجلس مستعد لقبوله ولكن المندوب السامى السابق كان يبدى من حين لآخر بعض الصعوبات .. فقلت له سأحاول ان احصل على موافقة المندوب السامى على هذين الشرطين فاذا وافق هل يبقى مانع لديه ؟ فأجاب بالنفى

وبعد محاولة قصيرة مع المندوب السامى وافق بلا قيد ولا شرط على هذين الشرطين فأخبرت نورى السعيد بذلك فاستغرب وكاد لايصدق .. وصار فى موقف حرج لانه كان على ما يظهر يريد وسيلة للتخلص فأسقط فى يده إذ أن شروطه قبلت ، وقد أثر بدوره على ناجى شوكت فهول عليه الأمر فأقنعه بالعدول عن دخول الوزارة ولما فاتحت السعدون بهذا الامر بما يحاك من شباك وجدته اكثر عزما فكلفت عبد العزيز القصاب للداخلية وامين زكى للدفاع وألفنا الوزارة واستلمنا

المسئولية وفى اول اسبوع من حياة وزارتى ظهرت علامات فى البلاط .. »

وفى مكان آخر من هذه المذكرات يروى السويدى عن اجتماع آخر له مع الملك فيصل اثر استقالته من الوزارة المذكورة فيقول : « .. قدمت استقالتى الى الملك وعندما استلمها قبلنى مرتين وقال : انه كان قبل أن استلم الحكم يود الا اقبل بتأليف الوزارة وذلك لأنه اضطر الانجليز بالمقاطعة فى تأليف الوزارات إلى اجابة مطالب العراق . فاستغربت وأجبته قائلا : ان القصد من المقاطعة لتأليف الوزارات اجبار الانجليز على مطالب العراق وقد اطلع جلالتكم على جواب المندوب السامى وصيغته ، وهو الجواب الذى تصبو اليه البلاد فلم يبق ما يوجب المقاطعة والبلاد فى حالتها تتطلب ان تدير امورها وزارة مسئولة

وانى لم افهم بأن جلالتكم كان لايميل الى ان اؤلف الوزارة بل بالعكس الذى اذكره اثناء تشرفى بمقابلتكم الشخصية وبناء على امتناعى عن قبول تأليف الوزارة هجومكم على واتهامى بالتنصل من المسئولية واستنجادكم بالمرحوم على ان يؤثر على .. ففهمت ان رغبة جلالتكم مخلصة من ان اتولى المسئولية ولم أشم أية رائحة تنبئنى بوجود رغبة ما لدى جلالتكم بألا أؤلف الوزارة .. وارجو الا يحمل جلالتكم على محمل التحدى اذا اعتبرت الدور الذى لعبته قلما يلعبه أى ممثل فى العالم .. » (١)

(١) نقلا عن مذكرات توفيق السويدى المخطوطة وقد أتيح للمؤلف الاطلاع عليها ، كما ان السويدى كان قد أملى على المؤلف بعض فصولها

الثانية ـ ان حزب التقدم الذى لعب دوره بزعامة عبد المحسن السعدون بحكم الاكثرية التي كان يحوزها فى المجلسين النيابيين الاول والثانى لمساندة سياسة السعدون فى تصديق المعاهدات وامرار الاتفاقيات والذى شعر فيصل بأهميته فبذل مساعيه تارة للتقرب اليه وطورا لشق صفوفه وربط عدد من أعضائه به بدلا من السعدون ، هذا الحزب قد انتهى سياسيا بعد وفاة السعدون وضعف شأنه بحيث لم تعد لفلوله وبقاياه تلك الاهمية التى تجعل الملك فيصل يحسب له حسابا ، وبحيث استطاع نورى السعيد وهو من اعضاء حزب التقدم ان يؤلف من فلوله او من الجناح الذى كان يعمل وفق اوامر فيصل فى حزب التقدم وغيرهم حزبا جديدا ورث الاكثرية البرلمانية عن حزب التقدم وهو « حزب العهد » الذى تألف فى ١٤ تشرين الاول عام ١٩٣٠

وانتهى دور حزب التقدم فى هذه الفترة ، وربما كان آخر نشاط له هو قيامه بالدفاع عن كيانه عندما قام نورى السعيد بحل المجلس النيابى الذى كان يضم صفوفه فبادر زعماء الحزب المذكور الى تقديم احتجاج الى الملك فيصل ذهبوا فيه الى القول بمخالفة الوزارة للدستور حين ألغت مدة تمديد اجتماع مجلس الأمة ولم تواجه المجلس للحصول على ثقته وطالبوا بجمع المحكمة العليا لعرض المخالفة الدستورية عليها

وبوفاة السعدون وانتهاء حزب التقدم انطفأ نجم بعض

الساسة الذين كانوا من اقرب الناس الى السعدون يستشيرهم ويستعين بهم فى الرأى كناجى السويدى وتوفيق السويدى بحيث لم تلمع أسماؤهم طيلة المدة التى تولى فيها فيصل الحكم اثر وفاة السعدون باستثناء المدة القصيرة التى اعقبت انتحار السعدون مباشرة وتولى فيها ناجى السويدى رئاسة الوزارة.

واذا كان هذا هو صدى انتحار السعدون لدى الاعتماد البريطانى والبلاط فما هو صداه عند الأوساط الشعبية ؟

لاشك ان الشعب العراقى هزته الفاجعة وحركت المأساة عواطفه ففى الوقت الذى اندفعت فيه جماهيره غاضبة تهوس « عبد المحسن نأخذ ثأره » وتردد « ساعة يا لندن مرهونة » ووقف الخطباء يرثون والشعراء يؤبنون ووجد الملك فيصل الفرصة سانحة لتحقيق الامنية التى طالما سعى اليها ولم يمكنه السعدون من نوالها ، وهى ان يدفع بالجندى الصغير « نورى السعيد » الى رئاسة الوزارة ، وكان له ما أراد فما ان نشب اول خلاف بين المندوب السامى السير فرنسيس همفريز وبين ناجى السويدى وترنحت الوزارة بسببه حتى اسرع فيصل عندما بلغه وجود بعض المساعى لتسوية الازمة باحباطها واقناع المندوب السامى بتأليف وزارة جديدة

وما ان ترك ناجى السويدى مقعد الوزارة حتى قفز نورى السعيد اليه بمساعدة الملك فيصل

وكان جلوسه على مقعد الحكم ينطوى على انتصار لنظرية الملك فيصل فى ان تكون علاقة الساسة بالملك علاقة القائد بالجندى ورد على النظرية المعارضة التى تريد ان تكون تلك العلاقة علاقة القائد بضباط ركنه . ولعل نورى السعيد كان يلمح الى ذلك عندما سمى نفسه فى الخطاب الذى القاه فى حفلة الاسنيزار بالجندى الصغير الذى يمتثل لأوامر الملك !

ذلك اللقب الذى كان فى يومها موضع تهكم المعارضة فى صحفها وانديتها

وقد كشف توفيق السويدى فى مذكراته النقاب عن كيفية استقالة ناجى السويدى قائلا : « .. انتهزت فرصة زيارة رئيس الوزراء المستقيل – ناجى السويدى – للمندوب السامى حسب العادة فرافقته وعندما حضرت لديه فهمت انه لايعرف السبب الذى حدا برئيس الوزراء الى الاستقالة ، وقد بين المرحوم اخى للمندوب السامى بعض الاشياء التى وجدتها لا تكفى للتبرير فتوسطت بالأمر وأفهمت المندوب السامى ضرورة الاتفاق على تسوية مرضية على النقاط التى حصل عليها الخلاف فوجدته يميل الى الاتفاق فاتفقنا ورجا ان يستعيد اخى استقالته وتركناه ولكننا حرنا كيف نخبر المرحوم الملك فيصل بزوال الازمة التى كان يسعى هو نفسه الى خلقها . وبعد التفكير مع اخى وجدنا ان من المناسب ان نعرض على الملك ونطلب منه ان يتوسط لازالة سوء التفاهم حتى يمكن وقوع هذا التفاهم بالفعل بين

رئيس الوزراء والمندوب السامى ، وكنا يومئذ مدعوين على العشاء لدى جلالته وعندما حضرنا لديه وجدناه يتصنع التأثر من وجود الازمة فأخبرناه بأننا كنا لدى المنـدوب السـامى ووجدنا عنده الامكانية لحل الازمة اذا كان جلالته مسـتعدا لاستعمال نفوذه لدى المندوب السامي لاننا شعرنا من المندوب السامى ان الأمر قد انتهى بايجاد حلول ذكرناها له ، كما ذكرنا موافقة المندوب السامى عليها ، فاحمرت وجنتاه واستولى عليه الغضب وقال بصوت متهدج : الم يخجل المندوب السـامى من هذا العمل ؟ فكيف يقول ان الازمة لا يمكن حلها ثم يقبل ويوافق على ما اتفق عليه معكم ؟

وكنا فى الحقيقة نتوقع منه هذا لاننا نعتقد ان الازمة من صنع يديه وصحت نبوءتنا اذ فهمنا فى اليوم التالى أنه ارسل مستشار الداخلية كورنواليس يعتب عليه لموافقته بحل الازمة وكيف انه يوافق معنا ولا يوافق معه . وعند الصبـاح اضطر المندوب السامى ان يذهب الى جلالته ويحاول ان يتنصـل من مسئولية الاتفاق . والظاهر انه قد رتب كل شيء بين الاثنـين ولما طلب المرحوم اخى للحضور لديه بادره المنـدوب السامى بأنه يأسف انه قد وقع سوء فهم بينه وبين رئيس الوزراء ورئيس مجلس النواب (١) وانه لم يوافق تماما على مقترحاتهما بل انه تقدم بطلب فى هذه الجلسة وهو يعلم انه لا يقبـل من قبـل

(١) كان السيد توفيق السويدى رئيس مجلس النواب ذلك الوقت

الوزارة ، وقال انه يتمسك بهذا الطلب ولايستطيع ان يحيد عنه وهو اعادة مخصصات الموظفين الاجانب من مفتشين اداريين وغيرهم الى الميزانية وعدم مساس هذه المخصصات بشيء . مع انه كان قد وافق على وضع مخصصات بغير هذا الاسم وتحت عنوان مخصصات تسفير الموظفين الاجانب وقد قبلنا ذلك منه واتفقنا عليه ، ولما ازمع الا يكون اتفاق تمسك برأيه السابق سادا الطريق دون التفاهم فأجاب المرحوم اخى على هذا القول بأنه لو كان وحده قد سمع من المندوب السامى ما قاله لكان من المحتمل ان يدعى بوجود سوء التفاهم ، ولكن كان حاضرا الجلسة اخوه يكلمه ويتوسط بالامر ولا يعقل ان يحصل سوء تفاهم بين اثنين والمندوب .. وعلى كل حال طلب اليه ألا يكلف نفسه جهدا ثقيلا بأن يتنصل مما قال فهو لاينوى البقاء الا بناء على رغبة الملك .. فاذا كان عدم بقائه فى الحكم من مصلحة البلاد فانه يصر على الاستقالة ويطلب اليه قبولها »

***

وقد اثار موقف دار الاعتماد البريطانى والملك فيصل غضب ياسين الهاشمى باعتباره وزير المالية فخطب فى المجلس النيابى قائلا : « نحن أمام شكلين عجيبين وقوتين متعارضتين وشيئين متناقضين وصفهما فخامة رئيس الوزراء احسن وصف . هـذا صحيح وكان القصـــد من تأليف الوزارة الاخيرة القضاء على هذا التناقض .. القضاء على هذا الاختلاف .. القضاء على هذا

الشكل العجيب . القانون الأساسى محترم من قبل شعب يمثله مجلس أمة يراقب تنفيذه ويجعل الوزراء مسئولين تجاه المجلس، وبجانب هذه السلطة الرهيبة وبجانب هذه المحاسبة العنيفة نجد من جهة أخرى أناسا يستهزئون بهذه السلطة ويستهينون بهذه السيطرة وبما يسمى شكل دستورى فى هذه البلاد

وقلنا عندئذ ان من الواجب على كل عراقى ان يقضى على المعاهدة والاتفاقيات وهذا هو مبدأ الكفاح الذى قامت به كل حكومة سـواء كانت تقـدمية أو مؤتلفـة وجميع الاضبارات الموجودة فى ديوان مجلس الوزراء تسجل هذا الكفاح وتسجل ايضا الاضبارات الموجودة فى ديوان المعتمد السامى

قلت هذا الكفاح مسجل فى اضبارات الطرفين وعلى هـذه الاضبارات والاسس قامت الحكومة البريطانية بوعد شرف على نسان مندوب سام .. وعندئذ اعطى التصريح الى المرحوم عبد المحسن بك السعدون من اننـا سندخل عصبـة الأمم فى عام ١٩٣٢ واننا سنبنى صلاتنا على اساس المعاهدة او الاقتراحات المصرية البريطانية .. على ان المرحوم لم يكتف بذلك بل وضع منهاجا وهذا المنهاج الذى لخصنـاه كخطط عامة فى خطـاب العرش لم ينشر لأن المرحوم لشدة تواضعه ولكثرة التجارب التى مرت عليه خشى ان ينشر منهاجا يمكن ان يوصف بالجبار كما وصف ولا يتمكن من تطبيقه ولكن هذا المنهاج كان معروفا لدى المندوب السامى واقول لكم مع الاسف انه كان مصادقا عليه ..

اما المواد الرئيسية التى يحتوى عليها المنهاج فهى مادتان اولا ان المفاوضات يجب ان تجرى على اســاس الاستقلال التام . ثانيا ان يعجل فى تطبيق المعاهدة من تاريخ ابرامهــا او تسريع ادخال العراق فى عصبة الامم ..

دخلنا لنعمل على هذا الاساس وعلى اساس التوفير فى نفقات الدولة .. ولم تمض مدة طويلة .. الا وجوبهنـا وجوبهت انا ببيانات وافادات وتصريحات تجعل الشيء الذى كنا سمعنـاه وقرأناه غير موجود ، وهو خيال وكأننا فى حلم

فالافادة الاولى انه لايوجد تبديل قلنـا الرجـل هازل فانه يوجد تصريح من حكومة وهذا التصريح مؤيد من الاحزاب المختلفة

باشرنا بالتشدد فى طلب الدخول فى المفاوضـات فوجـدنا الطريق طريق « المكاتبة » كما كان يجرى سابقا .. طلبنا حسـم قضية السكك الحديدية وفق المعاهدة فقالوا « مكاتبة » .. طلبنا تسـجيل أراضى الميناء باسم الحكومة العـراقية فقالوا « كتب » !

وخلال ذلك كانت الحكومة تشتغل مع المجلس بتقديم اللوائح وتهيئة الميزانية .. ولكن فى اللحظة الاخيرة فهمنا شكلا جديدا وذلك ان صلاتنا ليست مبنية على المعاهدة المكتوبة فقط

انما توجد مواد لم تكتب ايضا ويجب على العراق ان يعترف بها ! وعند ذلك علمنا اننا مخدوعون ببيـان رسمى وتصريح

مندوب سام وعلمنا ان الاشخاص الموجودين فى العراق آراؤهم هى المنفذة والمحترمة وان آراء الحكومة البريطانية غير معروفة ! (١)

ولاشك ان هذا الخطاب وان انطوى على هجوم شديد على دار الاعتماد البريطانى ، الا انه لم يخل من غمز صريح لقناة الملك فيصل وقد عبر خير الدين العمرى الذى كان يعمل يومها فى القصر الملكى فى مذكراته عن الشعور السائد فى البلاط ازاء هذا الخطاب فقال :

« ان الهاشمى وجه بهذا الكلام طعنة نجلاء الى شخص الملك ، لان الملك كان فى جانب السير همفريز فى الموقف الذى حصل ولم يدعم الوزارة .. » (٢)

***

ومضت الأيام وتعاقبت السنون وانقطع الرثاء وسكت الخطباء ولم يبق من ذكرى عبد المحسن السعدون الا تمثال قائم فى أحد شوارع بغداد يذكر الناس بتضحية الرجل ومأساته

(١) محاضر المجلس النيابى لسنة ١٩٢٩ ص "٤٠٦-٤٠٧-٤٠٧"
(٢) مذكرات مخطوطة للمرحوم خير الدين العمرى الجزء الاول صفحة ٥٧

فهرس

صدر عن منشورات مكتبة آفاق عربية للنشر والتوزيع

١ . العرب في الاتحاد السوفيتي ـ تأليف نجدة فتحي صفوة
٢ . سايكولوجية الطفولة والمراهقة ـ الدكتور عبد علي الجسماني
٣ . الفيزياء المسلية ط ح٢ ـ ترجمة الدكتور داود سليمان المنير
٤ . فنون الحياكة الحديثة ـ غصون خليل غني
٥ . قصص أطفال (٤ اجزاء) ـ تأليف هيفاء جارودي
٦ . السلسلة التعليمية للاطفال (٨ أجزاء) ـ اعداد فائز عزيز صفو
٧ . سلسلة تسلية وتلوين للاطفال (٤ أجزاء) ـ اعداد أمجد عزيز صفو
٨ . علم النفس لكل رجل أمرة ـ ترجمة عبد الباقي جواد
٩ . التفكير الواضح منطق لكل انسان ـ ترجمة عبد الباقي جواد
١٠ . تسهيل قواعد الاملاء ـ مي عبد المجيد حسن
١١ . المسؤولية التاريخية في مقتل ملك غازي ـ الدكتورة رجاء حسين حسني الخطاب
١٢ . سقوط النظام الملكي في العراق ـ فاضل حسين
١٣ . ساري العبد الله ـ محمد عجاج جرجيس

توزيعنا

١ . جرائم المخدرات ـ الدكتور صباح كرم شعبان
٢ . لامرائي للنائم الجميل ـ شعر خير منصور
٣ . قانون كرة القدم ـ ترجمة مؤيد البدري
٤ . انحراف النظام البرلماني في العراق ـ تأليف الدكتور فائز عزيز أسعد
٥ . صدام حسين (قراءة في بعض طروحاته) ـ يوسف سالم
٦ . طائر النار ـ شعر مي مظفر
٧ . تحميض وطبع الافلام والصور بالاسود والابيض ـ حازم باك
٨ . طفولة المساء ـ شعر حميد سعيد
٩ . جرائم التعاون مع العدو في زمن الحرب ـ تأليف الدكتور سعد ابراهيم الاعظمي
١٠ . جرائم التجسس في التشريع العراقي ـ تأليف الدكتور سعد ابراهيم الاعظمي



المؤلفة الدكتورة رجاء

حسين حسني الخطاب

الناشر ـ مكتبة آفاق عربية

بغداد ـ المنصور

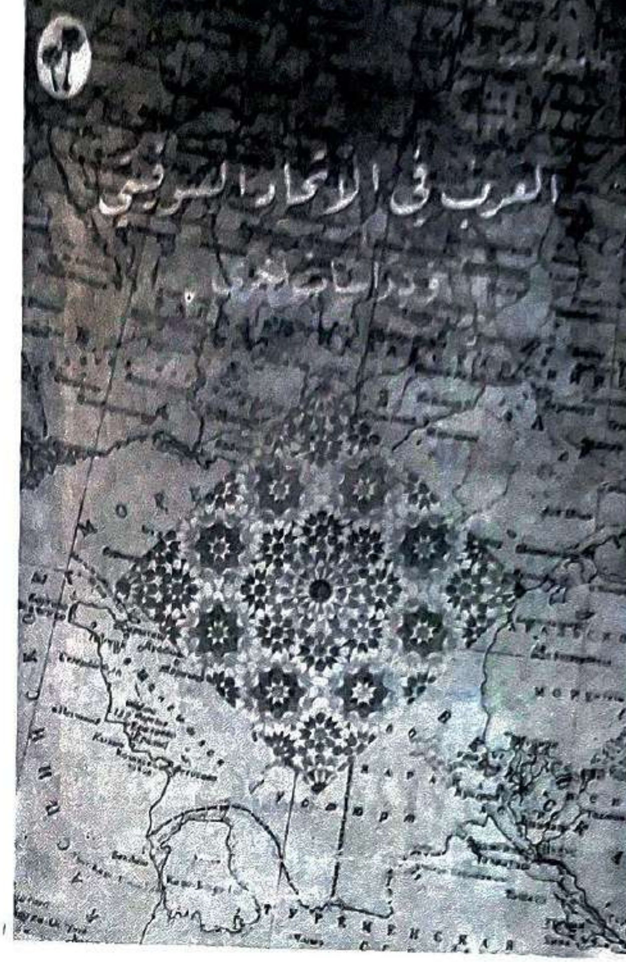
هاتف ٥٤١٧٢٨٤

من قتل الملك غازي

مقدمة واربعة فصول وخاتمة وملاحق وصور ضمنتها ٢٥٦ صفحة هي مادة كتاب الدكتورة رجاء حسين حسني الخطاب الاستاذ المساعد في كلية الآداب بجامعة بغداد والذي حمل عنوان « المسؤولية التاريخية في مقتل الملك غازي » .

لقد ثار جدل عنيف منذ أن قتل الملك غازي عام ١٩٣٩ حتى يومنا هذا لما عرف عنه من خروج عن المألوف في التعامل خاصة مع السياسة البريطانية وفي النظر الى القضايا العربية وهي فترة مهمة في تاريخ العراق .

تناول الفصل الاول من الكتاب سياسة الملك غازي والفصل الثاني منه موقف البريطانيين من هذه السياسة فيما تناول الفصل الثالث علاقة الملك غازي بالوضع السياسي في العراق . اما الفصل الرابع فهو مقتل الملك غازي ومن المستفيد منه ؟ مع صور ووثائق تاريخية .



الكاتب « نجدة فتحي صفوة »

الناشر ـ مكتبة آفاق عربية

بغداد ـ المنصور

هاتف ٥٤١٧٢٨٤

العرب في الأتحاد السوفيتي ودراسات اخرى

ضمن منشورات مكتبة آفاق عربية ـ بغداد صدر للسيد نجدة فتحي صفوة كتاب بعنوان « العرب في الاتحاد السوفيتي » وقد ضم عدة دراسات تتعلق بقضايا الاستشراق والعلاقات الثقافية والتاريخية بين العرب والروس منذ أقدم الازمنة .

وهناك دراسة عن « رحلة ابن فضلان » التي قام بها ابن فضلان من بغداد في القرن العاشر الميلادي فذهب الى « البلغار » المسلمين على نهر « الفولغا » موفودا بمهمة دبلوماسية وثقافية ودينية فكان أول دبلوماسي عربي يزور أراضي روسية .

وضم الكتاب دراسات عن الادب العربي الحديث في الاستشراق الروسي وميخائيل نعيمة في روسيا وعن الحرب الروسية ـ اليابانية وصداها في الادب العربي .



المؤلف في سطور :

- ● ولد في بغداد عام ١٩٢٧
- ● تخرج في كلية الحقوق عام ١٩٥٠.

من مؤلفاته المطبوعة :

١ ـ شخصيات عراقية ، تضمن سير عدد من الاعلام العراقية كتبت بأسلوب تحليلي (دار المعرفة بغداد ١٩٥٤)

٢ ـ حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث (القاهرة دار الهلال ١٩٦٩)

٣ ـ يونس السبعاوي (دار الحرية بغداد ١٩٧٨)

٤ ـ الخلاف بين نوري السعيد والبلاط (بغداد ١٩٧٨)

● نشر في امهات المجلات دراسات عربية وابحاثا عن تاريخ العراق الحديث

منشورات مكتبة آفاق عربية
للنشر و التوزيع
بغداد ـ المنصور ـ هاتف ٥٤١٧٢٨٤
ص.ب. ٢٧٠٩٦ ٥٤١٢٠١٩
لصاحبها
فائز وأمجد أولاد عزيز صفو

الطبعة الاولى

مطبعة دار القادسية
بغداد ـ الاعظمية ـ مجاور السـ
ص.ب ٤٠١٨ هاتف : ٢٨١٧٤

الآن في المكتبات

* العرب في الاتحاد السوفيتي

تأليف نجدة فتحي صفوة

* المسؤولية التاريخية في مقتل الملك غازي

الدكتورة رجاء حسين حسني الخطاب

* سقوط النظام الملكي في العراق

الدكتور فاضل حسين

* الفيزياء المسليـة

ترجمة الدكتور داود سليمان المنير

* تسهيل قواعد الاملاء العربي

مي عبد المجيد حسن ولي

* التفكير الواضح

ترجمة عبد الباقي كاظم جواد

* فنون الحياكه الحديث

غصون خليل

تصميم الغلاف أمجد عزيز صفو